خزانة الفكر العلمي

دعوة الحق

معركة التنمية الإقتصادية والفكرية على جبهة واحدة

الوحدة العسكرية

في التاريخ العربي والإسلامي

المعتزلة والتحليل الماركسي

السنة 19
العدد 4

شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة التاسعة عشرة • العدد الرابع
جمادى الأولى 1398 - أبريل 1978 ثمن النسخة 3 دراهم

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » - مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 - الرباط - المغرب
الهاتف : 10 - 632

• الإشتراك العادي عن سنة : 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

• السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه .

• ترسل المجلة مجاناً للمكتبات العامة . والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص

• **لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر**

فهرس

1 - الافتتاحية : خرافة الفكر العلمي .... (دعوة الحق)
5 - جلالة الملك يعين محمد الرابط كاتبا عاما لوزارة الأوقاف
- خطاب العرش
15 - جلالة الملك يجتمع بلجنة التربية والتعليم بالبرلمان
18 - وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يدشن مكتبة الحي الجامعي

دراسات اسلامية :

22 - الوحدة العسكرية في التاريخ العربي والاسلامي .... محمود شيت خطاب
26 - المعتزلة والتحليل الماركسي .... محمد العربي الناصر
34 - الحنفية والحنفاء .... اسماعيل الخطيب

دراسات مغربية :

38 - من اعلام الاندلس (12) .... سعيد اعراب
43 - الشيخ ابو عبد الله محمد بن عسكر (2) .... عبد القادر العافية
49 - دراسات في الادب المغربي (1) .... عبد الكريم التواتي
56 - السلطان مولاي اسماعيل .... الحاج احمد معنينو

ابحاث ودراسات :

64 - منهجية التاريخ .... د. ابراهيم حركات
83 - عن ادب الشاليات .... احمد تسوكي

مكتبة دعوة الحق :

88 - مظاهر يقظة المغرب الحديث لمحمد المنوني .... عبد الرحمان الزياني
92 - المكتبة المغربية من 3 مارس 77 الى 3 مارس 1978 .... (دعوة الحق)

ديوان المجلة :

100 - صانع الامجاد .... محمد الحلو
102 - شعب صانع الابطال .... محمد البوعناني
105 - من نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .... (دعوة الحق)
108 - شهريات الفكر والثقافة .... (دعوة الحق)

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

خرافة الفكر العلمي

●● الايديولوجيا والعلم على طرفي نقيض . ومن العبث الجمع بينهما فى نسق عقلي واحد او مقولة من مقولات الثقافة والفكر ، بل ان من الارهاب والتضليل الادعاء ان الايديولوجيا علم له قوانينه الميكانيكية وأصوله ومناهجه وحدوده وآفاقه . فهذه مغالطة مكشوفة تترتب عليها نتائج لعل اخطرها واشدها تاثيرا على الحياة العقلية فى مجتمع من المجتمعات البشرية ، اختلال الموازين واضطرابها ، وهي جريمة من جرائم الفكر ، شاعت فى الآونة الاخيرة ، وراجت فى الاوساط الثقافية فى العالم الثالث.

وكذلك الامر بالنسبة للفلسفة والدراسات النفسية والاجتماعية والسياسية ، فالفلسفة ليست علما ، ولن تكون علما باية حال من الاحوال، لان للفلسفة مجالها ، وللعلم ميدانه ، وكلاهما لا يلتقيان ، وبذلك يبطل كل زعم او ادعاء او محاولة الربط بين الفلسفة والعلم .

وتاسيسا عليه ، فقولك عن هذه الفلسفة او تلك ، انها فلسفة علمية قول باطل من الاساس ، وهو قول ليس علميا ،ولن يكون باية حال .

ومن هنا ، ندرك سعة وعمق الهوة التي يسقط فيها ـ عادة ـ المنظرون والكتاب والمفكرون حينما يزعمون أنهم ينتجون أو « يبدعون » فلسفة علمية ويعتنقون أو « يومنون » بفلسفة علمية .

وحينما نحشر العلم فى هذه المتاهات اللا محدودة ، وننزل به من قمة اليقين والجزم ، والقطع والحسم ، الى حضيض الشك والاخذ والرد والحلم والهذيان ـ احيانا ـ نسيىء الى انفسنا ايما اساءة ، ونحتقر عقولنا احتقارا لا يليق بالانسان من حيث هو انسان وكفى .

وهكذا ، فليست الماركسية علما ، ولن تكون ، وليســت ثمــة اشتراكية علمية ، ولن تكون ، وليست الدراسات والابحاث النفسيــة والاجتماعية والسياسية علوما ولن تكون . وانما هي جميعا لا تعدو أن تكون نظريات وفروضا وتخمينات واجتهادات وتأويلات وتحليلات ، تخضــع لقانون الخطا والصواب والجرح والتعديل ، والاخذ والرد والبحث والنظر، كما هو الشان ، دائما بالنسبة لكل نظرية او اجتهاد فى أي فرع من فروع المعرفــــة .

● لناخذ على سبيل المثال لا الحصر النظريــة الماركسيــة اللينينية ، هل يمكن الجزم بعلميتها وموضوعيتها وعدم قابليتها للنقــد والتحليـــــل ؟؟

ان من يقول بذلك واحد من اثنيــن :

— رجل واقع تحت تاثير احد الضغوط والعوامل التاليــة : الجهل ، الغفلة ، الغباء ، الغرور ، العناد ، التضليل ، التزييف ، غسل الدمــاغ ... الخ .

— رجل واقع تحت تاثير التبعية ، الانبهار ، فقــدان التوازن ، انعدام الثقة بالـــذات . اما العملاء الماجورون ، وسماسرة المذاهب ، وتجار الفكر ، ومقاولو الثقافة ، والضاربون على كل دف ، والنافخون فى كل مزمار ، فلا شان لنا بهم فى هذا المجال ، لانهم « يستحقون » وقفة تحليلية تضيق عنها هذه الصفحات ، ولاننا - من جهة اخرى - نتعامل هنا مع ذوي الفكر وارباب العلم والمثقفين عموما .

● ان اعادة النظر فى النظرية الماركسية اللينينية من الظواهر البارزة فى المعسكر الاشتراكي ، فليست هناك مفاهيم موحدة حــول النظرية ، وهذا يعني أن المسالة غير منتهية ، ومن ثم لا يجــوز عقــلا التسليم بها جملة وتفصيلا ، كانها آخر ما وصل اليه الفكر الانساني ، او كانها اقصى ما يمكن ان يدركه العقل البشري .

هـــذا حجــر على العقــل ..

وهذا ارهاب وتضييق للخناق على ذوي العقول النيرة ، والارادات القوية ، والمواهب النادرة ..

ثم انه يمكن النظر الى المسالة من زاوية اخــرى .. وهـــي أن الماركسية ليست ماركسية وكفى .. ولكنها « ماركسية لينينية » ، وهذه الاضافة ، او هذا الجمع ، او قل هذا الخليط المتنافر ، يحمل فى طيته نقدا ضمنيا .. فهذه النظرية من عمل رجل اسمه ماركس وآخر اسمه لينين . وفى بعض الدول يضاف اسم ثالث الى التركيبة . ومن يدري ، فربما غدا او بعد غد تطول قائمة الاضافات ، وتمتد حتى يصعب مجــرد

النطق بها .. اما التطبيق فقد صعب منذ البداية ، ولا يزال صعبا ومثاليا وطوباويا ومغرقا فى الخيال .. الى يوم الناس هذا .

ونحن نتساءل هنا بحسن نية ـ وانما الاعمال بالنيات ـ : هـل يعقل أن تحتكم البشرية فى الحاضر والمستقبل الى نظرية من وضـع رجلين مهما كانا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة ، ورجاحة العقـل ، وبعـد النظـر ؟ ؟ ! .

اى علم هذا ؟ . وما نصيب الفلسفة الماركسية من العلم والموضوعية ما دامت خاضعة للزيادة والنقصان والتعديل والتصحيـح والحـذف والاضـافـة ! .
ان التكنلوجيا علم ، وهو علم مطلوب بالحاح شديد ، والاخذ به فرض كفاية ، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم موجـود بين ظهرانينـا لطالبنا بالتفوق التكنولوجي ودراسة علوم الفضـاء وأعمـاق البحـار ، والوقوف على أسرار الذرة والطب والفيزياء والكيمياء وطبقـات الارض والاحصاء والرياضيات .. الخ . وقد فعل عليه الصلاة والسلام ...

● وهكذا ، فاذا كانوا يقصدون « بالفكر العلمي » العلم المادي المجرد الخالص من الاهواء والاغراض والميول الذاتيـة والاشعاعـات الثقافية والحضارية فلا احد يجادل فى حتمية ذلك ووجوبه وفرضيته ، اما ان كانوا يقصدون بالفكر العلمي التصور الفكري للحيـاة والانسـان والكون فهذا تدجيل وشعوذة وضرب من الخرافة .. سواء كانوا يعلمون أو لا يعلمـون ...

ان تنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية واحكام الصلات بيـن الافراد والجماعات لا ينبغي ان يكون خاضعا للنزوات النفسية والشطحات الفكرية ورواسب البيئة والتكوين والوسط العائلي ، وأن الذين يصدرون فى تصوراتهم وافكارهم ونظرياتهم عن الحقد ويتعاملون مع العالـم بروح الانتقام والتشفي او بدافع الثورة والتمرد يسيئون الى انفسهـم والى مجتمعاتهم والى البشرية جمعاء .

ان الفكر الثوري ـ كما يزعم الزاعمون ـ ابعد ما يكون عن العلـم وروح الانصاف والموضوعية ، لسبب بسيط جدا يغفل عنه كثير مـن الناس ، وهو ان الانسان الثائر لا يملك من أمر نفسه شيئا ، لان الثـورة خروج عن الصواب ، والثائر خارج عن طوره ، بمعنى ان زمـام العقـل انفلت من يده ، وبات فاقد التوازن والقدرة على الانضبـاط والضبـط والربط ، وبعيدا عن الحكمة وحسن التدبير والتصرف . وعلماء النفس ، ومنهم طائفة من الملحدين ومن معتنقي الفكر الماركسي والشيوعي على العموم يذهبون الى القول بان الانسان فى حالة الغضب والثورة وهيجان النفس يفقد القدرة على التركيز والحكم السليم على الاشياء فكيف يمكن ان يتصرف المرء تحت تأثير هذه الحالة ؟ وكيف يمكن له ان يبني وينشيء ويحكم ويقدر الامور حـق قدرهـا ؟

● هذا التناقض المشين يقع فيه عادة ، المفكرون الثائـرون ، والقادة الثوريون وكل من انجذب الى طريقهم بتأثير التنويـم الفكـري والتخديـر السياسـي .

فكيف يا ترى نوفق بين الثورة والعلم ؟ وكيف يجوز الجمع بينهما ، والعلم أساسه العقل والحكمة وبرد اليقين وقوة الردع والكبح والضبـط والتحكم فى القلب والوجدان والعقل ؟ .

ان شعوب العالم الثالث ، وفى مقدمتها الشعوب الاسلامية فى حاجة ماسة الى ان تبني حياتها الجديدة على أساس العلم والتكنولوجيا لا على أساس الخرافات الجديدة المعروضة فى اطار نظريات علمية غير قابلـة للنقـد .

دعوة الحق

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

يعين السيد محمد المرابط كاتبا عاما لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

● عين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله السيد محمد المرابط كاتبا عاما لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، خلفا للسيد محمد محيي الدين المشرفي .

وقد استقبل جلالة الملك حفظه الله السيد المرابط وزوده بنصائحه الغالية منوها بخبرته الادارية وثقافته الواسعة وتجربته الطويلة في عدة مهام بوزارة الداخلية ابتداء من تاريخ استقلال المغرب سنة 1956 .

وقد جاء في كلمة جلالة الملك بخصوص وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية :

« .. اما وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فهي الآن مقبلة على التجديد ومراجعة المقاييس والنظر في عدة وجوه للاوقاف وخاصة منها الوجه الاقتصادي والوجه العقاري ووجه الاعمال الاجتماعية ..

ولي اليقين ان السيد المرابط لما له من معرفة بشؤون الداخلية وتجربته في الشؤون الادارية سيسهل مأمورية وزيره السيد رمزي ... »

وقد جرى الاستقبال الملكي للسيد الكاتب العام الجديد لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بحضور السيد امحمد باحنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالنيابة اثناء سفر الدكتور احمد رمزي الى دولة اتحاد الامارات العربية حيث حضر الاجتماع الدوري الثالث للجنة المشتركة لصندوق احياء التراث العربي الاسلامي .

وبمجرد ان عاد السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي الى أرض الوطن نصب السيد محمد المرابط الكاتب العام الجديد للوزارة في حفل عام تبودلت خلاله كلمات السيد الوزير والسيدين محمد المرابط ومحمد محيي الدين المشرفي ، وذلك بحضور مدير الشؤون الاسلامية السيد محمد يسف ورؤساء الاقسام بالوزارة ونظار أوقاف المملكة ورؤساء المصالح والموظفين .

وقد حث السيد الوزير في كلمته اطر الوزارة على التعاون المثمر مع السيد الكاتب العام واهاب بجميع الموظفين رؤساء ومرؤوسين ان يلتزموا الجدية ويراعوا المسؤولية ويتحلوا بالضمير المهني اليقظ مشيرا الى وجوب التمسك بالتوصيات الصادرة عن مناظرة نظار أوقاف المملكة التي انعقدت اخيرا بمقر الوزارة .



والاستاذ محمد المرابط الكاتب العام لوزارة **الاوقاف** والشؤون الاسلامية من مواليد 1923 بازمور .

— تابع دراسته الثانوية بثانوية مولاي يوسف ، ودراسته العليا بمعهد الدراسات المغربية (كلية الآداب بجامعة محمد الخامس) .

— انخرط فى سنة 1956 فى سلك الشرطة .

— فى 1963 احرز على رتبة عميد ورئيس الامن الاقليمي .

— فى 17 مارس 1967 عين عاملا على اقليم الناضور .

— فى 3 غشت 1971 اسندت اليه مهام الكتابة العامة لوزارة الداخلية .

— فى فاتح اكتوبر 1974 عين عاملا على اقليم فاس ، وهو المنصب الذي ظل يشغله الى ان عينه صاحب الجلالة نصره الله يوم الاربعاء 28 ربيع الاول 1398 (8 مارس 1978) كاتبا عاما لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

في خطاب العرش المجيد، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يشرح أهداف :

معركة التنمية الاقتصادية والفكرية على جبهة واحدة

حققت أمل والدي في تنظيم الملكية الدستورية

●● ابرز جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب العرش يوم 3 مارس المنصرم عزم المغرب على التصدي لقوى العدوان والغدر والتآمر، وأكد ـ حفظه الله ـ أننا مستعدون للبذل والعطاء بغير حساب في سبيل حماية المكتسبات وصيانة الوحدة الترابية للمملكة .

وبقدر ما قدم جلالته صورة مشرقة للتطور الاقتصادي الذي يشهده المغرب الجديد، أوضح حرصنا المتين على التشبث بالاصالة والاخذ بأقوم السبل التي تحفظ علينا ديننا ولغتنا وتراثنا .

ولقد كان خطاب العرش لهذه السنة وثيقة سياسية ووطنية من الاهمية القصوى بمكان بالنظر الى شمولية القضايا والمواقف والاختيارات التي تطرق اليها واعتبارا لطابع الوضوح والعمق الذي اصطبغ به .

وفيما يلي النص الكامل لهذا الخطاب التاريخي الهام نقدمه لقراء مجلتنا كوثيقة من وثائق تاريخ المغرب الحديث، تغني الباحثين وتبسط امامهم الخطوط العريضة لسياسة المغرب وطنيا وعربيا واسلاميا وافريقيا وعالميا :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز ...

كتب الله لنا وله الحمد على ما هيأ ويسر أن تجتمع قلوبنا في مثل هذا اليوم من كل عام مفعمة بالمسرات، وتلتقي أرادتنا متطلعة الى أبعد الغايات للاشادة بذلك الائتلاف الذي أحكم الله آصرته منذ سبعة عشر عاما والاحتفاء بذلك الامل المشترك يومذاك بين الملك الناظر الى شعبه بعين الرعاية، الشامل له بكل ما يسعه الفؤاد من حدب وعطف وبين الشعب العاقد بهمة ملكه وعزيمته تحقيق كل مطمح

عزيز من مطامحه الباذل لكل علق نفيس من اعلاق ثقته ووفائه واخلاصه .

ولئن كان احتفالنا اليوم بذكرى اتحاد مشاعرنا ومشاعرك واتفاق مقاصدنا ومقاصدك مستجيشا للفرح والابتهاج فانه آلى ذلك باعث للافتخار والاعتزاز بما طويناه نحن واياك من مراحل عاما بعد عام ، وداع للتفاؤل والثقة بنجاح ما ستتولاه جهودنا المتجددة الدؤوب من ارساء لاساس وتشييد لصروح فتوافينا اليوم فى كل قرية ومدينة من قرى ومدن مملكتنا وفى كل بقعة من بقاع وطننا لاطلاق العنان لمسرتنا واستبشارنا ولتوكيد الحمد لله الذي آتانا من نعمه ما آتانا ستعقبه العودة غدا الى ما هو مفروض علينا من واجبات وملقى على عواتقنا من اعباء ومسؤوليات اية ما كانت منزلة كل واحد منا من منازل المشاركة والاسهام فى رقي المجتمع ورفاهيته .

وما اكثر ما تقتضيه مصلحة بلادنا من جهود وما اجل ما هو موكول الينا من استبسال ترجيحا لكفة الايثار وتغليبا لنوازع التضحية والعطاء والاسترخاص .

لقد طفقنا منذ اعتلائنا لعرش اجدادنا المنعمين ناخذ بيدك شعبي العزيز نحو الطريق المؤدي الى علو شانك ونباهة ذكرك مرغبين باستمرار فى استعمالك لانجع الوسائل لبلوغ هذه الغاية المثلى وكنت دائما نعم السامع المستجيب ونعم الشعب المومن بان السرى يحمد عند الصباح وبان الثمار الطيبة اللذيذة لا تبلغ النضج والادراك الا مع السعي الحميد والجهد الجهيد . فسرنا على بركة الله تتضافر آمالنا وتتناصر اعمالنا ، وشرعنا نحقق الاهداف تلو الاهداف ونبلغ من مقاصدنا المحددة المرسومة الغاية تلاحقها الغاية. ونمد من الاسباب ما هو كفيل بتمهيد السبيل لمستقبل وارف الظلال زاهر بالغدو والآمال .

ولئن اعترضت بعض المحاولات ورامت باعتراضها هذا أن تحول بيننا وبين ما كنا منصرفين اليه فان مصلحة البلاد أهابت بنا أن نستمر فى توطيد عزمنا وتحصين بنياننا .

وهكذا تكسرت النوايا الخسيسة والتصرفات الهوجاء بشملنا الجميع وصفنا المرصوص وشجاعة قواتنا اليقظة الساهرة فلم يستقم لها سبيل ولا تيسر من مامولها كبير ولا قليل وباءت الاحلام العدوانية والاهواء الجامحة بالفشل الذريع والخسران المبين . وطفقنا نكافح طيلة مدة تزيد على سنتين من أجل حماية المكاسب والصيانة لحوزة التراب وملاحقة المسير طلبا لاستمرار العمل الانمائي الشامل لمختلف الوجوه والمجالات التي انتهى اليها انتقاؤنا واستقر عليها اختيارنا . وها نحن أولاء نواصل الكفاح فى واجهتي الوقاية والصيانة والانجاز والتحقيق لهدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة لا يثني عزمنا ولا يفل حدنا تطاول من طامع مغامر ولا عدوان من متسلط جائر .

وان المعركة التي يؤمل المعتدون صرفنا بشنها آثمين مجرمين عن اغراض الرغد والرخاء والازدهار لمعركة لن تعود على مؤججي ضرامها ولهيبها بغير العار والاندحار . وليست شعبي العزيز المعركة باول معركة تخوضها على امتداد تاريخك المجيد . فقد خضت غيرها بشجاعتك المأثورة التي عطر ذكرها الآفاق ونفذت من كل صراع نزلت الى حومته مدافعا عن مثل أعلى ، او مناضلا عن حق مشروع موفور الكرامة منصور الالوية والاعلام وسنظل نحن وآياك بعون الله لما استحكم بيننا من اواصر القلب والعقل وتوثق من وشائج متاصلة عريقة متبوئين للمستوى الذي توجبه الاحداث راكبين للمسلك الضامن لما هو عائد على وطننا بالخير الوفير رغم انوف الذين اتخذوا المكابرة والعناد والفساد عقيدة يعتقدونها ومطية يمتطونها .

ويؤكد يقيننا هذا ، انك تدرك كامل الادراك ، ان مواجهة من قبيل التي نخوضها تستلزم ان يعبأ لها جميع ما نستطيع من جهود ونقدر عليه من صبر ومصابرة . كما تستلزم أن تجند لها مختلف الامكانات وتسترخص من اجلها تضحيات وتضحيات ، ان رقعة الميدان متسعة اتساعا لا يغيب عنك مداه ، وان المؤازرة والمناصرة المتبادلتين بيننا وبين شقيقتنا الجمهورية الاسلامية الموريتانية بحكم عهود ومواثيق كل هذا خليق بان يحملنا نحن واياهم على نكران الذات والنهوض بالاعباء والمسؤوليات على النحو الذي يتفق وما اثر عنا فى غابر الازمان وحاضرها من نبيل الخلائق والسجايا .

واذا كان المشكل القائم بين المغرب وموريتانيا من جهة وبين الجزائر من جهة أخرى قد تقرر فيما

يتصل به ان ينعقد اجتماع لمنظمة الوحدة الافريقية في مستواها الاعلى ، يستهدف القضاء على التوتر السائد بالمنطقة ورجوع الامن والسلام اليها . فاننا راغبون في انعقاد هذا المؤتمر ، مستعدون للادلاء في حظيرته بوجهة نظرنا مدعمة بالبراهين والادلة على اننا متمسكون بحق واضح مشروع .

وسيجدنا هذا المؤتمر متاهبين لكشف التلبيس . مصممين على احقاق الحق وازهاق الباطل، راغبين الى هذا كله في عودة السلام الى المنطقة على اساس التسليم بما لنا من حقوق ثابتة ، لا نرى الى التنازل عنها كلا او بعضا من سبيل .

ومهما يكن من شيء فاننا نواصل لصحرائنا من عنايتنا واهتمامنا ما نوليه غيرها من اجزاء ترابنا الوطني . ومنذ ان استقرت بالصحراء اقدامنا بعد مسيرتنا التاريخية الظافرة الخضراء واستعدنا جميع ما كان لصديقتنا الحميمة الدولة الاسبانية من سلط ومسؤوليات بحكم الاتفاق المبرم معها في شهر يونبر سنة 1975 شرعنا في تجهيز الصحراء تجهيزا ينتظم جميع المجالات ويشيع فيها تلك الروح التي الفنا اشاعتها في مختلف اقاليم مملكتنا . وبعد ان نظمناها تنظيما اداريا اتجهنا في آن واحد الى المجال الاجتماعي والمجال الاقتصادي واخذنا نبث في جميع انحائها المدارس والوحدات الصحية . ونعنى بالفلاحة وغرس الاشجار والتنقيب عن المعادن وشق الطرق وربط الشمال بالجنوب . وقد عقدنا النية على مد الاسباب تلو الاسباب حرصا منا على ان يرتفع مستواها وتعلو مكانتها حتى تصبح بفضل التجديد والتحديث اقليما ملحوظا بين اقاليمنا الواعدة ولن نرتاح كامل الارتياح الا اليوم الذي سنرى ساحل بحرها مرصعا بالموانىء ونشاهد رحابها حافلة بالعمران ، متحركة بالتجارة والصناعة تجري فيها حياة دائبة متصلة ، وسيكون من دواعي اعتزازنا ان يواظب ابناؤها على اقتناء ضروب العرفان ويساهموا بعد الخبرة والتكوين في جميع ما يتطلبه مغربنا الجديد من جهود خصبة واعمال مثمرة .

عرضنا شعبي العزيز في خطاب العام الماضي لموضوع اهتمامنا الكبير بصحرائنا ، ونحن اذ نتناوله مرة اخرى انما نقصد الى تاكيد العناية بكل شان من شؤون هذا الجزء المستعاد من وطننا . وكما وقفنا منذ عام عند الصحراء موضحين لمنجزاتنا واغراضنا ومطامحنا فاننا وقفنا وقفة غير قصيرة معلنين لرغبتنا في قطع المراحل الباقية لبلوغ هدف هام الا وهو اقامة جميع المؤسسات الديمقراطية وتنظيم الملكية الدستورية . ويسرنا بالغ السرور ان يشهد القريب والبعيد اننا ادركنا الغاية التي كنا نتطلع اليها ، وها هي الآن مؤسساتنا النيابية مكللة بمجلس النواب الذي افتتحنا دورته الاولى في شهر اكتوبر الاخير تزاول المهام الموكولة اليها باحكام القوانين الدستورية فاذا نحن قصرنا النظر على مجلس النواب تبين لنا ان الاعمال التي مارسها ابتداء من التنظيم الداخلي وانتهاء الى درس الميزانية والتصويت عليها بعد الاستيضاح والاستفسار والمناقشة . اعمال تطلبت جهودا كبيرة صرفت بالنهار والليل حرصا على ان يتم الاتفاق على ميزانية السنة الحالية عند انتهاء السنة المنصرمة . ويطيب لي بهذه المناسبة ان ننوه بما تجشمه اعضاء السلطتين التنفيذية والتشريعية في هذا الصدد من مشقة وعناء . ونثني الثناء الجميل على ما اتسمت به أعمالهم من فاعلية . واسفرت عنه من نتائج ايجابية .

وسيكون على نواب الامة ان يعكفوا بالدرس في اثناء الدورة المقبلة على مشاريع قوانين تقدمها الحكومة او على اقتراحات قوانين تصدر عن مجلس النواب .

ثم عليهم الى هذا ان يفحصوا مشروع المخطط الخماسي الذي سيجري به العمل ان شاء الله ابتداء من هذا العام ، ويتدارسوا ما هو قائم عليه من اختيارات ، وما هو وارد به من تقدير لتمويل المشاريع والاستثمارات وان انصراف اعضاء الحكومة واعضاء مجلس النواب الى ممارسة هذه المهام باعمال النظر والتفكير والاخذ والرد سيكون الشغل الشاغل لاولئك وهؤلاء خلال الاشهر القادمة . وسيقتضي منهم جميعا ولا شك ان يعملوا باستمرار حتى تفضي جهودهم الى اعتبار مصلحة الوطن والمواطنين وافرادها بالايثار والتفضيل . والله المسؤول ان يعينهم على الاضطلاع بالمهام وتحمل اعبائها الجسام ، ويكتب لهم السداد والتوفيق ، وحسن التعايش والوئام .

وما احراك بان تسال - شعبي العزيز - ونحن مقبلون على تطبيق مخطط خماسي جديد عما افادته البلاد من مشاريع وبرامج المخطط الذي انتهى العمل به بانتهاء السنة المنصرمة وعما ترتب عن مختلف

الاستثمارات العمومية وشبه العمومية والخاصة . لك ان تسأل هذا السؤال لان تنفيذ مخططاتنا يعنيك كما يعني أبناءك والاجيال الصاعدة . ونعتقد ان الواجب يقضي بان يشتمل خطابنا هذا على جواب يخلو له ذرعك وتطمئن اليه نفسك الا اننا سنجيبك موضحين مجملين غير مفصلين . لان البيانات المسهبة والايضاحات المستقصية ، معروضة على استفهامك واستعلامك فيما تذيعه حكومتنا من مراجع ومطبوعات ونشرات .

وقبل الشروع في اطلاعك على ما انجزناه في مختلف الميادين نود ان نشير بادىء ذي بدء الى ان السنوات الخمس الماضية انطبعت بتقدم هام حققناه انطلاقا من التوجيهات العامة للمخطط التي توخت تعبئة جميع الطاقات الانتاجية للبلاد . مثلما توخت توزيعات لثمار التوسع الاقتصادي أكثر انصافا في دائرة عدالة اجتماعية حقة . وهكذا فقد ارتبطت انجازاتنا بجميع وجوه الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية .

بيد أن نقصين كان لهما تأثير في انتاجنا الاجمالي . اولهما نقص في المحصولات الزراعية طيلة ثلاث سنين . وثانيهما نقص طرا على حجم ما نصدره من الفوسفاط الى الخارج . وعلى رغم ما ترتب عن هذين العاملين من نتائج فان نسبة نمو انتاجنا الاجمالي ظلت مدة السنين الخمس السالفة على جانب ذي بال من الاهمية .

واذا كان معدل الاستثمارات قد ارتفع بصورة ليس لها نظير فان ميزانية الدولة الخاصة بالتجهيز اتسع حجمها حتى بلغ مجموع نفقات الاستثمار التي تحملتها الدولة وحدها فيما يتصل بالفترة الخماسية المنصرمة ما يعادل على وجه التقريب خمسة وثلاثين مليار درهم ، وهو مبلغ يساوي سبع مرات نفقات الاستثمار الخاصة بالفترة الخماسية الممتدة من سنة 1968 الى سنة 1972 .

واليك شعبي العزيز بعد هذا التمهيد أهم ما انجزناه وتتابع انجازه انطلاقا من المخطط الخماسي الذي انتهى الى امده .

شعبي العزيز لقد واصلنا تشييد السدود وفرغنا من بناء ثلاثة منها وهي سد ادريس الاول وسد يوسف بن تاشفين وسد سيدي محمد بن عبد الله والعزم وطيد على اتمام ثمانية سدود اخرى هي الآن في طور البناء نقتصر على ذكر ثلاثة منها هي سد وادي المخازن وسد المسيرة الخضراء وسد محمد بن عبد الكريم الخطابي على وادي نكور .

وقد صاحب هذا الانجاز سقي الاراضي الزراعية وتجهيزها باكثر ما يمكن من سرعة وبذل مجهود خاص في مجال تربية المواشي سيزداد ازديادا ملموسا باحداث وحدات كبيرة لانتاج اللحوم والالبان .

وفي ميدان الصناعة حققنا وما نزال نحقق مشاريع كبرى ستكون لها آثار اقتصادية واجتماعية ذات شان كبير ويتعلق الامر بانشاء وتوسيع معامل لانتاج الاسمدة والحامض الفوسفوري والكلور صودا والسكر والاسمنت وتكرير النفط وهذا الانشاء وهذا التوسيع العائدان على البلاد بخير عائدة توخينا مباشرتهما في جهاتنا الجنوبية والوسطى والشرقية توسيعا لمصادر انتاجنا وتيسيرا لحصول الفائدة المرجوة من وراء ذلك لتلك الجهات وسكانها .

وقد كانت أهم المشاريع فيما يتصل بالتجهيز متعلقة باحداث موانىء جديدة بالناضور والجرف الاصفر وطانطان وطرفاية وتوسيع موانىء الدار البيضاء وأكادير وآسفي . واننا لنامل ان يتم في الخمس سنين المستقبلة بناء ميناءين احدهما بالعيون والآخر ببوجدور . ومن اهم المشاريع المتعلقة بالتجهيز بناء الطريق السيارة بين الرباط والدار البيضاء ومد سكة حديدية ثانية بين هاتين المدينتين، وعزمنا مشدود الى الشروع في بناء السكة الحديدية بين مراكش والعيون وهي سكة يفرضها مغربنا الجديد ووحدة ترابنا الوطني .

وقد تقدم اطلاعك ــ شعبي العزيز ــ على ما تزخر به بلادنا من احجار نفطية ويسعدنا أن نخبرك اليوم بان الدراسات المتعلقة باستخراج النفط من ذخيرتنا العظيمة من هذه الاحجار قد افضت الى اطمئناننا وادخال السرور علينا . وستفاجأ ــ شعبي العزيز ــ احسن المفاجآت بما ستدر هذه الاحجار على بلادك من خير كثير . ويسعدنا من جهة أخرى أن نحيط علمك بان الدراسات مستمرة فيما يتصل باستخراج مادة الاورانيوم من الفوسفاط ومادة الاورانيوم لا تعزب عنك اهميتها ولا يغيب عنك ما

يمكن أن يتوافر لنا من طاقة ستفيدنا بها هذه المادة لما لنا من ثروة فوسفاطية طائلة .

ولم يقتصر اهتمامنا الكبير على القطاع الاقتصادي وانما واكبه اهتمام منا يساويه بالقطاع الاجتماعي . ذلك ان البرامج التي حرصنا على تنفيذها في هذا المجال فاقت من حيث الاهمية البرامج المنجزة في فترة المخطط الخماسي السابقة لفترة مخططنا الاخير . ومصداق ذلك ان الاعتمادات التي رصدت للمخطط الاخير تضاعفت بنسبة ستة عشر في حين أن الظرف المالي كله باستثناء الاعتمادات المرصودة للدفاع الوطني لم يتضاعف الا بنسبة أربعة . انفقنا هذه الاعتمادات في وجوه ثلاثة وهي : السكنى والتعليم والصحة العمومية . فقد اعددنا أكثر من مائة الف قطعة ارضية وبنينا ستة عشر الف سكن شعبي وجلبنا الماء الصالح للشرب لعدد كثير من الجماعات الحضرية والقروية .

وقد كان عدد طلابنا لا يتجاوز في سنة 1973 خمسة وعشرين الف طالب (25 000) فارتفع هذا العدد في العام الماضي الى سبعين الف طالب (70 000) يضاف الى هذا أننا بنينا او شرعنا في بناء كليات ومعاهد للتعليم العالي في كبريات المدن. وانا لنرجو من وراء هذا الانجاز نوعا من اللامركزية ، يتيح لطلبتنا الالتحاق بالكليات والمعاهد العليا المفضلة لديهم دون اضطرار الى الازدحام على كليات الرباط ومعاهده . هذا وقد شيدنا ما يزيد على 11 200 قسم للدراسة في الطورين الابتدائي والثانوي .

وحرصا منا على ان تتسع المراكز الصحية وتقوم بالعلاج الذي يتطلب الايواء . فاننا اضفنا الى عدد الاسرة تسعة آلاف وخمسمائة سرير فبلغ بذلك عدد الاسرة في بلادنا اثنين وثلاثين الف سرير ، أي سرير واحد ل 562 شخصا وهذا بالنسبة لثمانية عشر مليون من السكان نسبة قليلة جدا .

ومن حسن الحظ ان تنشيط الاستثمار لم يستتبع اختلالا في التوازنات الاساسية خاصة منها النقدية والمالية . فقد ظل ميزان الاداءات متوازنا على الرغم من عجز متزايد في الميزان التجاري ناشىء بصورة خاصة عن استيراد ضخم لادوات التجهيز الضرورية لنمونا الاقتصادي . اما استدانتنا من الخارج فقد حصرناها في حدود مقبولة . وهكذا استطعنا ان نبقى عملتنا متينة ثابتة مستقرة . ولو اننا أردنا أن نعرض لجميع ما اتخذناه من تدابير وباشرناه من اصلاحات على امتداد المخطط الخماسي الذي بلغ مداه لطال العد والاحصاء وحسبنا ان نشير الى استرجاع أراضي الاستعمار جميعها . والى مغربة القطاع التجاري وتمديد مياهنا الاقليمية ، ومشاركة عمال الفلاحة والفلاحين في رؤوس أموال بعض مؤسسات الدولة . والى المحافظة على أثمان بعض المواد الغذائية الاساسية ، ومواصلة توزيع الاراضي على صغار الفلاحين وتشجيع الانتاج الزراعي واتباع سياسة التنمية الجهوية . واضافة برامج خاصة في هذا الاطار الى البرامج العامة للدولة والجماعات المحلية . حسبنا ان نشير الى هذه المجموعة من التدابير والاصلاحات التي ذللنا بها امامنا بمختلف ما فرغنا من انجازه او اخذنا في اتمام انجازه لتعلم ـ شعبي العزيز ـ اننا حققنا واياك تقدما مرموقا لبلادنا على ما لقيناه من صعاب بسبب ما تعرض له الاقتصاد العالمي من اضطراب ومنى به انتاجنا الفلاحي من نقصان .

تلك كانت ـ شعبي العزيز ـ نظرة القيناها على الماضي القريب لم نقصد بها الى الاحاطة والشمول وانما قصدنا بها ان ندل بعض الدلالة على معالم الطريق التي سرنا على محجتها وما زلنا نسير الا ان حاجاتنا المستقبلة ستكثر وتزداد بتواصل الايام وتلاحق الاعوام . فاذا ذكرت ان عامنا هذا لا يفصل بيننا وبين حلول القرن الواحد والعشرين الا فترة تزيد بقليل على عشرين سنة وان نمونا الديمغرافي المرتفع سيتصل خلال هذه الفترة اتصالا لا يتوقع ان ينقطع ادركت ـ شعبي العزيز ـ لا محالة ان تفكيرنا ينبغي ان يعبأ ويمتد بعيدا لا للتعرف على الحتميات المعلومة بالضرورة ولكن لابتكار الحلول الكفيلة بتامين الاستثمار وضمان التغذية والتربية والعلاج والاسكان. وهي حلول لا مفر من ايجادها على المدى القريب والمدى البعيد ولا مناص من نظمها في نظام مخططاتنا المقبلة ، وتبيين الخطى الواجب على الامة أن تخطوها في كل مرحلة من مراحل الاحتياج والمواجهة ولا شك ان من أسباب ضمان التغذية وارتفاع الدخل القومي والاسهام في الاكتفاء استدرار عطاء أرضنا احسن وأوسع ما يكون الاستدرار واستغلال كل بقعة مهجورة مهملة من بقاع ارضنا بما يتحتم من استغلال دائب

فعال والاستفادة اقوى ما تكون من جميع ثرواتنا ما ظهر منها وما هو فى طريق الظهور . وهـــي ثروات والحمد لله كبيرة وكثيرة عرفنا بعضها كامل المعرفة ونسعى سعيا حثيثا لمعرفة بعضها الآخر على وجـــه التدقيق وتقدير ما يمكن ان يعود به علينا من عائـــد ومـــردود .

شعبي العزيز ..

اذا كانت حقبة المخطط الخماسي اخيرا قـــد شهدت ألوانا شتى من الجهود التي بذلناها مخلصين لتيسير أسباب النمو الاقتصادي والاجتماعي وبلوغ ادعى الغايات الى المسرة والاعتزاز فان العام الفارط قد حفل بالاحداث الكبار التي شدت اليها الانظـــار والافكار ، وامتلأ باللقاءات الكبيرة الملحوظة التـــي تتابعت على أرضنا وعلى غيرها من الاوطان الشقيقة والصديقة . وقد كان العام الماضي بسبب هاتيـــك الاحداث وبسبب زيارات الشخصيات السامية التي حلت ببلادنا وتنقل الوفود التي استقبلناها والوفـــود التي وجهناها لمختلف الاقطار العربية والافريقيـــة ، بالاضافة الى المؤتمرات التي انعقدت فى ديارنا عاما يقل نظيره بين الاعوام السالفـــة . واول الاحـــداث الهامة التي شهدها العام المنصرم الاعتداء الـــذي تعرضت له دولة الزايير الصديقة واستهدف فيمـــا استهدف فصل اقليم شابا عن التـــراب الوطنـــي الزييري وبعد ما اعلن الرئيس موبوتـــو استنجـــاده بأصدقائه تصدينا لمناصرته ومؤازرته انطلاقا ممـــا بيننا وبين الرئيس وشعبـــه من أواصـــر المـــودة ومن احساسنا بان العدوان اذا نجـــح فى تمزيـــق وحدة الزايير لن يلبث أن يتطاول بالتهديد الى جيرة هذا القطر الاشقاء . فارسلنا تجريدة مـــن قواتنـــا المسلحة الملكية لتشارك قوات الزاييـــر فى صـــد العدوان وتثبيت الامن والاستقـــرار . وكتـــب الله لتجريدتنا ما عود قواتنا المسلحة من نصـــر مؤزر فانتهت المعركة التي خضناها وفاء للحق والعدالة الى نهايتها المطلوبة وهي صيانة وحدة الزايير واقـــرار الامن والطمأنينة بارضه بعد أن اوشك العدوان أن يبلغ اغراضه الاولى .

وحدث فى أواخر السنة الماضية حادث لفت الانظار واثار الاعجاب والاكبار وتعلقـــت به آمـــال المحبين للسلام والمتطلعين الى استتباب الامن بصفة نهائية فى منطقة الشرق الاوسط . ذلك الحادث هو المبادرة التي اتخذها اخونا وصديقنا الكبير الرئيس محمد أنور السادات . فقد أعلن هذا الاخير اعتزامه لزيارة القدس والتفاوض مع قادة اسرائيل للوصول الى حل يضع حدا للنزاع القائم بين العرب واسرائل منذ ثلاثين عاما . وبادرنا على الفـــور الى تاييـــده وتشجيعه اعتقادا راسخا منا ان الغايـــة من اتخـــاذ المبادرة ليست هي الدفاع عن المصالح المصريـــة الصرفة ، وانما القصد منها أعم واشمل ، الا وهـــو ايجاد حل مع المخاطب الاسرائيلي على اساس مـــا اسفر عنه من توصيات وقرارات مؤتمر القمة المنعقد بالرباط عام أربعة وسبعين وتسعمائة والف (1974) ولكن مبادرته هذه وان ادركت الدول الغربية وبعض الدول العربية ما اتسمت به من اقدام كبير وشجاعة نادرة حكمت عليها دول عربية أخرى حكما مسبقـــا وفهمتها فهما غير صحيح وتناولتها بالتنديد والاستنكار وذهب الرئيس الى القدس والقى خطابه التاريخـــي الذي جاء محققا للآمال مصدقا للاعتقاد وابلغ مسامع الدنيا من الارض المحتلة مطالب العرب جميعا وأعلن ما لهم من حقوق مشروعة وتطلعات معقولة لم يغفـــل هدفا واحدا من أهدافهم ولم تبد منه وهـــو يجادل مجاملة أو مداراة فى حمل مخاطبيه على الاقتنـــاع بالتصالح الذي يوطد دعائم الســـلام ، واستمـــرت المفاوضات بعد اياب الرئيس الى مصر لكن اسرائيل لم ترتفع الى مستوى خطوته الشامخـــة ، فتعثرت المفاوضات واخذت جذوة الامل تخبـــو لتصلـــب اسرائيل ووقوفها وقوف التعنت الذي لا يعتمد على مبرر ، يمكن قبوله والتسليم به .

وستبقى مبادرة الرئيس محمد انور السادات فى ضمائر ذوي الاحلام الراجحة والنفوس المستنيرة رمزا لارادة السلام وشعارا للرغبة فى احلال التصالح والوئام مكان الكراهية والتنافر والخصام .

واذا كانت حاجتنا ماسة بالامس الى ائتـــلاف الصف والتئام الصدع فهي اليـــوم أمس . وقـــد اتضحت أهداف المبـــادرة واقتضـــى الحال الى اجتماع كلمة العرب أجمعين وتكتلهم امـــام الاصرار والعناد وايثار الصلف والصمم والنشوز والسيطرة على التعايش والامن والتفاهم والوفاق .

وعسى الله أن يمن علينا بفتح من عنده ويثيب النوايا الصالحة والجهود المصلحة اوفر وأجمل ثواب.

ان كل مسعى ـ شعبي العزيز يرمي الى توثيق روابط الالفة والصداقة وتوسيع آفاق التعاون وارساخ دعائم التعامل بين بلدين ارساخا يتحدى تعاقب الاجيال والعصور لمن المساعي التي يمكن ان يعتد بها الانسان ويتوقع منها الاثر الحميد . وقد توخينا من زيارتنا الاخيرة لاسبانيا ومحادثاتنا مع صديقنا العزيز صاحب الجلالة الملك خوان كارلوس الاول أن نعمل خلال هذه الزيارة وان لم تكن زيارة رسمية على تمتين أواصر المحبة والصداقة التي تصلنا باسبانيا ملكها وشعبها وعلى توطيد علاقات التعاون بين بلدينا وخلق الوسائل والاسباب الكفيلة بارساء هذه العلاقات على قواعد ثابتة راسخة لخير البلدين المتجاورين ارساء يتصل ما تجدد الملوان وتلاحقت الاحقاب والازمان .

تعلم ـ شعبي العزيز ـ أن استرجاعنا للصحراء بعد الاتفاق الذي أبرمناه مع اسبانيا يوم 14 نونبر 1975 لم يبق معه اي مشكل بيننا وبين جارتنا وصديقتنا فطوينا بعد تذليل العقبة التي كانت قائمة وسط الطريق صفحة قديمة ونشرنا صفحة جديدة لتسطير تاريخ نعتقد انه سيكون بعون الله حافلا بانواع كثيرة من التعاون معطرا باريج المودة الصادقة والتوافق المكين وقد سرنا سرورا عظيما ما لمسناه من تشابه استعدادنا واستعداد صاحب الجلالة عاهل اسبانيا وتماثل امالنا وآماله ومشاعرنا ومشاعره ولا مراء أن من شان هذا التوافق وهذا التصادق ان يطبعا بطابعهما الخاص كل عمل مشترك تتواشج عليه الارادات في المستقبل القريب والمستقبل البعيد .

بقي علينا أن نتوجه اليك في خاتمة خطابنا هذا مرشدين ناصحين وسائرين بك الى ما هو نافع لك اليوم ونافع لك غدا ، لقد استطعنا بعون الله ان نضع بلادنا على جادة الطريق المفضي الى تبوئها مقاما محمودا بين الامم والشعوب التي تخطو خطى حثيثة لتدارك النقص وتقليص الفوارق واختصار المسافات ولكن الدنيا التي تحتضن بلادنا كما تحتضن غيرها قد انتشرت فيها الوان من التفكير وانماط من الاحساسات والمفاهيم كما انتشرت فيها اشكال من الاخلاق والعادات ليس بينها وبين التراث الذي هو عماد أصالتنا وحضارتنا صلة نسب أو قرابة . اننا ننتمي ـ شعبي العزيز ـ الى أمة تعتز بما توارثته أجيالها كابرا عن كابر وخلفا عن سلف من قيم تالق نورها منذ اربعة عشر قرنا فبدد الظلماء وأماط الغشاء وأوضح سبيل السالكين ، الا أنه مضى علينا بعد خصب الافكار وازدهار العقول حين من الدهر ، اعترانا طواله الكسل والخمول واخذنا خلاله نوم عميق وطويل فلما صحونا وجدنا الشقة بيننا وبين الغرب بعيدة والهوة سحيقة فقادتنا الحاجة الى التماس المعرفة منه والحت علينا الرغبة في اللحاق به وادراك شاوه ، فداركنا الارتواء من حياضه ولكن ساقت الظروف الى التقليد الضرير الذي لا يميز بين الخبيث والطيب والغث والسمين واذا كنا قد اقتبسنا وما زلنا نقتبس ما فيه غنى وثراء فاننا اختطبنا من ردىء العادات وتافه الاوضاع والهيئات ما ينم على ضحالة الفكر وفاقة الوجدان ، وان أوجب ما يجب على أولياء الشباب وعلى المربين والمعلمين وقد ظهر من هذا الداء ما ظهر أن ينشئوا اطفالنا وناشئتنا على التمييز بين العرض والجوهر والتفريق بين الزائف والصحيح والصريح والهجين وكل تربية لا تقوم على أقوم المبادىء والقيم ولا تعتمد على تهذيب النفوس والاخلاق واعداد الشباب اعدادا ينمي فيهم صفات الرجولة الحقة ويؤهلهم للتعبئة الضرورية لكل عمل بناء تربية متخلية متنازلة عن أسلم الاهداف والغايات .

ليس بخاف عليك ـ شعبي العزيز ـ أن رجالا من قواتنا المسلحة الملكية ومن الدرك والقوات المساعدة يرابطون في صحرائنا المستعادة وقد نذر هؤلاء الرجال أنفسهم للدفاع عن حوزة ترابنا الوطني، لا يدخرون وسعا في الدفاع والصيانة ولا يبخلون ببذل وعطاء ، وجنود قواتنا المسلحة الملكية يرابطون الى ذلك في ارض شقيقتنا وجارتنا موريطانيا بجانب اشقائهم الموريطانيين تعزيزا لصفوف اخوانهم وتاييدا لكفاحهم وان قواتنا لتظهر هنا وهناك وحيثما اهاب بها الواجب من الاقدام والشجاعة ما يدعو الى الاكبار ، ونغتنم احتفالنا في هذا اليوم الاغر للتنويه بالقوات المسلحة الملكية والدرك والقوات المساعدة والثناء على ما يقدمه رجالها على اختلاف مراتبهم من خدمات جليلة لصالح الوطن والمواطنين ، وأن القائد الاعلى لهذه القوات لفخور بابنائه المناضلين ، ومعتز ببطولتهم وشاكر لما يبلونه من بلاء حسن صدا لعدوان المعتدين وضربا على ايدي الفاسدين المغامرين .

شعبي العزيز ...

تهيمن علينا كلما حلت ذكرى جلوسنا على عرش اجدادنا المقدسين روح والدنا جلالة محمد الخامس رضوان الله عليه فقد عاش لشعبه مناضلا عن حقوقه فى الحرية والاستقلال مكافحا لا يهاب صولة الاستعمار ولا يخشى بطش كل متغطرس جبار وتجرع مرارة الامتحان وتحمل بصبر المومنين الابرار قسوة النفي والابعاد عن أعز الديار والاوطان وكان من آثار ثباته وتضحيته ان عاد لارض آبائه وأجداده الكرام ظافرا باغلى امانيه وأماني شعبه . رحم الله بطل العروبة والاسلام وشهيد النضال الذي لا يضارعه نضال وبواه من جنته احسن وأعز مقام .

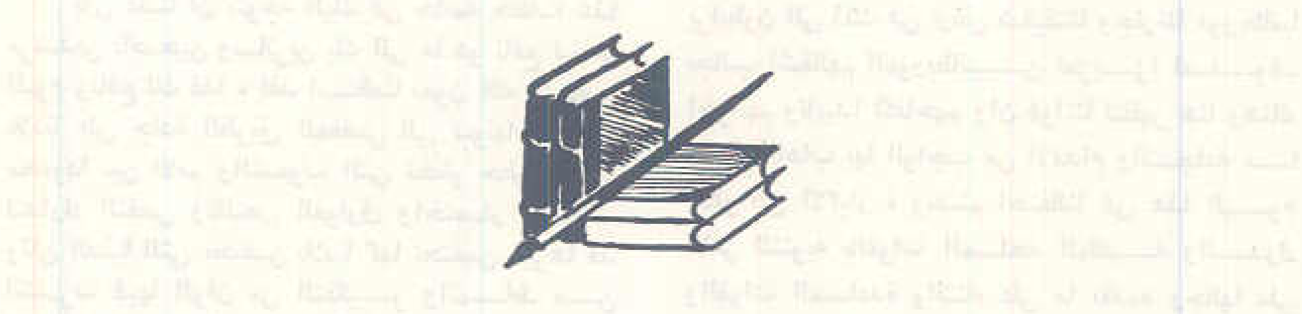
شعبي العزيز ...

لقد قيض الله لي ان أخلف والدي على عرش الدولة العلوية وأن احقق املا كبيرا من اماله كان لا يفارقه بالليل والنهار وهذا الامل ان هو الانتظيم الملكية الدستورية ببلادنا والسير بالوطن نحو مصيره الوضاح وها انا وقد أقررت هذا النظام اخطو معك الخطى التي ترفعنا كل يوم درجات . لا تغيب عني ولا اغيب عنك ، القلب مني مليء بك وبكل ما يرضيك ويسعدك والارادة ميسرة لامانيك مبذولة لمآربك ومطالبك ، والقلب منك طافح بالوفاء مستجيب اذا ناديتك لكل نداء فالاصرة بيني وبينك متينة والعاطفة المتبادلة قديمة جديدة لا تخلق على مر الايام والاعوام .

فادم اللهم التواصل والتعاطف بيني وبين شعبي ، ويسر لي ولشعبي كل مرام ومراد ، واجعلني اللهم واجعل شعبي متمسكين دائما بكتابك المبين وسنة نبيك المصطفى الامين واهدني واهد شعبي الى سبيلك القويم واعني بتاييدك وتسديدك على ما وكلت الي من عمل صالح ينفعني فى الدنيا وفى الدار الآخرة .

« ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

صدق الله العظيم .



في لقاء جلالة الملك بلجنة التربية والتعليم بمجلس النواب :

علينا أن نجعل الإنسان المغربي فخوراً بمغربيته متشبثاً بوطنيته

●● استقبل جلالة الملك كما هو معلوم خلال الفترة الاخيرة بمدينة ايفران اللجنة البرلمانية الخاصة بالتربية والتعليم . وكانت مناسبة ليتحدث جلالة العاهل الكريم عن التخطيط العلمي الذي يجب ان ترسمه الحكومة ومجلس النواب لتكوين المواطن المغربي خلال ما تبقى من القرن العشرين . وهي فترة زمنية محدودة تستلزم منا الاسراع فى العمل وفق خطة مدروسة على ضوء تصور فكري مستقيم .

ولقد ابرز جلالة الملك فى كلمته التوجيهية الرسالة الحضارية العظمى التي يتحملها المغاربة منذ القدم وهي الدفاع عن العروبة والاسلام. وقال ـ حفظه الله ـ : أنه لا بد للمواطن المغربي فى هذا الجناح من العالم أن يظل ذلك الجندي الاصيل الذي يدافع عن حضارة وأطار عيش وعن فضيلة هي دينه ووطنه كمسلم وعربي وافريقي .

وفيما يلي كلمة جلالة الملك نصره الله :

حضرات السادة ، أبينا الا أن نجتمع بكم لنضع امام أنظاركم وأمام تفكيركم موضوعا من أخطر المواضيع الا وهو تخطيط وتصميم كيفية تربية وتثقيف وتكوين المغاربة الذين سيعيشون فى القرن الواحد والعشرين . لقد قلنا حينما التقينا بمكتب البرلمان . ان واجبنا الدستوري قبل كل شيء هو أن نسهر على فصل السلط حتى لا تطغى سلطة على أخرى وحتى يمكن لمبادىء هذا الدستور ان تسير بالامور سيرها الحميد .

وفصل السلط لا يعني فصل التفكير او انفصال تفكير هذا عن ذلك ولا يعني كذلك أن يكون هذا الفصل فى مستوى ملك المغرب ، فصل السلط يكون بين التشريع وبين التنفيذ ولا يكون فى مستوى أمير المؤمنين وملك البلاد الذي عليه قبل كل شيء أن يلعب دور الحكم بين السلطتين .

وسبق لي ان قلت اذا انا لم اعاشر ولم اخالط الا السلطة التنفيذية فبالطبع من باب التحرس عليها اكثر من غيرها سأجد نفسي غير مستكمل للشروط

الضرورية لان اقوم بدور ذلك الحكم الذي لا يمكنه ان يحكم بين هذا وذاك الا اذا كان على خبرة تامة بالمشاكل الموضوعية اولا وعلى خبرة تامة بالرجال الذين يسيرون اما السلطة التنفيذية او السلطة التشريعية .

حضرات السادة :

اننا مقبلون هذه السنة على التخطيط الخماسي 78 ـ 82 وهو تخطيط خطير جدا لانه سيكون القاعدة للعشرينات المقبلة .. والعشرينات المقبلة هي التي ستكون لها صلة مباشرة لسنة 2000 .

ولذلك يعتبر هذا التخطيط اللبنة الاولى او القاعدة الكبرى للمخططات الاربعة المقبلة لان الفترة التي تفصلنا عن سنة 2000 لا تتعدى 22 سنة . فاذا علمنا أن عدد سكان المغرب سيصل سنة 2000 الى حوالي 40 مليون نسمة او اكثر علينا ان نعي ان الخطة الخماسية الاولى والثانية وما سيليها يجب ان تكون خطة محكمة سواء من ناحية الاختيارات او من ناحية الاطر التي ستقوم بتسييرها او السكان الذين سيستفيدون منها .

لذلك فان الاموال الباهظة التي ستصرف على هذه الخطة الخماسية يجب ان لا تذهب هدرا بل يجب ان تصرف لفائدة جيل وشعب وامة . ويجب ان نستثمر أكثر ما يمكن خيراتنا وامكاناتنا حتى يتمكن المغرب من تعميم التعليم وايجاد السكن والاكل لاكثر من 40 مليونا من السكان .

واعتقد شخصيا كما تعتقدون انتم ان الوقت الذي يستغرقه تكوين المواطن الصالح هو 20 او 25 سنة لذلك علينا من الان وخلال 22 سنة البدء في تكوين الشباب الصالح والشابة الصالحة والاب الصالح والام الصالحة والاستاذ الكفء والشغالين المهنيين والعلماء الباحثين في الميادين الفكرية والطبية .. وميدان الرياضيات .

علينا الآن ان نفكر في الخطة التعليمية التي يلزم ان تكون خطة تربوية ذلك أن العلم بدون ضمير ما هو الا خراب للبشر وخراب للمجتمعات .

وليس خاف علينا ضرورة ايجاد خطة تعليمية موحدة اذ كان بامكاننا اصدار امرنا لوزير التعليم وكاتب الدولة في نفس الوزارة ووزير التكوين المهني واعطائهم مهلة شهر أو شهر ونصف لوضع خطة تعليمية وعرضها على البرلمان لكننا لا نريد هذا وسنربح وقتا ثمينا اذا انكبت اللجنة التي توجد امامي بتعاون مع الحكومة لوضع خطة وبرنامج عام للتعليم وذلك خلال مدة شهرين او شهر ونصف اى ان تكون هذه الخطة جاهزة قبل آخر السنة الدراسية اى عند شهر اكتوبر المقبل موعد الدخول المدرسي والجامعي وذلك حتى يمكنها اتخاذ التدابير الواجبة سواء بالنسبة للمدارس او معاهد التكوين أو الكتاب المدرسي .

ولذلك فالمطلوب من اللجنة أن تنكب على هذا الوضع لتضع برنامجا تعليميا لتوجيه ابناء الشعب على مختلف المستويات سواء بالنسبة للتعليم الابتدائي أو الثانوي او العالي بل يجب ان يكون هذا التوجيه حتى في مجال التكوين المهني نظرا لحاجتنا الماسة لليد العاملة ، واشير هنا الى ان هناك بعض الدول العربية الصديقة والشقيقة تطلب منا ما يفوق مليوني عامل .

ومن الناحية التربوية لا بد لهذا الشعب ان يختار ، ذلك ان الشعوب والدول تعيش في الوقت الراهن كل واحد في اطار اختياره حضاريا وفلسفيا ومذهبيا وهو اختيار للعيش يتم عن طواعية .

وبلادنا والحمد لله بلاد عريقة في الاصالة اختارت مذهبها في الحياة . اما اليوم فان المذاهب السياسية لم يبق لها اى تاثير بل ان الطرق التقنية والاقتصادية التي من شانها ان تضمن أحسن توزيع للثروات هي التي أصبحت سائدة .

ولذلك فان برنامجنا المادي والمعنوي لا علاقة له بالمذاهب السياسية . فلو عاش اليوم ـ كارل ماركس أو جان جاك روسو ـ لا أعتقد انهما سيأتياننا بما اتيا به منذ 150 سنة أو 30 سنة .

لذلك فان مذهبنا الوحيد اليوم هو الانتاج ماديا اكثر ما يمكن وتامين أحسن توزيع للثروة المادية والبشرية وهذا هو مذهبنا السياسي وهذه هي اصالتنا .

فبعد 22 سنة سيكون علينا أن نوفر لاربعين مليونا نسمة ما يحتاجونه من مآكل وادوية ومدارس

ووسائل للنقل ومستوصفات طبية وماء للشرب . ولا يمكننا تحقيق هذا الهدف الا اذا كونا المواطن الصالح المنتج وعلى عاتقكم انتم يقع هذا الواجب وستكونون ابناء المغرب البررة اذا ما استطعتم خلال حياتكم كلها تحقيق هذا الهدف بصفتكم تمثلون لجنة البرلمان للتربية والتعليم وكآباء او اخوان او مواطنين .

واعتقد انكم ستكونون قد اسديتم لبلادكم اقدس خدمة يمكن للانسان أن يؤديها لان الاجيال التي ستكون مطبوعة بما ستخططونه من برامج ومقترحات ستذكر لكم هذا الجميل بعد أن تحمد الله سبحانه وتعالى .

واني آمل ان يتم التعاون بينكم وبين حكومتنا وبالاخص الوزراء المكلفين بالتكوين والتهذيب والتعليم وان يتم تكتيل الجهود لاعداد خطة تأخذ بعين الاختيار موقعنا الجغرافي ، واني مبدئيا متفق على التعريب لكن لا بد من الازدواجية وخاصة في الرياضيات .

واعطيكم مثالا على ذلك ، كنت اتحدث مع صديقي نائب رئيس جمهورية مصر العربية السيد حسني مبارك وهو طيار كما تعرفون فقال لي انهم يجدون مشقة كبيرة لتكوين الطيارين وذلك لان هؤلاء لا يستطيعون قراءة الرسوم البيانية الموضحة لجهاز ترانزيستور المركب في الطائرة لانهم تلقوا دراسة هذا الفرع باللغة العربية . واكد لي ان ذلك ناتج عن غلط في برامج التعليم كان المرحوم جمال عبد الناصر قد تنبه له ولهذا ادخلت لغة اجنبية في التعليم الثانوي وهي اما الانجليزية او الفرنسية ، وهذا ما سيمكن الطيارين من قراءة التخطيط لجهاز الترانزستور سواء في طائرة الميغ او طائرة الميراج خصوصا اذا عرفنا أن طائرة من هذا النوع يفوق ثمنها المليار ونصف سنتيم .

وعليه يجب علينا ان نكون الانسان المغربي المعتز بمغربيته والمعتز بتاريخه لان الانسان الذي لا يعرف تاريخ بلاده لا يستطيع ان يعتز بها ، ولا اعتقد انه توجد في قارتنا دولة يباهي تاريخها تاريخ المغرب .

فعلينا اذن ان نجعل الانسان المغربي فخورا بمغربيته متشبثا بوطنيته عارفا لما يروج في العالم لان وطننا يقع في ملتقى الطرق بين افريقيا واوربا من جهة وبين بحرين مهمين . ولهذا يتعين علينا ان نعلم ابناءنا لغتين أو ثلاثا لان لغة واحدة لا تكفي .

واننا نحمل رسالة منذ القدم وهي الدفاع عن العروبة والاسلام . كما انه لا بد للمواطن المغربي في هذا الجناح من العالم أن يظل ذلك الجندي المغربي الاصيل الذي يدافع عن حضارة واطار عيش وعلى فضيلة هي دينه ومواطنته كمسلم وكعربي وكافريقي.

واذا وصلنا الى هذا المستوى لن نكون قد ساهمنا فقط في تكوين المغاربة بل سنساعد على تكوين مواطنين صالحين للعالم . لانه ما دام العالم موجودا الا وهو في حاجة الى مواطنين مثاليين كيفما كانت دياناتهم او لغتهم او لونهم او مستواهم الاقتصادي . والله سبحانه وتعالى اسأل ان يلهمكم ويسدد خطاكم .

واذا اردتم النجاح في مسيرتكم واداء مهمتكم في احسن الظروف عليكم ان تفكروا فقط في انكم آباء لكم ابناء او احفاد سيعيشون في القرن الواحد والعشرين .. عليكم ان تفكروا وتخططوا كآباء وكمغاربة . ولي اليقين أن الله سبحانه وتعالى سينير اذهانكم لما يحب ويرضى .

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور أحمد رمزي
يدشن مكتبة وقاعة للمحاضرات ملحقتين بمسجد الحي الجامعي بالرباط

● دشن السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي برفقة السيد وزير التربية الوطنية الدكتور عز الدين العراقي والدكتور بنعبد الجليل رئيس جامعة محمد الخامس مؤخرا بالحي الجامعي بالسويسي فى الرباط مكتبة جديدة وقاعة للمحاضرات ملحقتين بمسجد الحي الجامعي الذي افتتح كما هو معلوم فى السنة الماضية .

وقد جهزت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المكتبة الجامعية الجديدة بمجموعة كبيرة من الكتب والمراجع ودوائر المعارف بلغت تكاليفها 120 الف درهم .

وقد تكونت لجنة خاصة للاشراف على المكتبة تضم امام المسجد ومقتصد الحي وعددا من الطلبة .

وفيما يلي الكلمة التي القاها الدكتور احمد رمزي بالمناسبة :

بسم الله الرحمن الرحيم

اصحاب السعادة :

حضرات السادة والسيدات :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

« الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » صدق الله العظيم .

لقد سدد الله خطانا على طريق البعث الاسلامي ويسر لنا سبيل العمل الخالص لوجهه تعالى ولمصلحة الوطن العليا ، وشملنا برعايته وتوفيقه ، فأقمنا فى رحاب هذا الحي الجامعي الجديد مسجدا اردناه ان يكون مركزا للاشعاع الفكري ونموذجا حقيقيا للمسجد فى ظل المجتمع الاسلامي وصورة لما كانت عليه بيوت الله فى عهد ازدهار حضارتنا العربية الاسلامية سعيا وراء ربط الحاضر المشرق بالماضي التليد وتلقيح الاجيال الصاعدة بلقاح العقيدة الحق والتوجيه السليم والتكوين القويم ، ولقد حقق الله ما كنا نريد، وفتح قلوب شبابنا الجامعي للخير ، حتى أصبحت صفوف المصلين من الطلبة من مختلف الشعب الدراسية تملأ رحاب المسجد ، فتضطر طائفة منهم وخصوصا فى صلاة الجمعة للصلاة فى الردهات المحيطة به ، وذلك فضل من الله سبحانه وتعالى



يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين ، وهو أمر ان دل على شيء فانما يدل على ان أجيالنا الجديدة بخير والحمد لله ، وان قلوبهم سليمة رغم ما تتعرض له باستمرار من محاولات الغزو والاستلاب ومؤامرات التضليل والاحتواء ، الا ان الاصالة المغربية تستعصى على التزييف وتصمد دائما فى وجه التغريب والتخريب ، وتلك مزية فريدة ، ونعمة من الله لا تعادلها نعمة .

ان من الاهداف الحيوية لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية توسيع دائرة العمل الاسلامي وتطوير اساليب الدعوة الدينية كي ترقى الى مستوى التحديات الشرسة التي تواجه أمة الاسلام في مشارق الارض ومغاربها ، وهي تعمل في هذه المجالات جميعها على هدى التوجيهات الحكيمة لمولانا أمير المومنين جلالة الحسن الثاني نصره الله وتستلهم من ارشاداته ومواقفه وأقواله طرقا للعمل كفيلة بتحقيق الآمال بما يعز الاسلام ويعطي لتيار الفكر الاسلامي الصحيح نفسا جديدا باذن الله .

واذا كان مسجد الحي الجامعي الذي بنته الوزارة يواصل اليوم اداء دوره الديني والتوجيهي المحكم ، فاننا اليوم نفتح باسم الله القوي العزيز ملحقات هذا المسجد التي تعتبر مرتبطة بوجوده ومكملة لرسالته . ومن أجل ذلك فنحن سعداء اليوم بتدشين مكتبة الحي الجامعي وقاعة المحاضرات الملحقة بها . وهما مرفقان ضروريان لاستكمال شروط الدعوة الاسلامية بما يوفرانه لجمهور الطلبة والطالبات من فرص ثمينة للتثقيف والاغتراف من مناهل العلم والعرفان والتزود بالثقافة الانسانية الرحبة .

وبذلك يكون مسجد الحي الجامعي قد استكمل حقا عناصر وجوده ، وتكون وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قد نهضت فعلا بقسط كبير من واجبها فى هذا المضمار ، ويكون المغرب بصفة عامة فى طليعة البلاد العربية والاسلامية التي تطعم الجامعات العصرية بالمرافق الاسلامية الحيوية وتحيط العلم بسياج من الدين قوي متين .

أجل ، لقد كان حرصنا شديدا على أن تكون مكتبة الحي الجامعي صورة مثلى للمكتبات الجامعية الغنية بالمراجع العلمية وأمهات الكتب والمؤلفات الاسلامية باللغتين العربية والفرنسية الى جانب



قسم كبير من مصادر المعرفة الشاملة المتنوعة فى مختلف حقوق الثقافة والعلـم والادب والتاريـخ والفلسفة والمعاجم ودوائر المعارف . والنية معقودة ان شاء الله للاستزادة من هذه الكتب ومتابعة الجديد فى عالم التاليف ليكون الطالب الجامعي على بينـة واضطلاع من تطور العقل الحديث فى شتـى فروع المعـرفـة .

واذا كانت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قد تحملت – فى رضى واستبشار – تكاليف هـذه المؤلفات القيمة ، مما يقدر بمائة وعشرين الف درهم بالاضافة الى رواتب الاطر المشرفـة والمسيـرة للمكتبة . فان عملها هذا يعتبر فى الواقع أحسـن استثمار لاموال المحبسين رضوان الله عليهم ، لانه يعود على المجتمع المغربي ، لا بالنفع المادي الزائل، ولكن بالفائدة الفكرية والروحية المستمرة الدائمة . ولعمري ان هذه لهي رسالة الاوقاف ، وهذه هـي وظيفة المسجد فى الاسلام ، وما أكرمها من وظيفـة سامية شريفـة .

ايهـا السـادة :

فى ختام هذه الكلمة يطيب لي ان اشير الى ان هناك لجنة تكونت للاشراف والسهـر على سيـر المكتبة تضم امام المسجد ومقتصد الحي وعددا من الطلبة ، نرجو الله ان يكلل عملهم بالتوفيق كما نسأله عز وجل ان يثبت كل من سعى فى تحقيـق هـذا المشروع الثقافي التربوي من قريب أو بعيد بخير ما يجازى به عباده المومنين ، ذلك انه عمل تربـوي ضخم يخدم ويزكي السياسة المتبعـة فى ميـدان التربية والتعليم التي تهدف الى تنشئـة المواطـن المغربي الواعي المدرك حق الادراك للدور الاساسي الذي يقع عليه فى مجتمع دينه الاسلام ولغته العربية ونظامه الملكية الدستورية الرشيدة .

نسأل الله ان يلهمنا التوفيق فى كل خطواتنـا ويديم علينا نعمة الهداية والرشاد ويبقينا جنودا لهذا الاسلام الحنيف والعرش الشريف ويطيل عمر سيدنا المنصور بالله جلالة الحسن الثاني ويقر عينه بولي عهده المحبوب سيدي محمد وصنوه الاميـر مولاي رشيد وكافة أفراد الاسرة المالكة الكريمة ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

دراسات إسلامية

- الوحدة العسكرية في التاريخ العربي الاسلامي
- المعتزلة والتحليل الماركسي
- الحنيفية والحنفاء

الاعداد المعنوي للجهاد :

الوحدة العسكرية في التاريخ العربي والاسلامي

للواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

القاعدة الثابتة التي لا يمكن أن تتغير ، ليس بالنسبة الى العرب وحدهم ، بل بالنسبة الى شعوب العالم كلها ، هي أن الشعب – كل شعب – لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصفوف والاهداف .

ولم نسمع بأمة من الامم استطاعت أن تكون قوية ، لها مكانة مرموقة بين الامم ، وهي متفرقة الصفوف والاهداف .

الوحدة تجعل من الامة قوة ضاربة لا تغلب من قلة ابدا ، والفرقة تجعل من الامة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها فى حرب ولا فى سلام . ولو أردنا أن نضرب الامثال من الامم غير العربية ، لضاق بنا المقام ولاحتجنا الى مجلدات ، وحسبنا ان نذكر أن المانيا وايطاليا مثلا ، كانتا قبل الوحدة مستعمرتين للنمسا تارة ولفرنسا تارة أخرى ، ولكنهما أصبحتا بعد الوحدة دولتين من الدول العظمى ، وقد استطاعتا ان تفرضا على الدول احترامهما بعد الوحدة وهددتا العالم كله بسيطرتهما القاهرة خلال النصف الاول من الحرب العالمية الثانية (1939 – 1942) . والولايات المتحدة الامريكية نفسها كانت مستعمرة كبيرة من مستعمرات بريطانيا ، ولكنها بالوحدة استطاعت ان تنال استقلالها أولا ، وأن تتضخم قوتها بعد ذلك حتى اصبحت اقوى قوة واعظم مكانة من بريطانيا سيدتها أمس .

— 2 —

وقد كان للعرب دول محلية قبل الاسلام : فى اليمن السعيد ، وفى العراق ، وفى سورية ، عاشت فترة من الزمن ولكنها لم تترك لها أثرا ذا قيمة عالمية ، كما فعل العرب بعد الاسلام . وكان الموقف العربي قبل الاسلام يتلخص بما يلي :

اليمن السعيد فيه نفوذ الاحباش والفرس وفيه قبائل مستقلة – خاصة فى الجبال – عن هذين النفوذين .

وفى العراق دولة المناذرة ، خاضعة للفرس ، وفى الشام دولة الغساسنة خاضعة للروم . وفى الجزيرة (1) عرب خاضعون للروم . وفى نجد والحجاز قبائل عربية ، كل قبيلة مستقلة عن الاخرى . كان العرب حينذاك فى جاهلية فكرية ، وفى جاهلية استعمارية وفى جاهلية عصبية ، وفى جاهلية دينية ، وفى جاهلية التمزق والتفرق والتناحر والاختلاف .

وجاء الاسلام ، فوحد صفوف العرب وجمع كلمتهم وحدد اهدافهم ، فاصبحوا فى شبه الجزيرة العربية صفا واحدا يعملون بقيادة واحدة هي قيادة

(1) جزيرة ابن عمر .

الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، فلم يلتحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى الا وكان عرب شبه الجزيرة العربية التي تتصل بتخوم ارض الشام ومشارف العراق من الشمال وبالبحر الاحمر من الغرب وبالمحيط الهندي من الجنوب وبالخليج العربي من الشرق ، وحدة تحت لواء الاسلام . وارتد قسم من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى استطاع أن يعيد الوحدة الى عرب شبه الجزيرة العربية ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها متنفسا في الفتح الاسلامي العظيم . وفي أواخر أيام ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، توجهت طلائع الفتح الاسلامي الى العراق وأرض الشام ، فاستطاع المثنى ابن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد رضي الله عنهما أن يربحا معارك كثيرة في العراق ، كما استطاع جيش المسلمين في (اليرموك) أن يربح معركة حاسمة في أرض الشام .

وارتفع مد الفتح الاسلامي ارتفاعا مذهلا في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاستطاع قادة الفتح الاسلامي في أيامه فتح العراق والجزيرة وارض الشام ومصر وشطرا من بلاد فارس .

وبقي مد الفتح الاسلامي طاغيا عاتيا في النصف الاول من حكم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما نشب الشغب في النصف الثاني من حكمه بين المسلمين ، توقف الفتح ، واستطاع الفرس استعادة قسم من بلادهم في خراسان من المسلمين .

وبقي الفتح الاسلامي مجمدا في أيام الفتنة الكبرى ، بل أصبحت البلاد الاسلامية مهددة بالغزو من الروم ، فزحف قيصر الروم في جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام . وخاف معاوية بن ابي سفيان ان يشغله ذلك عما يحتاج الى تدبيره واحكامه، فوجه الى الروم وصالحهم على مائة الف دينار ، وهكذا أصبح الطالب مطلوبا بفضل التفرق والانقسام. وحين استتب الامر لمعاوية اغزى امراء الشام على الصوائف ، فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة . عند ذلك طلب قيصر الروم الصلح على ان يضعف ما يقدمه للمسلمين من مال ، فلم يجبه معاوية الى طلبه . واستأنف الفتح الاسلامي سيره المتدفق في الشرق والغرب بعد ان وضعت الفتنة الكبرى أوزارها ، فاستعاد العرب المسلمون فتح (سجستان) وفتحوا (كابل) كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جيحون) ففتحوا بخارى وسمرقند و(ترمذ) ، كما فتح عقبة بن نافع (تونس) واختط القيروان وسكن المسلمون (افريقية) واسلم البربر واتصل الاسلام ببلاد السودان وبالمحيط الاطلسي .

وفي الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية ، وهنا توفي أبو أيوب الانصاري صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال قبره محفوظا مشهورا الى اليوم (2) .

وكان هذا الفتح كله بفضل الوحدة أيضا .

وبعد معاوية بن أبي سفيان بدأت الفتن الداخلية: في استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه ، وحركات المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وبعده مصعب ابن الزبير ، وثورة الخوارج ، وثورة عبد الله بن الزبير ... الخ . فاضطربت أمور العرب المسلمين وتفرقت كلمتهم ، فكان من نتيجة ذلك ان الروم استعادوا افريقية من المسلمين ، كما استطاع قيصر القسطنطينية أن يهدد بلاد الشام ، فاضطر عبد الملك ابن مروان الى عقد هدنة مع الروم . وفي المشرق توقف الفتح تماما واستعاد الفرس من المسلمين خراسان وسجستان .

وبعد حروب دامية استطاع عبد الملك بن مروان ان يعيد الوحدة عام ثلاثة وسبعين الهجرية ، فأرسل حسان بن النعمان الغساني لاستعادة افريقية ، ففتح (قرطاجنة) واتم تحرير المغرب العربي من الروم .

وفي سنة ثلاث وسبعين الهجرية وهو عام الوحدة – عين عبد الملك اخاه محمد بن مروان واليا على الجزيرة وارمينية ، وقطع النقود التي كان يرسلها للروم لقاء سكوتهم عن حرب المسلمين ، واستطاع المسلمون سنة اربع وسبعين الهجرية الانتصار على الروم وتوغلوا في بلادهم . وفي سنة ثمان وسبعين الهجرية ، استعاد المسلمون خراسان

(2) انظر التفاصيل في : قادة فتح الشام ومصر 181 – 182 .

وسجستان وفتحوا مدنا اخرى (3) ، واستطـاع موسى بن نصير فتح المغرب الاقصى وفتح طنجـة وغزا صقلية وفتح الاندلس (4) وكان ذلك كله بفضل الوحـــدة .

— 4 —

وبعد الوليد بن عبد الملك توقف الفتح الاسلامي حتى سنة انهيار الدولة الاموية ، وهي سنة اثنتين وثلاثين ومائة الهجرية حيث بدات صفحة الدولـة العباسية في التاريخ . وبعد سنة من مولد الدولـة العباسية اي سنة ثلاث وثلاثين ومائـة الهجريـة استطاع الروم الانتصار على المسلمين في (ملطية) واستعادوها منهم فهدموا المدينة والجامع واجلوا المسلمين الذين بقوا على قيد الحيـاة من هـذه المدينة (5) . وتوالت الفتن والمشاكل منها طائفية ومنها سياسية لعل أعظمها كان انفصال الاندلس سنة تسع وثلاثين ومائة عن الدولة العباسية (6) فاصبحت الدولة الاسلامية الواحدة دولتين : دولة في المشرق ودولة في المغرب . وكانت الدولتان قويتيـن في ابتداء أمرهما ، ولكن استقلال الامصـار عنهمـا بالتدريج ادى في النهاية الى سقوط الدولة العباسية بيد التتار وخروج العرب من الاندلس واستيـلاء الصليبيين على قسم كبير من سوريـة ولبنـان وفلسطين وشمال افريقية .

ومر على العرب فترة كان لهم في كل بلد دولة، وهذا التفرق هو الذي ادى بهم الى الضعف والهوان، فطمع ببلادهم الصليبيون وغير الصليبيين ، ولولا نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين اللذان جاهدا من اجل الوحدة ووحدا من اجل الجهاد لما استطاع العرب استعادة القسم الاكبر مما اغتصبه الصليبيون من بلادهـم .

— 5 —

وبقي العـرب ضعفـاء لتفرقهم مستعبدين لغيرهم من الامم حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى عام 1918 ، فاحتل المستعمرون بلادهم واقامـوا الحدود والسدود بين الاقطار العربية ، وشجعـوا الروح الاقليمية والطائفية على مبدا : (فرق تسد) ، واشاعوا الانحلال الخلقي ، ونشروا المبادىء الوافدة، وجعلوا العرب يشيحون بوجوههم عن تراثهم العريق، وعمقوا في عقولهم آثار الاستعمار الفكري البغيض .

ثم خلقوا اسرائيل في بقعة من بقاعنا المقدسة ، لتكون قاعدة ضخمة لهم يعتمدون عليها في ايام السلام والحرب . لقد قدر الاستعمار أن العرب لن يبقوا في سبات عميق الى قيام الساعة ، ولمس بحق عـزم العرب على اخذ حقوقهم كاملة مـن المستعمريـن ، فخلقوا اسرائيل لتكون عونا لهم على اضعاف العرب، واستنزاف طاقاتهم المادية والمعنوية : كلمـا ارادوا تطوير بلادهم والتحرر والانطلاق من ربقة الاستعماريين القديم او الجديد ، كانت اسرائيل قاعدة الاستعمار في الشرق الاوسط في ايام السلام ، لان العـرب مضطرون على تقوية جيوشهم عددا وسلاحا ، وهذا يحتاج الى المال الوفير والجهد المضنـي ما كان احوج العرب اليهما في تطوير بلادهـم لولا وجـود اسرائيـل .

واسرائيل قاعدة للاستعمار في الشرق الاوسط في ايام الحرب ، لان الاستعمار يزودهـا بالسـلاح وبالخبرات الفنية لتكون قوية دائما قادرة على ضرب الدول العربية التي تخرج على مصالح الاستعمـار وتعمل من اجل بلادها ومصالحها العليا . وهي قاعدة للاستعمار أيضا في حالة نشوب حرب عالمية ثالثة بين الشرق والغرب لذلك فمن مصلحة الاستعمار أن تكون اسرائيل قوية وان تتوسع على حساب البـلاد العربية . ان الاستعمار الذي خرج من بـاب الدول العربية دخل الى الشرق الاوسط من نافذة اسرائيل، لهذا داب المستعمرون على الادعـاء بأن اسرائيـل خلقت لتبقى ؛ ذلك لان بقاءها من مصلحة الاستعمار ؛ والاستعمار كما هو معلوم مسيطر سيطرة كاملة على الهيئات الدولية ، وعلى مجلس الامن وهيئة الامـم المتحدة بالذات . فلا مجال للعـرب ان يأخـذوا حقوقهم بالوسائل السياسية في اروقة الامم المتحدة

(3) انظر التفاصيل في : قادة فتح المغرب العربي 2 / 99 — 101 .
(4) انظر التفاصيل في : قادة فتح المغرب العربي 1 / 232 — 273 .
(5) العبــر 1 / 179 .
(6) الطبــري 2 / 144 .

ومجلس الامن أو فى المجالات السياسية الاخـرى . وعلى ذلك لم يبق أمام العرب غير طريق واحد هو ان ياخذوا حقوقهم بالقوة ... وبالقوة وحدها .

وسبيل القوة هي الوحدة ، والوحدة العسكرية على الاخص بين العرب .

اقولها صريحة واضحة :

اذا لم يضع العرب الوحدة العسكرية العربية فى حيز التنفيذ فورا ، فانهم بعد سنوات سيكونون اما عبيدا فى بلادهم او لاجئين خارج بلادهم .

وقد أعذر من أنـذر ...





المعتزلة والتحليل الماركسي

د/أستاذ محمد العربي الناصر

تعمد القراءات الماركسية اليوم الى اعادة طرح التساؤلات حول الوقائع والاشكالات والفرق القديمة بصبغة جديدة ، فتقف عند قضايا اساسية ، سبق ان استقر الامر عليها ، لهز مشاعر المسلمين وتفتيت يقينيات الامة ، مدعين البحث فى التراث وغرضهم الاساسي على ما يبدو ، هو تهديم ما تبقى من حرمة لهذا التراث فى نفوس الناس . وواضح جدا ان لهذه القراءات دوافع وغايات ، فشعور التيار الماركسي فى العالم الاسلامي بالعزلة عن عقيدة الجماهير وعن مجموع الثقافات المجتمعية جعله يطرح هذه الشعارات المتتالية ، ولكن كل مجهوداتهم وجدت نفسها مقطوعة الجذور وان كانت قد جذبت كثيرا من الناس ، ولم تستطع ان تلبي فطرتهم الدينية ، ولم تستطع ان تنسجم مع تراث الجماهير فى كل مجالاته ومعطياته . عمد الماركسيون الى صبغ التراث بصبغتهم تقرب ما كان بعيد المنال ، وتعيد خلق الاشكالات لاثارة الشكوك والشبهات وتبعد التراث عن تفسيراته القاعدية فى اطاراتها ، وتضمن بذلك تشويه كل الحقائق وتحريف عقليات من يود ان يأخذ أو يغرف من هذا التراث .

ومن القضايا الاساسية التي يثيرونها ، الصراع بين تيارين ، تيار محافظ متزمت حسب تعبيرهم ، وتيار ديناميكي تقدمي ، الاول يمثل الاتجاه الديني ، والثاني يمثل الاتجاه العقلاني ، الاول يمثل البنية الاقطاعية ، والثاني يمثل البنية البورجوازية . الاول يسلخ الانسان من واقعه العياني ، والثاني يأخذه كما هو فى واقعه . الاول ادى الى الجمود والتقهقر الاجتماعي ، والثاني ادى الى الحرية والتقدم الاجتماعي .. الاول اذن يجب محاربته والقضاء عليه،

والثاني يجب احياؤه والدفاع عنه .. وهكذا يحددون كل ما يحيط بالقضية من تحديد الاتجاهين وتحديد بنيتهما وايديولوجيتهما ونتائجهما وما يجب نحوهما (1) .

ونحن اذا وقفنا معهم أمام تيار المعتزلة بالذات، نجد أن الفرصة وجدت سانحة منذ مطلع هذا القرن لبعث وتأييد هذه الفرقة لما لها من نزعة ليبرالية ... ولما جاء دور التأثير الماركسي التقدمي لم يتوقف هذا البعث وهذا التأييد بل تبناه وزاد عليه رغم مناقضته ق شعاراته لكثير من مبادىء الماركسية التقدمية !! واعتبر الماركسيون التيار المعتزلي ثورة او تقدما فعليا ، فتعالت الاصوات مؤيدة له ، ومعلية من شأنه . وهذا امر ليس مستغربا اذا كان التيار المسيحي الصليبي وراء فرقة المعتزلة فى نشأتهم ، فقد تأثرت كما هو معلوم بتأثيرات يهودية ومسيحية ومانوية بجانب أصلها الاسلامي . ومعنى هذا ان الجذور لبعض آراء المعتزلة كخلق القرءان والقول بخيرية الله ، وبالاصلح ، والمجاز والتأويل ، وحرية الارادة ، والصفات ، كلها لها أصل فى الآراء المسيحية (2) . وهذه خلفية كافية لترفض هذه الآراء من طرف المسلمين عامة . وتلك الفترة على ما يظهر شبيهة بفترتنا هذه . فهذا دارس من دارسي المعتزلة ومن المتحمسين لهم ، تلميذ لاساتذة مسيحيين وينسب لهم كل فضل فى اشرافهم التام على بحثه (3) . وهكذا تكتمل الحلقة، فالمعتزلة فرقة يعتد بها كل من التيارين الصليبي والماركسي ، وان كانت الدراسات حولهم يقوم بها متمسلمون . فغايتهم جميعا واحدة وهي احياء روح المعتزلة وتوجيهها بحيث لا يقعون فى نفس الاخطاء الاعتزالية (4) . وبالتالي احياء هذه الفرقة ، وهو الاهم ، وسيلة تعطي الشرعية للابتعاد بالاسلام عن الحياة ، ولابعاد التيار المحافظ عن مسرح الحياة ومنافسته بتبني هذه الفرقة ليسهل التغيير الجذري الشامل انطلاقا من نفس البيئة حتى لا تبقى هناك عقبات او موانع تقف فى وجههم . وللاسف ان ظل المسلمون على حالهم كما هم عليه اليوم ، غير مبالين بلفت هؤلاء قد يعز الاصلاح والتوجيه بعد ذلك وخاصة ان هؤلاء قد شمروا بكل الوسائل لبلوغ اهدافهم ، فتراهم يتجهون فى ابحاثهم التخصصية

---

(1) هناك كثير من النصوص تحاول تصنيف التيارين ونعرض منها نموذجين .
يقول تيزيني فى كتابه : « مشروع رؤية جديدة ص 210 :
« الجوهر الديني القائم على سلخ المتدين من واقعه العياني بالحاق هذا الواقع بقوى غيبية غير انسانية ، يجد نفسه باستمرار متعارضا مع الفعل الانساني الذي يقتضي بالضرورة أخذ ذلك الواقع العياني كما هو دون اية اضافة خارجية .. ان هذا التعارض والتناقض كان فى تاريخ الفكر العربي الاسلامي الوسيط خصبا للغاية ، فقد عمل على توضيح معالم الاتجاهين الاجتماعيين الكبيرين الاقطاعي والبورجوازي المبكر . ان الاول من هذين الاتجاهين الح على تلك الاضافة الخارجية بل جعل منها محور الوجود الانساني (نجد الاشاعرة والغزالي قد مثلوا هذا الاتجاه بقوة وعلى نحو طريف ومثير حقا) . اما الاتجاه البورجوازي التجاري والديمقراطي المبكر فقد الح فى الخط الاول على الفعل الانساني الحر وعلى رؤية الوجود تدخل العنصر الانساني الواعي (وبالطبع يقف المعتزلة وابن رشد فى طليعة ممثلي هذا الاتجاه » .
ويقول علي زيعور فى كتابه : « التحليل النفسي للذات العربية » ص : 18 :
« الحرية فى الفكر العربي الفلسفي والكلامي خاصة ، غير موجهة لبناء الواقع والمجتمع تحوم فى عالم فكري صرف ، فلا ترتبط بالانسان المكافح فى الحياة ...
كل فكر فلسفي عربي اسلامي تلقاه ينتهي بالتصوف وبالهروب الى الخارج وترك الذات الواقعية والمنغرسة فى الجماعة والمجتمع ، فالقطاع المتأثر باليونان (الفارابي ، ابن سينا ، ابن رشد ،) والقطاع الكلامي (ما عدا الاعتزال الذي يخضع للمجتمع ولارادة الناس الرؤية المطلق والاخلاق) والقطاع الديني عموما وبكثافة يخضعون الحرية للدين » .

(2) يردها زهدي جار الله فى كتابه المعتزلة ، كلها الى يحيى الدمشقي الراهب .
(3) المعتزلة زهدي جار الله . مدخل
(4) المعتزلة زهدي جار الله . مدخل .

الى الدراسات الفلسفية الاسلامية امعانا فى تبني هذا الاتجاه . وهذه لعبة خطيرة ان لم يع المسلمون قواعدها ويرسمون لها افرادا وجماعات .

قد يستغرب المرء ويتساءل انستنكر الدراسات والابحاث الجادة والعميقة ، والمجهودات الضخمة الناضجة ؟ ! والحقيقة أن المسألة ليست هي هذه . ان المفروض ليس الفكرة وليس الجهد ، ان المفروض، والذي تواجهه ، هو التيار الجارف نحو التمركس ، هو الايديولوجية الدخيلة التي تنخر امتنا الاسلامية ، وتدعو وتعمل على تغييرها جذريا . المسالة ليست فكرا ومعلومات ترفض ، وانما هو منهج غريب متسلط، وايديولوجية غريبة متسلطة .. وهــذا هونفــس موقف المسلمين الاوائل فلم يكن رفضهم لمفاهيــم المعتزلة قائما على رفض الافكار والمعلومات بل على العكس كان قائما على رفض الاتجاه وعقيدته . فالعالم الاسلامي لم يتفتح على الثقافات العالمية بهما ، مما يدل على عدم اتباع المسلمين لهم اضطــرارا مــع رفضهم لهم ، بل تفتح الاسلام اجتماعيا وعسكريــا وثقافيا جعل المسالة متبادلة بين المسلمين عامــة والعالم . وما رفضه المسلمون فهو رفض كاتجــاه ايديولوجي مغاير للاسلام . وما دام المعتزلة قــد فتحوا الباب لتيار يتلخص فى الانعتاق من الاسلام ، وتحريف مضمونه الفكري والايديولوجي فقد واجههم المسلمون وما يدعون اليه .

وذلك الادعاء هو نفسه الذي يروج له فى الفكر المعاصر ، حيث نسمع أن الاتجاه الاسلامي يرفــض المعاصرة ويدعو الى الانغلاق فى الماضي ، ويضيفون ان الاسلام دين ، والمعاصرة علم وتكنولوجية ولالقاء بينهما ومحاولة اخضاع العلم والتكنولوجيا للتصــور الاسلامي هو فى الحقيقة عودة الى سيطرة الفقهــاء والمحدثين وغيرهم من رجال الدين على العلم (5) وفى هذا الادعاء نفس المغالطة ، ونفس المنهج المخادع ، فالمسلمون يرفضون التيار الايديولوجي فى المعاصرة، ولا يرفضون العلم والتقنية فى حد ذاتهما . هــذا الموقف من الاسلام يدفع التقدميين اليوم الى القول زورا وبهتانا ان المسلمين يقفون ضــد الانفتــاح العلمي ، وأن المعتزلة هم حملة التقــدم العلمــي والفلسفي ، فهم الفئة المتفتحة الواعية المتنورة !! وفى هذا تشويه للحقيقة ، وتدليس فى البحــث . فالمعتزلة فى الحقيقة كانوا عنصر انحراف فكري ، وعامل تقهقر وتدهور خطير ! .

فاذا كانت النهضة الفكرية والعلمية لم ترتبط بالمعتزلــة والفلاسفــة وحدهــم ، ولم يكونــوا المساهمين فى ذلك بل سبقهم فى كثير من مظاهرها، وبعث جذورها ، غيرهم ، طبق منهج فكري خــاص ينسجم مع الاسلام وانفتاحه على العالم . منهج فكري يرتبط بالمجتمع وجزئياته الحياتية دون تحليق فى عالم ميتافيزيقي عقلاني لا يخضع لمقاييس ثابتة ، ولا يقود الا الى الظن ، فان المعتزلة بابحاثهم المتعددة لم يدفعوا الفكر الاسلامي الى الامام بل بالعكس دفعوا به الى مسلك مسدود ، دفعوا بــه الى مواقــف ميتافيزيقية وحلول عقلانية غير واقعية تنزع منزع التجريد والترفع عن المعطيات الاجتماعية بفتح باب التأويلات مما أثار جدلا عميقا . والكل يعلم أن خط التفكير الاسلامي الحق يرتبط ارتباطا وثيقا بالاطار الاجتماعي للمجتمع المسلم عامة ، يرتبط بالاهتمامات الواقعية الدقيقة فى الحياة اليومية ، وبالاهتمامات اليومية للحياة الاجتماعية عامة ؛ يرتبط بالحيــاة السياسية ، ويرتبط بالحياة الاقتصادية ، ويرتبط بجميع العلاقات الاجتماعية والسلوكات الاخلاقية ؛ يرتبط بالحياة الثقافية المرتبطة ارتباطــا وثيقــا بالحاجيات الاجتماعية والمجتمعية مما طبع الفكــر الاسلامي بالنزعة العملية المسماة اليوم بالبرجماتية، وطبعه بالنزعة الواقعية التجريبية الحسية المسماة اليوم بالعلمية ، وطبعه بالنزعة الشمولية التي لا تترك جزئية الا وتتناولها بالدرس والمسماة اليوم بالنزعة الاجتماعية ، وفى كل ذلك نجد عقيدة تجمع الكل ، وهي عقيدة التوحيد والعبودية لله وحده .. امــا المعتزلة عندما ظهروا ظهروا بنوع جديد من الثقافة ، بنوع جديد من التفكير ومنهجه يتنافى ويتناقض مع خط الفكر الاسلامي .. فقد اتجه المعتزلة للاهتمام

---

(5) آفاق عربية . السنة الثالثة ، العدد 5 ـ 1978 . مقال الاسلام ، « هل له تصور خاص فى العلوم التجريبية » محمد عمارة ، ص : 100 . وقد نفى هذا التصور وجعله تسلطا للفقهاء على العلــم وشبهه بعمل الكنيسة فى اوربا . فهو يرفض الوصاية على العلم ..

بالجدل فى المعتقدات المتشابهة التي لا يستطيع العقل ولا النظر فى النقل ان يقطع بحل فكري بالمنطق الارسطي ان لم يعتمد التصور الاسلامي فى صفائه ووضوحه وبساطته . وهكذا غدت المعتزلة ترعرع علم الكلام الذي اصبح عامل تعقيم فى الفكر الاسلامي ، وخلق معارك عقلية كان المسلمون فى غنى عنها ، وخلق عقلية مثالية مغرقة فى التجريد ، وافراز لصراعات وجدالات وتأثيرات ، وابقاء لفرق وجماعات وشرذمات على عقائدها (6) .

واذا اشرنا الى مسالة العبودية نجد الصراع دائرا فى دائرتين : دائرة أولى ميتافيزيقية ، ودائرة ثانية اجتماعية . الاولى تثير المتشابهات وتبحثها وهي متشابهات دائمة لطابعها الميتافيزيقي ؛ تبحث فى مشيئة الله ومشيئة الانسان ، وفى قدرة الله وقدرة الانسان ، وفى فعالية الله وفاعلية الانسان .. وكل ذلك كلام مجرد مغرق فى الميتافيزيقيا وقد تخصص فى هذا المعتزلة . والثانية لم تطرح اطلاقا هذا الاشكال لانها تبحث فى هذا النطاق اصلا ، فهي عندما تبحث العبودية لله فانها تبقيها فى اطارها الاجتماعي السلوكي ، فلا تسال هل الانسان يفعل ذلك باستطاعته وقدرته ام بفاعلية غيره . ان الاساس ان يكون هذا الفعل وهذا السلوك خاضعا لشريعة الاسلام . وبهذا المفهوم الاجتماعي لمعنى العبودية استطاعت الجحافل المسلمة الداعية ان تغير قلوب البشر وتغزوها ..

والماركسيون التقدميون فى قراءاتهم المعاصرة للمعتزلة وتأييدهم لهم لن يستطيعوا الاستفادة من المعتزلة غير مفاهيم لا تتعدى الاعتداد بالعقل والتأويل الحر من كل قيد أو وازع علمي ، والاعتداد بالحرية الفردية . وهذه كلها مفاهيم فى عموميتها تتلاءم مع التيارات الغربية المعاصرة التي تمجد العقل والفرد . ولكن التيار الماركسي يتغاضى عن هذه الحقيقة ويطمسها ويتناساها رغم ان تلك العطاءات ليبرالية ومثالية فيجعل من هذه الفرقة التي لا تتلاءم مع مذهبهم المادي الاجتماعي هي الفرقة التقدمية ولو بحملها حملا على ذلك . ويجعل من الفرقة المعادية والتي تمثل الاسلام فى نصاعته وصفائه فرقة رجعية دينية نصية غيبية وما الى ذلك من التسميات التي يطلقونها ..

بل ويقفون عند عبارات مشهورة ناطقة بحال التيار الاسلامي ومنهجه الفكري ، فيؤولونها كما اول المعتزلة سالفا . ويسفهونها تسفيها ، ويشوهون مضمونها تشويها . فهذه صيحات مالك مثلا : « الكلام الا فيما تحته عمل » أو « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة » ، يراها التقدميون فى تحليلاتهم تعبر عن الاتجاه المحافظ الذي يعادي العقل والانطلاق العقلي ، بل يجعلون ذلك حجرا وقصورا عقليا . فيقول احدهم : « وقد بلغ المعتزلة بهذا التصور التنزيهي للذات الالهية قدرا عظيما من التجريد والبعد عن فكر المشبهة الحشوية الذين عجزت عقولهم عن أن تسمو بتصور الذات عن حدود المحدثات والمخلوقات » (7) .

يقدم عمارة بهذا موقفا متحيزا عندما يصف المشبهة والحشوية (ويقصد بهم أهل الحديث عامة ودون تمييز) بانها عجزت عن السمو فى تصوراتها . فهل هذه هي الحقيقة أم انها استندت على تصور خاص ومغاير لتصور المعتزلة ؟ ! وهل نستطيع بالتالي ان نعكس الامر فنقول ان المعتزلة عجزوا عن التشبيه والتجسيم تبعا لمنطق عمارة وتحليله ؟ ! ان الامر مضحك حقا ، والاكثر اضحاكا ان عمارة المادي الجدلي الذي لا يعترف بالتصورات الا وهي منتزعة ومرتبطة بالمادة ، ينقلب هنا على مذهبه ومنهجه الذي يقضي بتلك النظرة المادية . فنظرة

(6) يرد الدكتور سامي النشار جمود العقلية الاسلامية الخالصة الى اختلاط علم الكلام الديني بالفلسفة، فيقر بشرعية علم الكلام والمعتزلة كفكر اصيل فى حين نرى المعتزلة بداية الانحراف والفلاسفة والفلسفة نهايته . يقول الدكتور النشار : « ما كاد ينتهي القرن الخامس الهجري حتى بداوا يمزجون الفلسفة بالكلام فلم يعد كلاما دينيا بل كلاما فلسفيا .. ويمكننا القول انه ما أن بدات عملية الخلط حتى انتهى العصر الذهبي للعقل الاسلامي الخالص » . نشأة الفكر الفلسفي فى الاسلام ص : 183 .

(7) « المعتزلة والحرية الانسانية » ، محمد عمارة . ص : 48 .

الحشوية كما يبدو منسجمة مع المذهب المادي الذي لا يعترف بالتجريدات الميتافيزيقية اكثر من عمارة نفسه . فعمارة هنا ينحاز الى المذهب المثالي التجريدي المحض بل يجعل غير هذا عجزا في العقول . وهذا الالتواء لا يعرف حرمة بحث او تثبت براي . ويقول مؤكدا ذلك على نفسه : وهي جميعا تؤكد سمو المستوى العقلي الذي كان عليه مفكرو هذه المدرسة عن الانحطاط الى درك الذين لا يؤمنون الا بما هو منصور أو محسوس ، وله في المحدثات نظير وشبيه » (8) .

وبطبيعة الحال هذا ليس معناه أن المشبهة او المجسمة او الحشوية على حق فيما يذهبون اليه ، فمذهب السلف واهل السنة كما هو معلوم مخالف لهذه المذاهب ، ولهم مواقف رد وتفنيد ... وانما أردنا ان نبين التلاعب بالالفاظ والمناهج لتعزيز فكرة معينة عند هؤلاء الماركسيين وخاصة ان عمارة لا يفرق بين السلف والاشاعرة والمذاهب الجبرية والحشوية او المجسمة والمشبهة ، حيث يعتبرهم فئة واحدة امعانا في التشويه .

وهذا تقدمي آخر يقف نفس موقف عمارة فيصف التيار السلفي السني بالرجعية ويقول : « غير ان السلف احجموا عن القيام بهذه المهمة ووقفوا واجلين امام تلك المشاكل ، فأبوا أن يعالجوها ورفضوا أن يبتعدوا عن نص الكتاب ومنطوق الحديث قيد انملة » (9) .

في هذا النص خلفية واضحة في وصف السلف بالوجل كما وصفهم الآخر بالعجز عن السمو بفكرهم . ولم يكن احجام السلف عجزا او خوفا ، بل أحجام تصور وادراك للامور . فرفضهم الصارخ « من طلب الدين بالكلام تزندق » و «من تمنطق تزندق » كان رفضا للفكر الغريب الدخيل على المفهوم الاسلامي . رفض للفكر اليوناني جملة وتفصيلا في عطائه الفلسفي والايديولوجي .

والغريب ايضا ان يجعل التقدميون هجوم اهل الحديث على المعتزلة والفلسفة يرجع الى سببه العيش . اي المنطلق المادي .. يقول التقدمي : « ادركوا أن المعتزلة أن استمروا على هذه الخطة ونجحوا فيها فسيجيء يوم يهمل فيه الحديث ولا يبقى لرواته لزوم ولا قيمة فيفقدو نمركزهم وتفسد سبل العيش في وجههم ولهذا اصبح المحدثون الد اعداء الاعتزال ولم يدخروا وسعا ولا جهدا في مقاومته » (10) .

فهل هناك ما هو اتفه من هذا التحليل ؟ ! وهل هناك علمية اسخف من هذه العلمية ؟ ! فهل التحليل والعلم هو تحويل تيار ذي تصور حضاري ومنهج فكري واقعي الى حشد من الجياع لا هم لهم الا معاداة الاخرين للمحافظة على لقمة عيش رخيصة آثمة ، وهم الورعون المتقون ؟ !

الماركسيون اذن في تحليلاتهم يغالطون ويقلبون حقائق الامور . فكما قلنا ان الاتجاه الاعتزالي الذي اثار هذه المشاكل ودخل في مناقشاتها ، هو اتجاه عقلاني مثالي لا يلتزم الواقع الحياتي في منهجه الفكري في حين ان تعبير مالك وغيره من اهل السلف واهل السنة يعبر عن التيار الواقعي الذي يعتمد ما تحته عمل ويتخلى عن كل بحث ميتافيزيقي لا عمل تحته ولا طائل منه . هذا الموقف كما نعلم جميعا هو الموقف الحق الصحيح حتى في عصرنا الحاضر ، ففيه تتجلى الواقعية ، وفيه تتجلى البرجماتية التي يتشدق بها اللبراليون والماركسيون معا .. فكيف تنقلب اقلام الماركسيين فتقدم ما هو واقعي عملي لتمجد ما هو عقلي مثالي؟! كيف تجعل من موقف عملي حضاري واضح موقفا رجعيا متزمتا وعاجزا ؟ ! اما كان من الاولى أن يهاجم التيار الاعتزالي الذي يؤمن بتهويمات العقل وشطحاته على اساس من المنطق الارسطي المثالي المجرد عن كل حاجة واقعية علمية؟! ام ان هذه التحيزات وقلب حقائق الامور وصبغها هو لمجرد التشويه والتحقير حتى تهون الهمم وتنطفيء

---

(8) « المعتزلة والحرية الانسانية » ، محمد عمارة . ص : 57 .

(9) المعتزلة ــ زهدي جار الله : ص : 244 .

(10) المعتزلة ــ زهدي جار الله : ص : 189 .

شعلة الحماس . فمن الواضح جـدا أن التحليـل الماركسي يدافع عن المثالية ويهاجم الواقعية العلمية وفى هذا تناقض صارخ مع المبادىء التي يلوح بها ويفتخـر .

التقدميون لا يتوقفون عن اخطائهم لغرض فى نفوسهم ، فكلنا نعلـم أن المعتزلـة فى اتجاههـم العقلاني ادوا الى ظهور نزعة انحرافيـة فى الفكـر الاسلامي ولكن الماركسيين يتعامون عن ذلك ويقفون من التيار السلفي والسني موقف المعادي والمهاجم بحجة رفضهما للمنطق اليوناني ورفضهما للاتجـاه العقلاني لتثبيت الدين والخرافـة كما يسمونـه ، والحقيقة عكس ذلك تماما . فرفض المنطق اليوناني والاتجاه الاعتزالي العقلاني لم يكن موقفا معاديا مـن العقل والمبادىء العقلية ، كما يحاول التقدميـون ايهام المثقفين ، والا لمـا اكتشـف الاصوليـون والمسلمون عامة ، منطقهم الاصولي والعلمي الذي لم تستطع العبقرية اليونانية اكتشافـه ، والـذي استمر بجانب رفضهم للمنطق الارسطي الى عصر ابن تيمية المتاخر (11) .

الم يكن لتغلغل الفلسفة اليونانية الوثنية بواسطة المعتزلة والمشائين الاثر الكبير فى جعـل الفكـر الاسلامي يغير اتجاهه ، ويضيـع مجهوداتـه فى معضلات وهمية ، ويتقوقع عن امتداداته الاجتماعية والعلمية ليتكب المفكرون المسلمون فى مناقشة تلـك المعضلات الوهمية المفترضة متناسيـن الخـط الاسلامي الواقعي .

اليس هذا يفضح ما يشيعه التيار الماركسـي من ان الاتجاه الاسلامي المحافظ وهيمنته على الفكر الاسلامي كان له الاثر العميق فى تقهقره متحامليـن على الاشاعرة واهل السنـة ملصقيـن بهم علـة التقهقـر ؟ !

الم يحفظ التاريخ انه بعد ان ساد المعتزلة بدا التدهور والانحطاط وخاصة عندما بـدا فـرض استبدادهم واقطاعهم الفكري والسياسي ، وذهب بهم الامر الى التشديد والتنكيل بغيرهم . وقد مجد الماركسيون اليوم هذه المحنة لتلاؤمها مع اوضاعهم القمعية الراهنة وشعـارات اقطاعهـم الفكـري واستبدادهم بمنع كل فكر مخالف ؟ !

الم يكن ظهور الاشعري مجرد امتداد للمعتزلة فكرا واسلوبا ومنهجا مع اختلافات وسطية ؟ ! ومعنى هذا أن المعتزلة بلوروا علم الكلام الـذي رفضـه المسلمون عامة ، وادى ذلك الى هرج ومرج انتهى بانحطاط مبدا المعتزلة وخفوت مذهبهم وسلطتهم ، ولكن انحرافهم الفكري والمنهجي استمر فى انصار الاشعرية باتباع نفس الخطة الكلامية على اساس من الاعتدال والتوسط فى الاطروحات المعتزلية . ثم نامت العقليات بعد الشحنة الكلامية التأويلية ... وكما هو معلوم فالمعتزلة ابوا هذا الحل الوسط الذي كرس منهجهم ، فاستغلـوا الفرصـة فى عهـد الاتراك السلاجقة حوالي 445 هـ . وبسطوا نفوذهم من جديد واقاموا الفتنة من جديد بما فيها من محن وشدائد . وربما كانت اعتى من سابقتها فشملـت خرسان والشام والحجاز والعراق واعطت الاوامر للقبض على ائمة الاشعرية (12) ولـم يحفظ لنـا التاريخ ما يعادل تلك المحنة وهذه الفتنة فى الفترات التي حكمت فيها التيارات السلفية او حتى الاشعرية والشيعية . فالتاريخ لم يحفـظ لنا من الاقطـاع الفكري الا فى العهد الذي بلغ فيه المعتزلة السلطة ، وهذا شبيه كذلك بما يحدث فى عصورنا هـذه . فبعد أن كانت الحركات الفكرية المتنوعة مزدهـرة والفكر يشعر بانطلاقة وتفتح على جميع المبـادىء والمفاهيم والثقافات اذا بشرذمة تدعي الماركسية والاشتراكية وترفع شعار العلم والعلمانية تمارس الاقطاع الفكري والاستبداد ثم تنسحب وتنهار فى اغلب المناطق ولا تترك وراءها الا ازمة فكر وازمـة مذاهب ومدارس فكرية ، ولم يعد المفكر يجد حرارة الفكر وتفتحه بقدر ما يجـد ضحالـة الانتمائيـة الايديولوجية المنصبة فى قالب جامد وفى ايقـاع احادي الصوت وبئيس ... وسبحان الله الذي جعل الاتجاهين والتيارين متشابهيـن ، نفس الاهـداف ونفس الاساليب ونفس النتائج المخيبة للآمال !!

---

(11) « مناهج البحث عند مفكري الاسلام » ، الدكتور علي سامي النشار .

(12) المعتزلة ـ زهدي جار الله ، ص : 214 ـ 215 .

ونتساءل اذا كان السلف قد استطاع ان ينشر الاسلام فى اكبر مساحة ارضية كانت معروفة انذاك، واستطاع ان يقضي على اكبر دولتين ، واستطاع ان يمتص اعظم الحضارات بعقيدته (البسيطة اللاعقلانية العاجزة الوجلة كما يصفها التقدميون) التي تقبلتها كل الشعوب والامم التي اعلنت اسلامها ، وغيرت عاداتها وتقاليدها وثقافاتها وحضاراتها فى اطار الاسلام وعقيدته ، فما ذا فعل المعتزلة ؟ ! وما ذا قدموا للبشرية ؟ ! اننا اذا اردنا تقييم عطاءاتهم واجلنا النظر فى طبقاتهم لوجدنا أن عظماءهم الذين انغمسوا فعلا فى الاعتزال لم يقدموا للناس غير منظوماتهم الكلامية ، بل وقد نجد كثيرا من سلوك المنتسبين لهم منحطا . وان كان فيهم من اهتم بعلم آخر غير هذا وجدناه فى الادب والتفسير وهم فى ذلك يبتعدون عن مفهوم الاعتزال والاهتمام به ليتأثروا بالعطاءات الفكرية السائدة ولم نر من المتهم المتخصصين فى ذلك الا قلة ، أما غيرهم فكانوا من العاطفين المتبعين لهم ، كما هو حال كثير من المثقفين اليوم المتأثرين بالماركسية المرددين لالفاظ الاشتراكية والتقدمية وهم أبعد الناس عنها وعن مفاهيمها .

بل اذا ذهبنا ابعد قليلا وتساءلنا لماذا برز العطاء الاعتزالي خاصة فى الادب والتفسير عموما ؟ ! لكان الجواب لاقتران الاتجاه الاعتزالي الكلامي وارتباطه بهما ، فلم يكن ممكنا ان يظهر الا بواسطتهما وقد يكون هذا هو السبب كذلك فى ابتعاد المعتزلة عن العطاء العلمي الحق ، فرؤساؤهم المتحمسون برعوا فحسب فى علم الكلام وما يرتبط به من علوم . وهذا هو الظاهر العام . وبالتالي فان علماءهم الذين برعوا فى مختلف العلوم اذا ذكروا لا يذكرون الا لعلمهم الذي اتقنوه لا لمذهبهم الاعتزالي او لآرائهم ، وانتماءاتهم. فالجاحظ اذا ذكر ذكر لبيانه وغزارة علمه ، والزمخشري اذا ذكر ذكر لبلاغته ونحوه وأثرهما ، لا لاعتزاليتهما . وأهل السنة لم يجهضوا علم المعتزلة النافع بل احتضنوه ونوهوا به ، ولم نسمع عنهم انهم تركوا طب الرازي وابن سينا ، ولا هم تركوا فقه ابن رشد لاشتغال هؤلاء بالفلسفة ، ولا هم سكتوا عن فلسفتهم بل احتضنوها .

فالمعتزلة لم تكن الا فرقة من الفرق التي عملت على تقويض واغراق الاتجاه الاسلامي فى عالم الفكر ولم تكن المعتزلة هي الامة بأجمعها ، ولم تكن هي المحرك الاساسي للمجتمع ولم تكن هي الدافع الى الانفتاح على العالم ...

* * *

ولكن رغم ذلك ، وكما قلنا سابقا ، فان عطاءات المعتزلة فى ليبراليتها ومثاليتها ، وفى تعميقها للانحراف الفكري فى المجتمع الاسلامي وجدت اليوم فى التيار الماركسي التقدمي خير من يتغاضى عن هذه الحقائق ويتناساها ويطمس معالمها ليجعل من المعتزلة تقدميين لا فى الاطار الثقافي فحسب بل وفى الاطار الاجتماعي ، ويصورهم كمناضلين سياسيين اجتماعيين ، فأصولهم الخمسة اصول واعية بوضعية امتهم السياسية ، وهي اعلان لموقفهم النضالي الذي يصل الى الثورة المسلحة والصراع ضد الولاة والخروج عليهم ، فى حين ان السلف واهل الحديث مناهضون لهذه الثورية داعين الى المحافظة ، وهم بذلك رجعيون . هذه النغمة اليوم سارية المفعول ، فالتقدمي هو ذلك المناضل ، هو ذلك الثوري المتعطش للدماء التي يحل بها مسائله . هذه الصورة الشعبية فى القرن العشرين هي التي اعطت الحق لعمارة ليمجد الفتن فى العهود الغابرة ، ويقدس المناضلين ويهاجم المحافظين . وعلى هذا الاساس بقليل من الكلمات لا الوقائع الثورية يربط نضالية المعتزلة بمبادئهم وأصولهم الخمسة . ويصل الكل بفكرة الجبرية والاختيار فى علمهم الكلامي (13) .

وكان بودنا ان نصدق عمارة فيما يقول لولا معرفتنا جميعا ان المعتزلة كانوا من المقربين للامراء وسدنة للسلطة فى اوجهم ، وينفذون بذلك الى مآربهم فى حين ان ائمة السلف والسنة لم يثبت عنهم هذا . فقولة مالك فى طلاق المكره مشهورة ، ووقفة ابن حنبل فى المحنة كذلك مشهورة .

كان بودنا أن نصدق عمارة لو ان عمارة قدم لنا اسماء لائمة معتزلة عارضوا الامويين فى عهد الدولة

(13) « المعتزلة والحرية الانسانية » محمد عمارة.

الاموية . لا فى عهد الدولة العباسية كالجاحـــظ ، والقاضي عبد الجبار والزمخشري والخيـــاط ... حيث تعد اقوالهم مجرد موقف فكري تاريخي مـــن القضية وليست نضالا ضد الامويين .

كان بودنا ان نصدق عمارة لو انه قدم دليلا على مشاركة المعتزلة فى الثورة والخروج عن السلطان الجائر لتغييرها بالقوة غير اشتراك المعتزلة مـــع الزيدية فى ثورتهم ضد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور مناصرين ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (14) ، لان فى هـــذا اشكالا على الاقل ، اشكال التواصل بين المعتزلـــة والشيعة . فمن الممكن ان يكون هؤلاء المعتزلة الذين خرجوا مع ابراهيم لم يخرجوا لكونهم معتزلة ثوريين وانما خرجوا كشيعة تؤيد احفاد علي ..

كان بودنا ان نصدق عمارة لو انـــه اثبـــت ان المعتزلة حركة سياسية قبل ان تكون حركة فكريـــة نخبوية تتزلف للخلفاء للتوصل الى مآربها واغراضها فتجد امنا بما تنفثه من افكار غريبة ومـــن سلـــوك شائن منحرف عند بعضهم كثمامة بن الاشرس مثلا . او استطاع ان ينفي ان مبادئهم فى سياستها ليست الا اطار ا ثقافيا مفرغا فعلا من النضال السياسي ...

ولكن ان يكتشف عمارة بذكـــاء ان الامامـــة ، « مسألة أساسها سياسة مدنيـــة من اختصـــاص البشـــر وفى نطـــاق حريـــة الانســـان وآفـــاق اختياره » (15) ، فامر يدعو الى التساؤل هـــل كان الجبريون اي السلف واهل السنـــة يخفون ذلـــك ويسترونه ؟ ! ومن يا ترى ينكر ان الانسان يختـــار ائمته سواء عن طريق الوصية أو الوراثة او الاختيار؟!.

ان المنتظر من المعتزلة فى اطار التحليـــل الماركسي التقدمي أن يكونوا طبقة مناضلة سياسيا ، ولكن الواقع لا يؤيد هذا الا فى حـــالات شـــاذة ، فالمعتزلة كفئة مثقفة عايشت بيئتها وقيمت كـــل المواقف ، الا ان التقييم السياسي غير الممارســـة ، فهم لم يقوموا باي عمل نضالي لتطبيق مبادئهم بـــل نجدهم فى أقصى حالاتهم السياسية واعظمها قوة ، مرتبطين بالاوضاع المخالفة لمبادئهم . وهذا مـــا يجعلنا ننظر اليهم كموقف فكري تقييمي للاحـــداث والانظمة والفرق ولا ننظر اليهم كحركة سياسيـــة مناضلة لها مبادىء تذود عنها وتدعو اليهـــا ... ويكفي أن نلاحظ أن عطاءاتهم ما كثرت وتضخمت فى عهد العباسيين الذين كانوا يعملون على استئصال الامويين الا تواطؤا صارخا مع الذيـــن وجـــدوا فى انتعاش فكر المعتزلة لغة صالحة لمحاربة الامويين وبذلك نجد المعتزلة فى حقيقة امرهم حركة سياسية بتبرير واقع الدولة العباسية بمهاجمتهم للامويين . ولهذا السبب فحسب تركهم العباسيون ليرفعـــوا أصواتهم وينشروا آراءهم .. وفى خضم هذا فمن الطبيعي الذي لا ينازع فيه ان نجد آثارا للاوضـــاع السياسية والاجتماعية فى مقالاتهم .. ومع ذلـــك يبقى ان المعتزلة لم يظهروا على مر التاريخ كثوريين مناضلين وانما كمفسرين ومؤولين متكلمين .. ويؤكد هذا ان البحث فى هذه المشاكل العقليـــة بـــدات بالمعتزلة وانتهت بانتهائهم ، فلم يكـــن امتدادهـــم اجتماعيا بقدر ما كان ثقافيا او كما قال الدكتور علي سامي النشار : « انهم مجرد نزوة حيوية اشتعلت ثـــم انطفأت » .

والذين يمدحونهم اليوم يودون ان يجعلوا منهم مطية لتحطيم ما تبقى من مفاهيم الاسلام ، ويحتجون بهم لتأكيد العقلانية والحرية الفردية لتعميقهـــا فى وجدان الجيل الجديد ، وهـــذا يساوي عندهـــم مباشرة التخلي عن النص كتابا وسنة وبالتالي عـــن الاســـلام عامـــة .

---

(14) « المعتزلة والحرية الانسانية » محمد عمارة. ص : 153 – 175 .
(15) « المعتزلة والحرية الانسانية » ، محمد عمارة ، ص : 192 .

دراسات قرآنية :

الحنيفية والحنفاء

للأستاذ اسماعيل الخطيب

في مجلس من مجالسي العلمية بأحد مساجد تطوان ، سألني — وقد تعرضت في درس التفسير للحنفاء — احد الاخوان عن حكم الاسلام فيهم ، وهل يعتبرون مسلمين ام لا ، واجبت بما استحضرته في المقام ، وخرجت من المسجد وفكري منشغل بالموضوع ، فعملت على البحث في المظان فكانت هذه الدراسة القرءانية عن الحنيفية والحنفاء .

الحنف لغة الميل ، قال في القاموس : « والحنيف كأمير الصحيح الميل الى الاسلام الثابت عليه . كل من حج او كان على دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الراغب في المفردات « الحنف هو ميل عن الضلال الى الاستقامة ، والجنف ميل عن الاستقامة الى الضلال » .

فهي تدور حول معنى الميل ومعنى الاستقامة. فالمتحنف هو المتحرر لطريق الاستقامة ، وقد وردت اللفظة في القرءان الكريم اثنتا عشرة مرة في عشرة مواضع بصيغة المفرد وفي موضعين بصيغة الجمع .

ففي سورة البقرة قوله تعالى : « وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » . قال القرطبي (2 : 139) « حنيفا » مائلا عن الادیان المكروهة الى الحق دين ابراهيم ، وسمى ابراهيم حنيفا لانه حنف الى دين الله وهو الاسلام . وهذا المعنى نجده عند ابن عطية (2 : 367) ووردت تسمية ابراهيم بالحنيف في آيات اخرى . ففي آل عمران قوله تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » . وقد زاد القرطبي هنا (4 : 109) فقال والحنيف الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل القبلة .

وفي سورة آل عمران أيضا قوله سبحانه : « قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » . وفي سورة النساء قوله تعالى : « ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا » . وفي سورة الانعام يبين سبحانه وتعالى موقف ابراهيم من قومه ومحاجته لهم ولابيه ، وعمله بشتى الوسائل لاقامة دين التوحيد وتسخير الكوكب والقمر والشمس كوسائل للايضاح ليوضح لهم ان الاله الحق لا يغيب ، فلما تبرا من شركهم قال : « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » . ويخاطب الله سبحانه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول : « قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » . وفي سورة النحل قوله سبحانه : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » . وفيها ايضا : « ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهم حنيفا وما كان من المشركين » .

وهكذا فقد وردت « حنيفا » في ثمانية مواضع اثناء الحديث عن سيدنا ابراهيم ، حتى صارت الكلمة كالعلم عليه .

وفي سورة الروم أمر من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باقامة وجهه للدين الحنيف : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

اما بصيغة المفرد فقد وردت في موضعين : الاول في سورة الحج في قوله سبحانه : « حنفاء لله غير مشركين به » قال القرطبي (12 : 55) « حنفاء لله « معناه مستقيمين او مسلمين مائلين الى الحق ، ولفظة « حنفاء » من الاضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل ، والموضع الثاني ففي سورة البينة : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وهكذا ينصرف فعل « تحنف » الى معنى الاستقامة والتعبد والميل عن الضلالة الى الهدى ، فابراهيم لما مال عن عبادة الكوكب والاصنام الى عبادة الواحد الاحد كانت ملته هي الحنيفية السمحاء ، وهناك فعل آخر على صورته وهو فعل « حنث » قال في « لسان العرب » : « وقد يجوز ان تكون ثاء يتحنث بدلا من فاء يتحنف » .

والحنث : الميل من باطل الى حق او عكسه (معجم متن اللغة) وهو يؤدي معنى الاثم والذنب والمروق . فكلمة « التحنث » ربما تأتي بمعنى « التحنف » ويكون المعنى « التعبد » لكن الكلمة بالفاء تدل على معاني لا تدل عليها الكلمة بالثاء .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الاسلام بأنه « الحنيفية السمحاء » وذلك تفريقا وتميزا للاسلام عن (الاديان) الباطلة والنزعات المتطرفة التي تجانب الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فالحنيفية السمحاء استقامة على المنهج الالهي الذي رسمه الله لعباده ، وهو منهج واضح بين .

اما « الحنفاء » فهم اقوام ، تقادم العهد بينهم وبين سيدنا ابراهيم لكن ظلوا على تمسك بأسس دينية ، وكانوا قلة ، وكانت مكانتهم في مجتمعاتهم مرموقة وظهر كثير منهم قبل البعثة وعاش بعضهم بعدها . وكانوا يتطلعون رغم اندراس الدين نحو الحق لذا وجدنا بعضهم يعتنق النصرانية ، وامتدت فترة وجودهم من عهد اسماعيل الى زمن البعثة المحمدية .

اما عددهم وتاريخ ظهور كل واحد فتحديد ذلك من الصعوبة بمكان . وقد أورد الدكتور جواد علي في كتابه : « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، (5 : 370) قائمة بأسماء « الحنفاء » هي الآتية :

« قس بن ساعدة الايادي — زيد بن عمرو بن نفيل — امية بن ابي الصلت — ارباب بن رئاب — سويد بن عامر المصطلقي — اسعد ابو كرب الحميري — وكيع بن سلمة الايادي — عمير بن جندب الجهمي — عدى بن العبادي — أبو قيس صرمة بن ابي انس — سيف بن ذي يزن — ورقة بن نوفل — عامر بن الظرب العدواني — عبد بن قضاعة — علاف بن شهاب التميم — الملتمس بن امية الكناني — زهير بن أبي سلمى — خالد بن سنان العبسي — عبد الله القضاعي — عبيد بن الابرص — كعب بن لؤي بن غالب » .

وليس هذا باحصاء شامل للحنفاء ، فلا شك ان كثيرا من الاسماء ضاعت في ثنايا التاريخ ولم يصلنا عنها ذكر ، فاذا كنا لا نعلم — يقينا — عدد وأسماء الرسل والانبياء ، فكيف نحصي أسماء وعدد الحنفاء .

على ان بعضهم قد عاش الى زمن البعثة او قبيلها . فقس بن ساعدة رآه النبي صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ يخطب على ناقته ، ومن منا لم يسمع في صباه خطبة قس : ... اين من بنى وشيد وزخرف . ونجد اين من بغى وطغى .. الخ . وورقة بن نوفل من أوائل المصدقين . وسويد بن صامت (غير مذكور في القائمة) دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال له : لعل الذي معك مثل الذي معي . قال : وما معك . قال : مجلة لقمان ، فلما عرضها عليه قال رسول الله : معي افضل من هذا قرءان انزله الله على هدى ونور . فلما قدم المدينة قتلته الخزرج وهو على الاسلام . (الطبري — تاريخ الامم والملوك ، ج : 84) .

وابو عامر بن صيفي (غير مذكور في القائمة) كان يلبس المسوح في الجاهلية ، ودخل على النبي

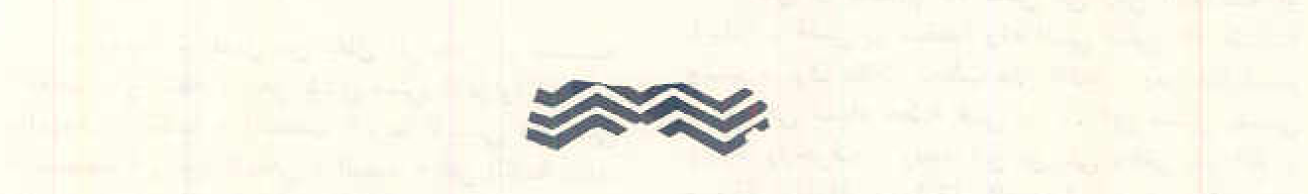
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال : يا محمد ما هذا الذي جئت به ؟ قال : « جئت بالحنيفية دين ابراهيم » قال فاني عليها . فقال : صلى الله عليـه وسلـم : لست عليها لانك ادخلت فيها ما ليس منها ، فقال ابو عامر : أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم ، أمات الله الكاذب منا كذلك » ، فخرج ابو عامر الى الشام ومـر الى قيصر وكتب الى المنافقين : استعدوا فاني آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمدا من المدينة ، فمـات بالشام وحيدا . (القرطبي 7 : 320) .

وأما امية بن ابي الصلت فقد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا فتمنى ان يكون ذلك الرسول ، فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به . وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه » .

وقد رويت عن النبي صلى الله عليه وسلـم احاديث فى فضل بعض الحنفاء كورقة بن نوفل فى انه رآه بملابس بيض ، وزيد بن عمرو بن نفيل فى انه يبعث يوم القيامة امة وحده .

وهكذا فمن الحنفاء من قضى قبل البعثة وهو على نهج قويم ، ومنهم من ادركها فوجد فى الاسلام ما كان يتطلع اليه من نور وهداية فآمن وصار حنيفا مسلما ، ومنهم من عاند وكفر فكان عاقبـة امـره خسـرا .

وتظل حقيقة الحنفاء دلالة على تطلع البشرية فى تاريخها الطويل نحو الحق والهداية والنـور ، وأن الانسان لا يستقيم امره الا باتباع الوحـي الالهـي والانقياد لشرع الله ورسله .



دراسات مغربية

- القاضـــي أبو بكـــر بن العربـــي ـ 12 ـ
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن عسكر ـ 2 ـ
- دراســـات في الادب المغربـــي
- السلطـــان مـــولاي اسماعيـــل

● أعلام الأندلس

القاضي أبو بكر بن العربي

(468 - 543 هـ)

للأستاذ سعيد أعراب

-12-

ب) في علـــوم الحديـــث :

واذا كنت تحدثت عن انتاج ابن العربـــي في التفسير وعلوم القرآن ، فلنحاول ان نتعرف عمـــا خلفه في ميدان الحديث ، وابادر الى القول ، بأن ابن العربي من ائمة الحديث الذين بلغوا درجة التعديل والتجريح ، والتزييـــف والتصحيـــح (1) ، وآراؤه العديدة ــ في هذا الباب ــ تشهد بذلـــك ؛ على ان الرجل خبر هذا الفن على أربابه ، وعانى ما عانى في سبيل البحث عن شوارده ونوادره (2) ..

(وكانت ــ يعني احاديث الحجامة في رمضان ــ اتعبتني ، وكنت مترددا في الامر ، لكثرة المعارضات في الروايات ، حتى اخبرني أبو المطهر ... (3)) .

(وهذا ــ اى حديث من لم يجمع الصيام ، فلا صيام له ــ حديث صحيح عزيز ، لم يقع لاحد مـــن اهل المغرب قبل رحلتي ... فظنوا انه لا يوجـــد صحيحا ...) (4) .

(وانما عول ابو حامد على حديث اســـم اللـــه الاعظم في آية الكرسي ... ولم يصـــح ، بل هـــو موضـــوع ...) (5) .

(وقد رام الدارقطني ــ على امامته ــ ان يصحح حديث القلتين فلم يستطيع ، واغتص بجريعة الريق فيهـــا) (6) .

(وحديث ابي سعيد في بئر بضاعة ضعيـــف ايضـــا) (7) .

---

(1) انظر العارضة ج 260/1 ، و ج 245/3 ، و ج 4/6 ، 50 ، و ج 265/8 .
(2) انظر العارضة ج 245/3 .
(3) نفـــس المصـــدر .
(4) العارضـــة 264/3 .
(5) العارضـــة 34/13 .
(6) العارضـــة 221/2 ــ 222 .
(7) نـــفس المصـــدر .

(الافريقي (8) من رواة الحديث ضعفه بعضهم ، وحديثه مقبول عند البخاري (9)) . الى غير ذلك من النصوص التي تدل على علو كعبه فى هذا المقام .

17 ــ ومن مؤلفاته الشهيرة فى هذا الباب ، بل من موسعاته الكبرى فى مختلف فنون الحديث ــ « عارضة الاحوذي ، بشرح جامع (10) الترميذي (11) » .

وفسر ابن خلكان الشطر الاول من هذا العنوان، بأن العارضة تعني القدرة على الكلام (12) وهو تفسير يخالف ما يفيده سياق كلامه فى غير ما موضع من هذا الكتاب ــ من أنها تعني ما يعرض فى الذهن من معاني الكتاب ــ (دون الطموح الى استيفاء كلامه بالبيان ، والاحصاء لجميع علومه بالشرح والبرهان (13)) . وعبارته فى خاتمة الكتاب ، صريحة فى ذلك :

(... انتهى الخاطر فى الخاطر ، دون التشوف الى ما بعده للناظر ، فان الاستيفاء الكلي ، انما يكون فى القلب الخلي (14) ...) .

غرض الكتاب :

ويذكر المؤلف فى مقدمة الكتاب ــ وهو يتحدث على الاغراض التي دفعته الى تأليفه ــ أن طائفة من تلاميذه الحوا عليه فى تصنيفه ، فلبى رغبتهم بعد لأى، وقد رأى الميدان خاليا من المجلين ، فاقتحمه فى كثير من التردد ، واكتفى بعارضة تنم عن الغرض المقصود :

(... فان طائفة من الطلبة عرضوا علي رغبة صادقة فى صرف الهمة الى شرح كتاب أبي عيسى الترمذي ، فصادفوا تباعدا عن امثال ذي حتى قيض الله المنة ، ويسر النية ، وما كنت لا تعرض للتصنيف، ولا ارتقى الى هذا المحل المنيق ، لولا اني رأيت الاغفال تتعاور عليه (15) ...) .

منهجه :

ومنهجه فى هذا الكتاب أن يعرض للحديث من حيث :

1 ــ السند (طرق الحديث ورواته ورتبه من صحة، وحسن ، وضعف) .

2 ــ لغته (غريب الحديث ، وما فيه من نحو وعربية) .

3 ــ التوحيد (أسماء الله وصفاته) .

4 ــ الاحكام (فقه : عبادات ، ومعاملات ، واصول).

5 ــ الآداب (اخلاق الرسول ، وما كان عليه السلف الصالح) .

6 ــ ويذكر ابن العربي أن أبا عيسى الترمذي ضمن كتابه (الجامع) أربعة عشر علما : فأسند وصحح ، وعدد الطرق ، وجرح وعدل ، واسمى واكنى ، ووصل وقطع ، واوضح المعمول به والمتروك ، وبين اختلاف العلماء فى الرد والقبول لآثارهم ، وذكر اختلافهم فى تأويله . قال : (... وسنورد فيه ــ ان شاء الله ــ

---

(8) لعله يعني به المنذر الافريقي ، صاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، روى عنه أبو عبد الرحمان الحبلي .
انظر الاستيعاب لابن عبد البر 1358/4 ، رقم (2571) .

(9) انظر العارضة 316/1 .

(10) وسماه بعضهم صحيح الترمذي ، وهو ــ وان كان من الكتب الصحاح الستة ، فالمشهورين بين علماء الحديث ــ تسميته بالجامع .

(11) يقع فى (13) جزءا ، وقد طبع غير مرة .

(12) انظر الوفيات ج 424/3 .

(13) العارضة ج 5/1 ، وانظر ج 24/2 ، 46 ، 79 ، و ج 58/3 ، 71 ، 82 ، 87 ، 161 ، 162 ، 225 ، 230 ، 237 ، 240 ، 247 ، 249 ، 256 ، 257 ، 275 ، 300 و ج 3/4 ، 20 21 ، 33 ، 46 ، 273 ، 151/5 ، 313/6 ، 149/11 .

(14) انظر ج 319/13 .

(15) العارضة ج 4/1 .

بحسب العارضة – قولا في الاسنـــاد ، والرجال ، والغريب ، وفنا من النحو ، والتوحيد ، والاحكام ، والآداب ، ونكتـــا من الحكـــم ، واشــــارات الى المصالـــــــح (16) ...)

شخصيـــة ابـن العربـــي :

وتبدو شخصية ابن العربي قويـــة في هـــذا الكتاب ، كغيره من كتبه ، فقد ناقش ابا عيسى في كثير من مسائل الكتاب ، ودخل معــــه حتـــى في الشكليات ، فرتب بعض ابواب الكتاب ترتيبا خاصا ، نجعل الفرع مع أصله ، والنسيب الى نسيبه ...

(وقد ذكرها ابو عيسى ممتزجة ، فحال بين جنس وجنس بغيره ، وحال بين نوع ونوع بسواه ، فطال النظر ، وتعذر التحصيل ... فراينا على سبيل التصريف ، وضعهـــا على الترتيـــب على سبعـــة ابــــــواب (17) ...) .

تاريـــخ تاليـــف الكتـــاب :

والكتاب من آخر مؤلفات ابن العربي ، واخطـا الذين ذكروا انه اول ما كتب (18) ، والدليـــل على ذلك ، انه يحيل في هذا الكتاب على اكثر مؤلفاته :

ـــ انوار الفجر ، الاحكـــام ، الانصـــاف ، سراج المريدين ، كتاب النيرين في شرح الصحيحين، التمحيص ، العواصم من القواصم ، وسواها .

وجاء في آخر النسخة المطبوعة – وهي برواية تلميذه ابي يوســـف القرشـــي الزهـــري (19) :

(... انتهت ما بين سماع وقراءة من اول الديوان الى آخره ، في شهر شوال عام اربعين وخمسمائة ، كذا في الاصل المنتسخ منه (20) ..) .

وفيه ايضا بخط المؤلف على ظهر كل سفر منه: (قراه على صاحبه ابو يعقوب ابن عبـــد الســـلام القرشي الزهري سنة (540 هـ) – والحمد لله (21).

18 – « كتاب المسالك الى موطأ مالـــك (22) » ، ويسميه بعضهم (23) « ترتيب المســـالـــك ، في شرح موطا مالـــك » .

غـــــرض الكتــــــاب :

يذكر المؤلف في مقدمته ان الذي حملـــه على تاليف الكتاب ، انه ناظر يوما بعض جماعة من اهـــل الظاهرية الحزمية – على موطا مالك فكـــل عابـــه ، فقلت لهم : ما السبب الذي عبتموه من اجله ؟ فقالوا: امـــور ثلاثـــة :

1 – احدها انه خلط الحديث بالراي .

2 – ثانيهما انه ادخل احاديث كثيرة صحاحـــا ، وقال : ليس العمل على هذه الاحاديث .

3 – والثالث انه لم يفرق بين المرسل ، والموقوف، والمقطـــوع (24) ...) .

وقدم بين يدي الكتاب بثلاث مقدمات :

1 – في التنبيه على فضل مالك ومناقبه ..

2 – في الرد على من انكر القيـــاس من الظاهريـــة الحزمية ، واثباته بالكتاب والسنة .

---

(16) العـــارضـــة 1 / 6 .
(17) العـــارضـــة 12 / 265 .
(18) انظـــــر
(19) وقد فاتنا ان نذكره في جملة تلاميذه ، ولم نقف على ترجمتـــه .
(20) انظـــر العارضـــة ج 13 / 340 .
(21) نـــفس المصـــدر .
(22) يوجد بالخزانة الحمزاوية منه مجلدان – الاول والرابع ، وقد كتب المجلدان سنة (579 هـ) ، وبالخزانة العامة بالرباط – شريط ميكروفيلم لهما ، انظر فهرس نوادر المخطوطات ص 107 ، وعرضت بمعرض الحسن الثاني لسنة (1971 م) نسخة لنجيب الحاج احمد الدمناتي .
(23) انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم ج 4 / 96 – نشر المطبعة الملكية بالرباط .
(24) انظر شريط ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط رقـــم : (24) .

3 ـ في معرفة الاخبار من المسند ، والموقوف من المرفوع والبلاغ ، والكلام في الرواية والاجازة والمناولة ، وحدثنا واخبرنا هل هما بمعنى واحد أم لا (25) ؟

19 ـ « القبس » في شرح موطأ مالك بن الناس (26) » ـ وهو من آخر ما الف في علم الحديث ـ كما يقول المؤلف (27) ، وأملاه سنة (532 هـ (28)) .

20 ـ كتاب « النيرين ، في شرح الصحيحين » يحيل عليه كثيرا في كتبه ، وهو من المصادر التي اعتمدها الحافظ ابن حجر في شرحه فتح الباري على صحيح البخاري (29)) .

21 ـ مختصره (30) .

22 ـ « صريح الصحيح » ـ ذكر فيه الصحيح ـ وان لم تذكره كتب الصحيح (31) .

23 ـ « ايضاح الصحيحين (32) » .
ـ ومر في حديثنا عن انتاج ان العربي في علوم القرءان ـ كتاب المشكلين ـ : مشكل القرءان ومشكل السنة ، وشرح حديث نزل القرءان على سبعة أحرف (33) .

24 ـ « تفصيل التفضيل ، بين التحميد والتهليل (34) » .

25 ـ « التفصي عن عهدة التقصي ، لما في الموطأ من الاخبار والآثار (35) » .

26 ـ شرح حديث الافك .. قال فيه : (حديث الافك نازله عظيمة ، ومصيبة شنيعة ، شاء الله كونها ، لتهلك بها أمة ، وتعصم بها مائة ، وتظهر الدفائن ، ويكشف النفاق (36)) .

27 ـ « شرح حديث ام زرع » ـ ذكره في هدية العارفين (37) .

28 ـ رسالة في طرق حديث : ليس من ام بر صيام في ام سفر ، وفي رواته وأسانيد ابن العربي فيه (38) .

29 ـ رسالة في أسانيد حديث عقبة بن عامر (ما منكم احد يتوضأ فيسبغ الوضوء (39) ..) .

30 ـ « رسالة في احاديث المصافحة » ـ وقد نقل ابن رشيد في رحلته عن الكلاعي ـ ما وقع لابن العربي من الوهم في هذه الاحاديث ـ على قلتها (40) .

---

(25) نفس المصدر .
(26) يوجد منه بالخزانة العامة بالرباط ـ نسختان ، احداهما تحت رقم (ك 1916) والاخرى رقم (ج 25) .
(27) انظر شريط ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط رقم : (24) .
(28) انظر قانون التاويل (مخطوط خاص) .
(29) انظر بحث (مصادر مغربية في فتح الباري) لكاتب هذه السطور ، المنشورة بمجلة دعوة الحق س
(30) انظر العارضة 1 / 28 ، 91 ، و 2 / 186 .
(31) انظر العارضة ج 6 / 78 .
(32) اشار اليه في كتابه « أحكام القرءان » وربما يعني به كتاب النيرين ، أو مختصره ؟ .
(33) انظر الحلقة الحادية عشرة .
(34) انظر كشف الظنون 1 / 810 ، والنفح 2 / 35 ـ 36 .
(35) انظر العارضة 7 / 172 .
(36) انظر العارضة ج 12 / 47 .
(37) ج 2 / 90 ، وانظر الاعلام لعباس بن ابراهيم 4 / 97 .
(38) توجد منها نسخة بالمكتبة الوطنية بمدريد ضمن مجموع رقم (5349) ـ فيها (20) ورقة ، تنقصها الورقة الاولى . انظر مجلة دعوة الحق س 15 ع 2 ، ص 96 .
(39) المرجع السابق .
(40) نفس المصدر .

31 ـ مجلس الروضة ـ املاء ابي الفوارس طـراد ابن محمد الزينبي (41) .

32 ـ شرح حديث جابر فى الشفاعة ـ ذكـره فى هدية العارفين (42) .

33 ـ تاليـف فى خبـر الواحـد (43) .

34 ـ المسلسـلات (44) .

35 ـ الكلام على مشكـل حديـث السبحـات والحجـاب (45) .

36 ـ السلفيات ـ ذكرها فى هدية العارفين (46) .

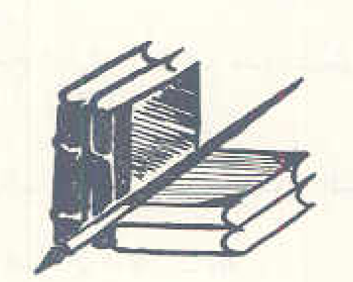
37 ـ السباعيات ـ ذكرها فى ايضاح المكنون (47).

38 ـ « رسالة الاحسان ، الى علماء تلمسـان » ـ تحدث فيها عن رؤيته ـ صلى الله عليه وسلم، ومراتب الوحي التي جاء بها جبريـل عليـه السـلام (47) .

39 ـ « فوائد الخمسون » ـ التي انفرد بابلاغها عن الشريعة الى اهل المغرب ، فمنها حديـث : من لم يجمع الصيام قبل الفجر ، فلا صيـام له . قال : تفرد برفعه يحيى بن ايوب ـ وهو حديث صحيح عزيز ، ثم أورد اسناده (48) .

---

(41) نـفس المصـدر .
(42) انظـر ج / 90 .
(33) انظـر الاحكـام 1 / 239 .
(44) انظر برنامج الرعيني ص 44 . ايضا المكنون ـ ذيل كشف الظنون 21/2 ، فهرس الفهارس 73/2
(45) ايضـاح المكنون 323/2 .
(46) انظـر ج 2 / 90 .
(77) انظـر ج 2 / 2 .
(48) انظـر العارضـة 1 / 264 .



الشيخ أبو عبد الله محمد بن عسكر صاحب الدوحة (936-986هـ)

- 2 -

للأستاذ عبد القادر العافية

نظــرة حــول ابــن عسكــر :

اشرت فيما سبق الى أن ابن عسكر لم يحـظ بكثرة المترجمين له ، بترجمة موسعة ، وانما تناوله بعضهم تناولا مقتضبا ، وحتى اذا وجدنا من اضاف شيئا الى اسمه ونسبه ومكان ولادته وموته ... فان تلك الاضافة لا تخرج عما قاله هــو عن نفسـه فى الدوحة ... ومع ذلك فابن عسكر لم يكن نكرة من النكرات بل عرف الناس ، وعرفه الناس (بدوحته) كما عرفوه بسبب نهايته المؤلمة ...

وتعرض ابن عسكر للنقد كما تعرض ويتعرض له غيره من الذين يكتبون لتقرأ كتاباتهم ... فوصف ابن عسكر بانه قليل الالمام بقواعد اللغة العربية او على الاقل قليل الخبرة فى تطبيقها ، ووصف بعـدم الجزالة فى الاسلوب ، كما وصف بعدم الضبـط فى تاريخ (وفياته) ، بالنسبة لمن يترجم لهم ...

ووصف كذلك بالتحيز حيث ذكر بعضهم انه لم يترجم مثلا لابي المحاسن يوسـف الفاسـي (19) واشرت من قبل الى انه لم يترجم لعدد من المشهورين فى بلـده .

هذا ولقد عيب على ابن عسكر انسياقه مـع محمد (المتوكل) بالرغم من ان المتوكل فر الى بلاد النصارى ، واستنجد بهم حيث أنجده الملك البرتغالي (سبستيان) الذي لقي حتفـه فى معركـة وادي المخازن الشهيرة (986 هـ — 1578 م) .

ولقد تكلم الناس فى ابن عسكر من اجل ذلك ، ووصفوه بالخيانة والتواطؤ مع اعداء البلاد ...

اما الذين التمسوا له العذر فى هذه القضيـة فرأوا أنه كان منساقا لا متواطئا ... ورأوا ان دافع (الاخلاص الاهوج) لعبد الله الغالب ثم لولده محمد المتوكل هي التي دفعت به الى تلك النهاية الاليمة ، ومن هؤلاء ابن شيخه عبد الله الهبطي الذي دافع عنه الا ان ابن شيخه هذا لم يبرئه من مسؤولية تصرفه ، وانما ذكر ان هذا التصرف كان عن حسن نية ، وان ضميره كان لا ينطوي على الخيانة ... ولذلك عـده من جملة أصحاب ابيه فى منظومته التي ترجم فيها لوالده ، والتي سماها :

(المعرب الفصيـح ، فى ترجمـة الشيـخ النصيـح) (20) .

---

(19) انظر (مؤرخو الشرفاء) ص : 168 لليفي برو فنصال ، تعريب الاستاذ الخلادي ، ط . الرباط .

(20) (المعرب الفصيح ...) ما يزال مخطوطا ويوجد فى بعض المكاتب الخاصة وتحتفـظ المكتبـة العامـة بالرباط بصورة منه ، وهو يقع فى أكثر من 1300 بيـت .

حيـث قـال :

« ومنهم القاضي الذي لا ينكر
محمد أخو الدهاء عسكـر »

« وان يكن اتى بذنب ظاهـر
فقلبه من الشكوك طاهـر »

وهنا نرى ان ابن شيخه ، اى محمد بن عبد الله الهبطي بالرغم من كونه اعتذر عنه فانه اعترف بكونه قد ارتكب ذنبا ، وهـو فى نفس الوقـت يصفـه (بالدهاء) وهذا الوصف الاخير غاب عن كثير مـن الذين كتبوا عن ابن عسكر بمـا فيهـم (ليفـي بروفنسـال) (21) .

فابن عسكر لم يكن ذلك الصوفي المتتبع لاخبار الخوارق والكرامات ، والمتشبث باذيال الصلحـاء والمجاذيـب ...

لم يكن ذلك الصوفي الخامل الذي لا يهمه من امر هذه الدنيا الا ارضاء وجدانه ، والغيبوبـة فى الحضرة ، والتماس النفحات والبركات والانغماس فى الروحانيات ...

لم يكن ابن عسكر من ذلك النوع من المتصوفة ... بل كان ابن عسكر كما اشرت الى ذلك من قبل طموحا ساعيا وراء المناصب والجـاه تواقـا الى الرئاسة والظهور ... وهذا ما جعله يصطـدم فى حياته بكثير من الناس ، فهو يذكر فى (الدوحـة) مثلا ان قائد القصر الكبير (موسى بن مخلوف) قد تضايق من وجوده بهذه المنطقة الى درجة انه قال له : « راسان لا يجتمعان فى شاشية واحدة » واجابه ابن عسكر – جوابا ماكرا – حيث قال له : « أنت قائد وانا فقيه فلا جامع بيني وبينك ... » ومع ذلك اضطر هذا القائد الى ان يخرجه من ايالته كما أخرجه بنو راشد من منطقة نفوذهم من قبل (22) .

وطموح ابن عسكر جعله يتقرب من السلطان ، ولسنا ندري الادوار التي قام بها من أجل هذا التقرب وان كان تعليله لسبب خروجه من شفشاون أولا ، وخروجه من منطقة القصر الكبير ثانيـا ؛ بفسـاد العلاقة بين السـلطان وبين القائدين، يوحي باشياء..؟!

ومهما يكن من أمر فان ابن عسكر بحث عـن وسائل الاتصال بالسلطان عبد الله الغالب ونجـح فى ذلـك ... ؟ !

وبهذا الاتصال استطاع ان يحقق كثيرا مـن طموحه واطماعه ؛ حيث ولي القضاء والافتاء بكل من شفشاون والقصر الكبير ، ثم بعد ذلك اصبح مـن خواص الملك وجلسائه ... وهكذا ظل يبحـث عن تحقيق اطماعه ومطامحه الى أن مات موتة المغامرين الباحثين عن المجد من اي طريق كان ... ! !

واذا عرفنا هذا فلا يبقى هناك معنى لذلـك التعجب او ذلك « التهكم » الذي اصطنعـه ليفـي بروفنسـال وهو يتحدث عن ابن عسكر قائلا : « وصف ابن عسكر كرامات الاولياء وصف من عاينها واستفاد من بركتها ، وآمن بفعاليتها ، وهذا الايمان الذي لا يمازجه أي رياء هو الذي يجعلنا نتساءل لماذا لـم يحفظه من همزات الشيطان الذي أغواه وساقه نحو نهاية مؤلمـة ... !! ؟ » .

كلا لم يكن ابن عسكر ذلك الصوفي الغارق فى الخيالات والمتشبث بالروحانيات « الذي لا يمـازج ايمانه اي رياء » بل كان مغامرا محبا للجاه والظهور عاملا على الانتقام من اعدائه ، ومتربصا بهم الدوائر ، ومتشفيا فيهم ، واصفا لمساوئهم ونكباتهم ... كما لاحظنا ذلك من قبل .

الا ان ابن عسكر فى الدوحة استطاع ان يموه كثيرا ، وان يلبس حلة الفقراء والصلحاء والزهاد .. ولعل سبب ذلك ان ابن عسكر كان يعرف عصـره تمام المعرفة ، وكان يتظاهر بما يؤثره الجمهور مـن احترام المتصوفة والزهاد والصلحاء والمجاذيب ..

واذا كان ابن عسكر فى قرارة نفسـه يؤمـن بشيء من ذلك فانه كان يقصد أولا وقبل كل شـيء الى الانتفاع بالبركات علـه يصل الى ما كان يطمح اليه من منصب وجاه ورئاسة ... لا ليكون مثل اولئـك الزهاد والمجاذيب والصلحاء منزويا فى زوايا الاهمال ومنقطعا عن الخلق ...

---

(21) أنظر (مؤرخو الشرفاء) المصدر السالف الذكر ، ص : 160 .
(22) الدوحة ترجمة والدة المؤلف ، ص : 19 ط. ح .

ولعله على هذا الاساس ينبغي ان تدرس شخصية ابن عسكر ، لا على اساس انه كان في ركاب اصحاب الآخرة منصرفا عن الدنيا الى ان اصابه ما طابه ...

ولعل الباحث المتاني والمتمعن يستطيع ان يدرك هذا حتى من خلال بعض ما كتبه في الدوحة ، فهو بالرغم من تمويهاته (وبهلوانياته) — ان صح التعبير — فاننا نراه من حين لآخر يشيد بنفسه اما بعبارات ملتوية أو بعبارات واضحة في بعض الاحيان، حيث يومىء الى مستقبله الباهر الذي ينتظره ... ولذلك فهو يثبت لنا ان كثيرا ممن اتصل بهم كانوا معجبين بذكائه ونبوغه ... وأن منهم من كان يتنبأ له فيقول : « ان هذا الفتى سيكون له شأن عجيب .. !!

واذا كان ابن عسكر قد كتب دوحته وهو في حدود التاسعة والاربعين من عمره فانه مع ذلك احتفظ بما قاله الناس فيه حتى وهو في بطن امه !! ونلاحظ ان ابن عسكر سجل التنويه الذي لقيه من كل من نوه به ، سواء كان من صنف الصلحاء او العلماء أو غيرهم ...

ولعل معنى ذلك هو ان صاحبنا كان يقصد الى نشر شهادات العلماء والصلحاء فيه حتى ينتفع بهذه الشهادات فيما كان يطمح اليه من منصب وجاه ...

وقد يقال : انه كان يصور الواقع كما هو وبكل سذاجة وعفوية نعم كان من الممكن ان يقبل ذلك لو لم يكن الرجل من الذين يتطلعون الى السلطة والجاه اولا ، ثم الى الانتقام من اعدائه ثانيا .

ومهما يكن من أمر فان ابن عسكر عاش مغامرا له كثير من الاعداء هنا وهناك ... ولم يجد ملجاه الا عند السلطان عبد الله الغالب الذي كان بدوره يتوجس شرا من امارة بني راشد بشفشاون وممن مجاهدي مرتيل ، ومن مجاهدي ثغور الهبط .

وكل هذه المناطق كان قد استقر فيها صاحبنا، وله مع اصحاب النفوذ فيها ثارات وحزازات ، وله فيها خصومات واعداء ...

والى هذا يشير بلديه الشاعر الهجاء عبد الرحمن الشفشاوني (23) اذ يقول :

« لج ابن عسكر يهجو الانام وقد
اضحى لهم علما في كل مذموم » (24)

الخ ... « ... ... »

واذا كان هذا الشاعر قد بالغ في الهجاء فاننا نلاحظ — على الاقل — ان ابن عسكر كان صاحب خصومات وعداوات ولم يكن ذلك (الصالح الساذج) كما وصفه البعض ، ومع كل هذا نستطيع ان نقول : ان ابن عسكر كان متأثرا بشيوخه وبيئته وظروفها حيث كانت الظروف ظروف معاناة ومكابدة من اجل التخلص من الاجنبي الدخيل ... والمحتل لاهم الثغور بالسواحل المغربية .

ابن عسكر والحديث عن الجهاد :

اذا كنت قد المحت فيما سلف الى ما كان يتصف به ابن عسكر من طموح ومغامرة ... فمن الانصاف ان نذكر ان ابن عسكر كان في قرارة نفسه شغوفا بمخالطة الصلحاء والعلماء باحثا عنهم ، بل كان من عشاق مجالسهم العلمية ... واحاديثهم الممتعة .

ولذلك نراه في الدوحة يشيد بالعلماء والصلحاء وبالمجاهدين ... ويتجلى ذلك في كثير من تراجمه كما هو الحال مثلا في ترجمة الشيخ عبد الله الورياجلي (25) والشيخ ابي عبد الله محمد البهلولي (26) والشيخ ابي عبد الله محمد ابن يجبس التازي ، الذي اتى له بأشعار في الجهاد ، واشاد بتفانيه في التحريض على الجهاد نظما ونثرا (27) وفي ترجمة علي بن عثمان الشاوي الذي

---

(23) الشاعر الهجاء عبد الرحمن الشفشاوني ترجم له ابن القاضي في الدرة : ج 2 ، ص : 363 ، ط. الرباط ، وفي الجذوة : 2 : 413 ط. دار المنصور . وتوفي هذا الشاعر سنة 990 هـ .
(24) الجذوة : 2 : 143 .
(25) الدوحة ص : 24 ، ط . ح .
(26) نفس المصدر ص : 45 .
(27) نفس المصدر ص : 51 .

استشهد في معركة مع البرتغاليين قرب أصيلا ، وهو يردد أبياتا من بردة البصيري ... الخ (28) .

وعلى الجملة فابن عسكر لا يكاد يجد فرصة يتحدث فيها عن الجهاد الا واغتنمها ، وتكلم فيها باخلاص وحماس ... ولعل هذا هو الذي حمل (ليفي بروفنسال) على وصفه بشدة الكراهية للصليبيين حيث قال : « شب وقلبه مفعم باشد الكراهية لعبدة الصليب نظرا لكونه ربي في رباط - اي شفشاون - كانت تتوارد عليه من جميع أطراف البلاد أفواج من المجاهدين ، ولان اباه ذاق آلام الاسر » (29) .

ولنستمع الى ابن عسكر وهو يصف احتضار الشيخ ابي عبد الله محمد بن يحيى البهلولي الذي كان رفض (مساعدة) السلطان احمد الوطاسي ورفض الاتصال به ، لان السلطان عقد هدنة مع البرتغاليين . « فمكث على ذلك - اي على المقاطعة - الى أن حضرته الوفاة وكان في النزع واصحابه دائرون به ، فقال بعضهم يا سيدي أخبرك ان السلطان امر بالغزو (وبرح به) وأمنت الناس عليه ، والمسلمون في شدة لذلك ، ففتح الشيخ عينيه ، وتهلل وجهه فرحا وحمد الله ، وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك ، وله زجليات ومقطعات حسان في الحث على الجهاد ... » (30) .

فابن عسكر كان من المشيدين بأعمال الجهاد ، ولا شك ان ذلك ناشىء عن الجو المحيط به وعما بثه شيوخ التربية في نفسه ، وخاصة شيخه عبد الله الهبطي الذي كان يحدثه باعجاب بالغ عن شيخه الشاعر الرقيق المجاهد محمد بن عبد الرحيم ابن يجبش التازي ، وكشيخه ابي القاسم بن خجو الذي كان يحرض الناس على الجهاد بخطبه ورسائله (31) .

ويتجلى من هذا كله أن ابن عسكر كان محبا لوطنه ، ومشيدا بشيوخه المجاهدين ... ونراه يعبر عن ذلك بكل صراحة في مقدمة كتابه الدوحة فيقول : « وانما جعلته مختصا بمشايخ المغرب لكونه وطني ومغرس شبابي ومعطني ، ومن ذا الذي لا تهزه عصبية وطنه ... ؟ » (31) .

واذا كانت ظروف قاسية جعلت ابن عسكر يلفظ انفاسه الاخيرة وهو متشبث بأذيال (ملكه) المتوكل ، فانما ذلك لسوء حظه و (لوفائه) الاعمى الذي جعله يظل في ركاب الطامعين ، والمغامرين الى آخر لحظة من حياته ... !!

وليس معنى كل هذا ان هناك تناقضا بين مطامحه في السعي وراء المناصب والجاه ، وبين ايمانه وحبه لوطنه ... لان كل ذلك واقع في حياته فعلا ، وهو كان يسعى جاهدا الى ان يوفق بين كل ذلك .

ابن عسكر وكتاب التراجم :

نرى ان بعض كتاب التراجم تجنب الكلام عن ابن عسكر وفي طليعة هؤلاء ابن القاضي (ت 1025 / 1616) (32) في كتابيه : (درة الحجال) ، (وجذوة الاقتباس) ، ولعل سبب ذلك هو تلك النهاية الاليمة لابن عسكر ، ومع ذلك لم يصمت ابن القاضي عن ذكره بتاتا بل ذكره في دفتر وفياته الذي سماه : « لقط الفرائد » (33) حيث قال في احداث سنة 986 هـ : « والقاضي محمد ابن عسكر الشفشاوني قاضي

---

(28) نفس المصدر ص : 28 .

(29) (مؤرخو الشرفاء) تعريب الاستاذ الخلادي ط. الرباط ، ص : 160 .

(30) الدوحة ، ص : 26 ، ط. ح .

(31) (مقنع المحتاج في آداب الازواج) لاحمد بن عرضون ، ص : 131 . مخ. خ. ع. بالرباط رقم 1026 ك . وانظر حديثنا عن (ابن خجو) بمجلة دعوة الحق . ع : 8 . س 17 . ص : 73 .

(31 مكرر) الدوحة ص : 2 .

(32) ابن القاضي هو ابو العباس احمد ابن القاضي من آل العافية بمكناس العالم العلامة صاحب التآليف المفيدة في الفقه والهندسة والحساب والتاريخ والتراجم ، انظر الصفوة ص : 77 . وروضة الآس ص : 239 ، ط. الملكية ، تحقيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور . وص (م) من نفس المصدر

(33) مخ. خ. ع. ر. : 5968 د . ونشره الاستاذ الدكتور محمد حجي ضمن مجلد سماه : « الف سنة من الوفيات في ثلاث كتب » ، ط. الرباط . انظر ص : 315 .

قصر كتامة » عاطفا له على عبد الملك السعـــدي ، ومحمد المتوكل والفقيه ابراهيم بن سعيد ، أي على المتوفين في تلك الســنة .

وسبقت الاشارة الى ان الشيخ ابا عبـــد الله محمد بن عبد الله الهبطي ذكره في جملة أصحاب ابيه ودافع عنه ، ونأتي هنا بنص كلامه بالحرف اذ يقول :

« ومنهم القاضي الذي لا ينكـــــر
محمد اخو الدهـــاء عسكـــــر »

« فهو المعين والقمين والنفيس
والاحوذي الفطن الندب الرئيس »(34)

« وان يكن اتى بذنـــب ظاهـــــر
فقلبه من الشكـــوك طاهـــــر »

« وهو بشيخه الزكي معتصـــم
وحبله من حبله لم ينفصـــم »

« رايته في النـــوم ذا بشـــــارة
وهيئة حسنة وشـــــارة » (35)

هذه الابيات نقل ثلاثة منها الافراني في النزهة، ونقلها عنه الناصري في الاستقصا ، ونقلها كذلـــك الشيخ العباسي المراكشي في « الاعلام » ثم الاستاذ الخلادي معرب « مؤرخو الشرفاء » عند الكلام عن ابن عسكر مع ابدال كلمة القاضي (بالشيخ) احيانا .

وهذه الابيات يتجلى فيها مدح الشيخ محمد الهبطي لابن عسكر ، ووصفه بأوصاف حسنة ، فهو يصفه بالدهاء ، والرئاسة ... ويضفي عليه أوصاف الجدارة ، والنفاسة ، والفطانة ، والخفة والظرافة . .

ويعتذر عن ذنبه بطهارة قلبه من الشكوك ــ اي من الخيانة ــ وبانه رآه في النوم ذا بشارة وهيئـــة حسنة وشارة . وسبقت الاشارة الى ان ابن عسكر كان يجتمع مع أسرة الهبطي في انتقاد امراء بنـــي راشد بشفشاون ، ثم لا ننسى ان ابن عسكر كان من اهم تلاميذ الشيخ عبد الله الهبطي ومن أخلصهم له كما يتجلى ذلك في ترجمة له في الدوحة (36) .

وممن تحدث عن ابن عسكر ابو عبد الله محمد الافراني في (نزهة الحادي) في نهاية حديثه عـــن معركة وادي المخازن قائلا :

« وممن وجد في القتلى ابو عبد الله محمد ابن عسكر صاحب دوحة الناشر ، فانه هرب مع المسلوخ، وكان من بطانته ، ودخل معه بلاد الروم فوجد ميتا بين قتلى النصـــارى صريعـــا ، وتكلـــم النـــاس في امــــره ... » الخ . (37) .

وجاء في « ازهار البستان » للشيخ احمد بن عجيبة : « ومنهم الفقيه الاجل العالـــم الافضـــل . القاضي الاعدل ابو عبد الله محمد بن عسكر السريفي، وامه الصالحة ريسونية الشريفة الحسنية كان رحمه الله عالما فاضلا جوالا على اهل الفضل والصلاح لقي عدة وافرة من الاكابر ... الى ان يقول : وتوفـــي رحمه الله في وقعة وادي المخازن وكانـــت سنـــة 986 ... » ثم يذكر اتصاله بالمتوكل ... الخ . ويقول بعد ذلك : « وتكلم الناس فيه وأجاب عنـــه سيدي عبد القادر الفاسي وكذلك الفقيه العلامـــة سيدي محمد بن عبد الله الهبطي فانـــه ذكـــره في منظومته التي نظمها في أصحاب ابيه ... » (38) .

وممن اعتذر عنه وترجم له ترجمة وافيـــة ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطيـــب القادري في كتابه : « الاكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج » وبعد كلام طويل قال : « وقد أثنى عليه غير واحـــد واعتمدوا عليه النقل من دوحته ... » مخ . م . ر

اما الناصري في الاستقصا فانـــه اعـــاد نفس الكلام الذي ذكره الافراني عنه في النزهة ، ناقـــلا لابيات الهبطي في الاعتذار عنه (39) .

---

(34) الندب : السريع الى الفضائـــل ، الظريف النجيب الخفيف في الحاجة لانه اذا ندب اليها خف لقضائهـــا .

(35) المعرب الفصيح البيت : 999 ، مخطوط خاص .

(36) الـــدوحـــــة ، ص : 6 ، ط . ح .

(37) نزهة الحادي ، ص : 76 . ط . انجي : 1888 .

(38) ازهار البستان مخ : خ . م . رقم : 417 . ص : 144 .

(39) الاستقصـــــا : ج : 5 : 81 و 82 .

وترجم له الشيخ العباس بن ابراهيم المراكشي فى (الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعـلام) قائلا : « محمد بن علي بن عمر بن حسين بن مصباح الشريف الحسني السريفي عرف بابن عسكر قاضي شفشاون الشيخ الامام العلامة الصوفـي الحافـظ المسند الراوية الف دوحة الناشر ... » (40) .

ثم تحدث عن بعض المواد التي درسها ، وعن صحبته لبعض الشيوخ وتكلم عن نهايته ، واتى باعتذار الشيخ الهبطي عنه ...

اما الشيخ عبد الحي الكتاني فلقد تحـدث عن دوحته فى فهرس الفهارس قائلا هي : « للعلامـة الصوفي المؤرخ ابى عبد الله محمد بن علي بن عمر بن الحسين بن مصباح المعروف بابن عسكر ... وهي فى نحو عشر كراريس اليها المرجع فى أخبار القرن العاشر من المغاربة ... » (41) .

وترجم (ليفي روفنسال) فى كتابه « مؤرخو الشرفاء » لابن عسر مستوحيا ترجمته من الدوحة ومازجا جديثه عنه بالحديث عن الدوحة نفسها ، ومما جاء فى ذلك قوله : « لم يتحر فيها ذلك النوع من الاستيعاب الذي اتسمت به مؤلفات من اقتفوا أثـره فى هذا المجال ، الا انه كان اول من شفع وصـف مناقب الاولياء بمعلومات تتعلق بسلوكهم فى الحياة الدنيـا ... » (42) .

وممن تناول الحديث عن ابن عسكر الشيخ ابو العباس احمد الرهوني فى كتابه : « عمدة الراوين فى اخبار تطاوين » مانحا اياه نفس الالقاب التي رايناها عند الشيخ ابن ابراهيم فى الاعلام ، والشيخ الكتاني فى فهرس الفهارس (43) .

وتحدث عنه استاذنا محمـد داود فى كتابـه تاريخ تطوان » (44) .

وتحـدث عنه غير هؤلاء ...

وهكذا نرى ان مترجمنا قد تناوله عدد مـن الكتاب كل ذلك ـ فى غالب الاحيان ـ لاضطرارهـم للنقل عنه فى كتابه (دوحة الناشر) .

والحقيقة أن مترجمنا هذا جديـر بدراسـة موسعة ؛ لان حياته العلمية والسياسية جعلته مرتبطا بعدد من الاحداث الهامة فى وطننا العزيز .

ولعلنا من خلال دراسة شخصيته ، وتنقلاته ، نستطيع كشف بعض الحقائق الغامضة فى تاريخنـا المتشعب الجوانب والذي ما يزال كل جانب مـن جوانبه يحتاج الى تسليط الاضواء الكاشفة عليه .

كما اننا قد نستطيع كذلك من خلال دراستـه واتصالاته بالعلماء والشيوخ معرفة بعض الجوانـب عن الحركة الفكرية ببلادنا فى القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي ـ . ورحم الله ابن عسكر وغفـر لـه .

واخيرا فحديثي هذا عن ابن عسكر ليس هـو دراسة مفصلة عن حياته وشخصيته ، وانما هـو مجرد لفت نظر شبابنا الى شخصية لعبت دورا فى الحياة السياسية والفكرية على مسرح بلادنـا فى القرن العاشر الهجري .

---

(40) الاعـلام ، ج 4 ، ص : 174 . ط. الرباط .
(41) فهرس الفهارس ، ج 1 ، ص : 341 .
(42) (مؤرخو الشرفاء) نفس المصدر السالف الذكر . ص : 160 .
(43) (عمدة الراوين) ج : 5 : 66 مخطوط ، الخزانة العامة بتطوان .
(44) تاريخ تطـوان ج : الاول ، ص : 165 .

دراسات في الأدب المغربي -1-

مظاهر الثقافة لمغرب ما بعد الأدارسة وقبل المرابطين

للأستاذ عبد الكريم التواتي

1) الاوضاع السياسية في المغرب الى ما قبل المرابطين :

قبل المضي في بحثنا عمن سنتناولهم - ان شاء الله - بالدرس من شعراء وأدباء المغرب ، نرى ان نقف وقفة قصيرة ، ولكنها متمعنة ، لنتناول بقليل من التحليل أوضاع المغرب السياسية للعهود الاسلامية وبالضبط للفترة الواقعة ما بين اوائل الفتح الاسلامي وبوادر الوجود المرابطي ، وما اكتنف هذه الفترة من ملابسات ، باعتبار ان دراسة من هذا النوع ولهذه الجوانب ، كفيلة - في نظرنا على الاقل- بابراز بعض المؤثرات التي اسهمت في توجيه الابعاد الثقافية وسائر أوضاع الفكر العلمي والادبي هذه الوجهة دون تلك .

وهذه الدراسة بالتالي جديرة بتبيان ما احاط بكل ذلك من اختيارات مستوحاة من الداخل أو الخارج ، آملين من كل ذلك تكوين فكرة واضحة المعالم عن المجالات التي عالجتها او واكبتها تلك الحركات الفكرية ، ومدى ما اسهمت به في تكوين الاتجاه القومي ، وفي بلورة مقومات هذا الاتجاه الذاتية ، وابراز هذه المقومات القريبة والبعيدة ، العميقة والضحلة على السواء .

ونفعل ذلك لاعتقادنا ان الفكر العلمي ، والثقافة في مفهومها العام ، أدبا وعوائد وسمات خاصة ، هما المرآة الحقيقية التي تعكس على صفحاتها وجود الامة ، وهما كذلك المقياس الذي به يقاس ما حققته هذه الامة من طفرات وقفزات في ميادين الرقي الحضاري والعمراني ، أو ما كان انتابها او ينتابها في سيرها نحو استكناه المجهول واستشراف المستقبل من انتكاسات وتعثرات .

وبدون معرفة الابعاد التي تتوخاها اهداف الامة ، والحركات الانسانية فيها ، والغايات التي تحرك هذا الانسان ، وتلهمه خططه المنهجية ، وما يمكن ان يخترعه من وسائل لمباشرة تلك الخطط فلن نتمكن من معرفة المصادر الحقيقية التي استمدت منها هذه الامة ثقافتها العامة ، ولا المصبات التي وجهتها اليها ، ولا القنوات والمسارب التي سارت فيها .

وحيث اننا نؤرخ ، او بتعبير ادق نحاول استنطاق الاحداث التاريخية لمعرفة مدى تغلغل الفكر العلمي والثقافة العربيين في الوجود الذاتي لهذا الوطن ، الذي جدد عروبته يوم اتصل بالاسلام وربط مصيره الى الابد بمصير الامة العربية الاسلامية الممتدة عبر أصقاع الدنيا .

وحيث ان وجود الامة الثقافي مرتبط أشد الارتباط واوثقه بوجودها السياسي الذي يتبلور في مجتمعها المتفتح او المنغلق ، المتطلع للاسهام في المد الحضاري الانساني العام ، او المنكفىء على

---

*) انظر دعوة الحق صفحة 144 ، العدد : 5 - 6 السنة 15 .

نفسه ، المنطوي على محيطه البيىء ، يجتر امجاد الماضي الموهوم ، ويتحسر على الحاضر الضائع ، ويتخوف من المستقبل المجهول .

وحيث ان الوجود السياسي يعني بالدرجة الاولى - وبالنسبة لسائر الامم - ما تحمله هذه الامة من مراكز الصدارة ، وما يمكن ان تؤديه من الادوار الايجابية لبناء عالم أفضل ، وهذا يعني اهتمامها بالقاسم المشترك الاعظم الذي يوحدها مع بقية الخلايا الانسانية ، أي الثقافة والفكر العلمي والادبي .

نرى اعتبارا لكل تلك الحيثيات - قبل تناولنا بعض من يمثلون تلك الثقافة وذلك الفكر - ان نلم المامة خاطفة ببعض مراحل الوجود السياسي للامة المغربية ، كمجموعة بشرية تتكون من هذين العنصرين البارزين : العرب والبربر ، اللذين تلاحمت انسالهما وتمازجت دماؤهما ، وتآزرت جهودهما لبناء هذا الوطن الذي يحمل اسم المغرب الاقصى .

ذلك ، لانه بالاضافة الى الحيثيات المتقدمة ، كان الوجود السياسي منطلق الوجود الفكري للامة المغربية المسلمة .

والسياسة تظل على الدوام - وفي جميع المجتمعات - هي مركز الدائرة وقطبها ، بالنسبة لكل وجود انساني على هذه الارض ، وعنها اي السياسة تصدر الاختيارات التي تتبناها الامة اي امة ، وبها تتمايز تلك الاختيارات نفسها وتتبلور اهدافها .

وبعد تحليل الاوضاع السياسية نتبعه بتحليل عام عن الملامح الفكرية لوجود امتنا الذاتي علما وادبا شعرا ونثرا .. محاولين استشفاف الظواهر ، واستنطاق المآثر ، واستدرار بطون الكتب والاضابير .

والوجود السياسي للامة المغربية ومجتمعها العربي المسلم ، في هذه الحقبة التي نتناولها - كما قلت - بقليل من الدرس ، ابتداء من الوجود الادريسي الذي اعقب نهاية تبعية افريقيا الشمالية للشرق او الاندلس ، يتميز بأن المولى ادريس الاكبر لم يكن بالنظر الى سجل الفاتحين للمغرب من قادة العرب المسلمين الكبار اولئك الذين كانت لهم تأثيرات جذرية عظمى في نفسية هذه الامة ، لم يكن سوى الفاتح الثالث في الترتيب العام ، اذا اردنا أن نضع جدولا لاولئك القادة الفاتحين من العرب ، والذين توافدوا على هذه الديار اثر الفتوحات العربية الاخيرة التي هيأتها العقيدة المحمدية والتي حملت الاسلام الى ما وراء الجزيرة العربية حيث كان مهد الدين ومهبط وحيه المبين .

ووضعيته الثالثة من حيث هذا الجرد ، اذا استثنينا طبعا اولئك الذين لم يكتب لهم المقام طويلا بافريقيا ، من الذين كان الخلفاء الامويون يبعثون بهم حكاما وولاة على عموم افريقيا حينا او على أجزاء منها من المغرب حينا آخر ، كحسان بن النعمان الغساني الذي كان ولاه عبد الملك بن مروان عاملا له على عموم افريقيا .

وكان لهذا العامل بالخصوص الفضل الاول واليد الطولى في غرس بذور الفكر والثقافة الاسلاميين ، كما سنشير فيما بعد .

وهكذا فاهم الفتوحات السياسية غير فتح الغساني كانت هذه الثلاثة التي سنحاول في عجالة وايجاز الاشارة اليها .

ونؤكد بادىء بدء ان الفتح الادريسي رغم تأخره زمانيا يمكن اعتباره بوجه ما ، الفتح العربي الحقيقي لهذه الديار ، من جانب دعاة العقيدة المحمدية ، اذ بعده ، شهد المغرب - نتيجة وحدة العقيدة - كثيرا من الاستقرار السياسي .

الا ان الفتح الادريسي سبقه - كما قلنا - فتحان آخران اساسيان لهما قيمة عظمى في تمهيد الطريق وتوطئة الجو لكل فتح أتى بعدهما ، وخاصة للفتح الادريسي واستقرار وجوده السياسي ان صح التعبير .

فاذا كان الفتح الادريسي قد تم مع وفادة ادريس بن عبد الله دفين زرهون (وليلي) على الاوربيين سنة 172 هـ على أصح الروايات ، فان المغرب شهد الفتح الاول من الفتوحات الثلاثة الرئيسية على يد عقبة بن نافع الفهري زمان خلافة يزيد بن معاوية اي في سنة 62 هـ ، وقد بلغ عقبة في زحوفه بالاضافة الى عاصمتي المغرب لعهودئذ : طنجة ووليلي - الى مدينة - تارودانت - عاصمة السوس الاقصى ، وواصل زحوفه تلك الى ان اعترضته مياه المحيط التي سجلت في وعي كلمته

الشهيرة التي قالها بالمناسبة : (اللهم اشهد أني قد بذلت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك) أو كما قال .

وبالطبع كانت وفاة عقبة بمدينة من مدن الزاب بالقطر الجزائري سنة 64 هـ على يد قائد بربري ، كانت كارثة بالنسبة للوجود الاسلامي والعربي في عموم ديار افريقيا الشمالية ، ونكسة عظيمة اصابت الزحوف الاسلامية التبشيرية في الصميم ، وأوقفتها الى حين ، كما ان هذه النكسة احيت الجاهلية المستحكمة ، وجعلتها تنتفض من كبوتها التي انتابتها اثر فتح عقبة ، وتتماسك الى حين كذلك ، مما حمل الكثيرين من البربر الذين لم تكن العقيدة الاسلامية تمكنت من قلوبهم على ان يرتدوا بزعامة الكاهنة .

اما الفتح الثاني المهم الذي شهده المغرب بعد فتح عقبة ، فقد كان الذي تم على يد موسى بن نصير ايام خلافة الوليد بن عبد الملك سنة 87 هـ اثر تعيينه اي ابن نصير واليا للوليد على افريقيا .

والعهد النصيري هذا يمكن اعتباره أهم العهود التي شاهدت فيه البلاد المغربية تفتحا عقديا، اذ فيه تم بزعامة هذا الوالي وتحت قيادة وامرة مولاه طارق بن زياد المباشرة فتح بلاد الاندلس على يد جيش اسلامي يتألف — فيما قيل — من اثني عشر الفا من المسلمين ، وفيما تذهب اليه بعض الروايات التاريخية ، وكان معظمهم من البربر ، اذ لم يتجاوز عدد العرب فيه بضع مئات .

وتعرفت الجموع الشعبية في هذا العهد الى اهداف الدين الاسلامي الحنيف ، ومبادئه العادلة ، مما جعلها تكبر جهود دعاته ، وتقدر ما بذلوه من جسيم التضحيات في سبيل ارساء قواعده ، واستتباب الامن في ربوع هذا الوطن ، وبين اهله ، الشيء الذي حمل هؤلاء الاهالي على الطاعة والولاء والنظام .

ولزيادة تشبث الناس بالدين الجديد عمد الفاتح ابن نصير الى شراء عدد من العبيد الذين كانوا اسلموا ثم اعتقهم بعد أن تأكد من صحة عقيدتهم الاسلامية ، وتمكن مبادئها من ارواحهم .

ولا نستبعد ان تكون ولاية طارق لابن نصير انما آلت الى هذا الاخير واستحقها من هذا القبيل وأنه كان من بين هؤلاء العبيد المعتقين ، فالولاء — شرعا — لمن اعتق . .

واذا كان هذان الفتحان لم يستطيعا ان يقضيا نهائيا وبتاتا على كل تمرد او عصيان بربري ، من حيث ان بعضا من هؤلاء لما يسبروا بعد اغوار العقيدة الجديدة ، ولم يدركوا بالتالي حقيقة اهدافها الانسانية والتحضيرية والعلمية ، حتى لقد اعتقد بعضهم ان هذا الوجود العربي الاسلامي انما كان مجرد وجود استعماري جديد على غرار ما سبق ان شاهدوه وعانوه من وجود الفينيقيين والرومانيين والبيزانطيين والوانداليين وحتى لقد حفز البعض من اولئك البربر السكان الاصليين على مقاومة هذا الوجود الاسلامي بكل الوسائل وحفز بالخصوص الكاهنة (داهية) على اثارة حفائظ البربر ، ودعوتهم الى التهاج حرب العصابات وتحريق المدن والحصون ملهبة حواسهم، تمثل هذه الكلمات التي نسبوها اليها (انما تطلب العرب من المغرب مدنه وما فيها من الذهب والفضة، ونحن انما نريد المزارع والمراعي ، فالراي ان تخرب هذه المدن والحصون وتقطع أطماع العرب عنها) .

واذا كان هذان الفتحان ايضا لم يبعدا عن المحيط العربي الفاتح نفسه رسوبات التمزقات الجاهلية وما كان انبعث من حزازات قبلية اثر احداث الفتنة الكبرى بين انصار علي ومعاوية ، وما اعقبها من توائب الامويين ثم العباسيين على الحكم والسلطة ، وفي مختلف الاصقاع التابعة يومئذ للنفوذ الاسلامي وشوهدت الطائفية المقيتة تشرئب بأعناقها مبطنة بهذه المذاهب العقائدية المتناحرة في الظاهر من اجل الدفاع عن الاسلام ، وفي الباطن من اجل الاستحواذ على السلطان ، وتوزعت البلاد هذه الفرق المذهبية من سنية واعتزال وخوارج الى آخر الفرق والاحزاب التي تزخر بها كتب تاريخ هذه الحقبة من حياة الامة العربية الاسلامية .

أقول اذا كان ذلك الفتحان لم يتمكنا من انهاء الصراع بين الفاتحين والبربر السكان الاصليين فانهما من جهة اخرى تمكنا من تأسيس القواعد الثابتة لارساء الوجود الادريسي ، وهيآ له التربة الخصبة ، والمناخ المناسب ليبذر بذور الوحدة الدينية ، وليوحد الصفوف حول المولى ادريس .

ولا ادل على هذا التوطيد والتهيىء من التنازل الطوعي الكريم النبيل الذي قام به زعيم قبيلة أوربة الحاكمة للمولى ادريس مع قبوله عن طيب خاطر ان يكون ــ وهو المسموع المطاع فى قومه ــ مجرد تابع لبضعة نبوية .

ولا شك ان هذا التنازل سجل تحولا جذريا عميقا فى ميدان العلاقات بين العرب الفاتحين وبين البربر السكان الاصليين ، كان من نتائجه الايجابية والحاسمة ما تم بين العنصرين من تلاحم وانصهار ، وما اسفر عنه من توحيد المصائر والاهداف بعد توحيد العقيدة ، واكتشاف وحدة العرق والدم والاصول ، اذ عرف الجانبان انهما انحدرا من أرومة واحدة فى بداية الانطلاق .

2) الاوضاع الثقافية والفكرية :

المتقصي للمد الثقافي العربي بهذه الديار المغربية ، وبعد ارساء قواعد الفتح الادريسي ببناء ادريس الثاني عاصمته السياسية والعلمية فاس ، التي انطلق منها يوسع رقعة مملكته فيما وراء تخوم المغرب الاوسط الجزائر ، يلاحظ انحسار هذا المد بعد هذا الفتح تماما ، حتى ليمكن القول بأن الحركة الثقافية مع اختلاف مدلولها الخاص والعام ، لم تشهد حيوية ، ولم يواكبها انبعاث ، ولم تقم لها قائمة تذكر ، وانما أصابها خمود وركود ، وانتابها شلل عطل رسالتها ، واصابها بالعقم الشبه كامل ، واعتراها فتور ممل ممض ، حتى ان على الباحث الذي يحاول العثور على معالم بينة واضحة لادب مغربي عربي ان يقطع قرونا من المراحل التاريخية ــ وهي القرون الثلاثة تقريبا التي تفصل بين الوجود الادريسي وقيام دولة المرابطين ــ ليقف على بعض الاشراقات التي يحتضنها هذا العهد المرابطي .

وهذا اذا استثنينا طبعا ، تلك الجذاذات من علوم الفقه والتشريع ، وعلم الحديث ومبادىء القراءات والتفسير التي كان يراود مجالاتها رواد قليلون ، لا يكونون ــ اذا قيسوا بأمثالهم فى الشرق العربي الاسلامي ، بل وفى الاندلس حيث الدولة الاموية الناشئة ، وفى القيروان حيث المسودة العباسيون ما يزالون يستميتون فى التمسك ببقايا وجودهم الآخذ فى الافول هناك ، والمتعرض ابدا لمناواة الامويين بالاندلس ــ لا يكونون قطرة من بحر ، ولا مدا من طوفان .

وعندما عزمت على تناول هذه الحقبة بالدرس ، وخاصة ما يتعلق منها بالميدان الادبي والشعري حتى بفاس التي ظلت الى نهاية الادارسة ، وقيام المرابطين ومن بعدهم بل والى اليوم المركز العلمي المرموق ، وبوصفها العاصمة الام لكل الحركات الفكرية والثقافية التي شهدها المغرب ، وبوصفها منشأ الوجود الاسلامي العربي فى هذه الاصقاع ، ويعني كل ذلك ان دراسة مستفيضة لمظاهر الفكر والثقافة فى فاس تعني أولا وبالذات دراسة الجذور الاولى والاسس الذاتية للثقافة والفكر المغربيين فى عموم الاقاليم المغربية وأصقاعها شمالا وجنوبا شرقا وغربا ..

اقول عندما انهمكت فى دراسة ما يمكن اعتباره المراجع الاولى والاساسية ابتداء من الوجود الادريسي الفنية حقبته بالمراجع التي تعالج بصفة خاصة الاوضاع السياسية وبعض الاجتماعيات اعثر بين ثنايا تلك المراجع على ما يشفي الغليل فى ميادين الثقافة العامة والفكرية عموما وفى مجالات الادب والشعر خصوصا ..

وانما لاحظت ــ كيف يتسم كل شيء له اتصال بالثقافة والفكر بالغموض والعموميات ، وما حاول ابرازه على أنه ذو قيمة يتسم هو الآخر بالضحالة وعدم العمق ، ويبرز من بين ثناياه التكلف والابتسار .

وقد لاحظت ان جميع الذين تناولوا ــ قبلي ــ هذه الحقبة بالدراسة ــ بحثا عن العلم والثقافة لم يستطيعوا ان يخفوا هذا العقم فى ميدان الادب والشعر ، حتى ان المرحوم الفقيه الحاج احمد النميشي قال فى محاضرته عن شعراء فاس : (انه لم ينبغ شاعر بعد ادريس الثاني بالحضرة الفاسية يستحق التدوين قبل دولة المرابطين) الشيء الذي جعله أي النميشي ينتقل فى تعداده الشعراء من ادريس الثاني الى ابي بكر ابن باجة التجيبي المعروف بابن الصائغ ، والذي كان قتل مسموما سنة 533 هـ

وعبد الله جنون هو الآخر ، فى كتابه (النبوغ المغربي) يقول عن هذه الحقبة وفيما يخص هذه الظاهرة ظاهرة العقم : (نرى ان الغموض يساير الناحية الادبية فى العصر اكثر من الناحية العلمية ، فاذا استطعنا ان نعد افرادا من العلماء ، ونترجم لهم ، ولو على سبيل الاجمال ، فاننا لا نستطيع ذلك بالنسبة الى الادباء ، وغاية ما يمكننا ان نفعله هو ان

نذكر اسماء بعض هؤلاء الادباء الذين ورد ذكرهم عرضا فى الكتب ، وفى المنازعات السياسية والمذهبية ، بسبب بيت أو بيتين من الشعر الذي يرويه لنا هذا المؤلف أو ذاك على أنه مما قيل فى الموضوع (النبوغ المغربي ج 1 ص 54) .

واذا كان البعض قد حاول تبعا للعاطفة ان يموه هذه الحقيقة البارزة ، فانه قد وجد نفسه يسبح فى متاهات ضالة ، هروبا من الحقيقة المرة التي تؤكد فى ضراوة والحاح ، ان المغرب — فيما بين الوجود الادريسي وقيام دولة المرابطين — لم يشهد حركة علمية صحيحة ، ولم يشارك فى نهضة ادبية ولم يسجل تاريخه الفكري سوى ضحالة تجسمت فى بعض البحوث الفقهية التقليدية ، وفى اجترار بعض الآراء فى التشريع المستنبط من الحديث على غرار احكام الامدي وابن عربي والجصاص

وحتى ان اقدم المخطوطات التي تفتخر بها خزانة القرويين كالتكملة والصلة لابن بشكوال ، والبيان والتحصيل لابن رشد ، المكتوبين بخط مغربي جميل وعلى رق الغزال ، ويرجع تاريخ أحدهما الى نفس الحقبة التاريخية التي تتناولها تقريبا اي القرن الثاني للهجرة ليست الا فى الفقه والتشريع .

على أنه من المؤكد تاريخيا ان الحركة العلمية أساسا لم تبرز بعض معالمها فى المغرب الا بعد انشاء مسجد القرويين ، ذلك لان المسجد فى تلك العصور ، والى ما قبل قيام المدارس النظامية فى بغداد ، المدارس العصرية الحالية كان هو المدرسة الوحيدة التي يتلقى ويلقى فيها ومنها العلم ، ومنها تناول المعارف الانسانية بالدرس والتحليل .

ومن المؤكد كذلك ان المدارس المسجدية لعبت دورا مهما وخطيرا فى تاريخ كل الحركات الانتفاضية التي شهدتها المجتمعات العربية الاسلامية، لا الحركات العلمية منها فحسب ، ولكن ايضا كل الحركات الاصلاحية والتوجيهية ، كما واكبت هذه المدرسة ، بكل دقة وامانة ، كل التطورات التي شاهدتها الحضارة الاسلامية أو أوجدتها منذ بعثته صلى الله عليه وسلم الى الآن . .

وامام هذه الحقيقة ، فلن نستطيع اذا اردنا ان نضع جردا لمرتادي المجالات الفكرية والثقافية ان نجد شعراء وادباء فى الوقت الذي نستطيع فيه ان نسجل عددا لا بأس به من حيث الكم ، وربما الكيف اذا نظر اليهم بمجهر محيطهم من مرتادي ميادين الفقه والتشريع .

وللتدليل على تلك الظاهرة سنورد فيما بعد لائحة لبعض هؤلاء اللامعين من الفقهاء ورجال التشريع مرتبة حسب مساقط رؤوسهم ، لان عرضها بهذه الطريقة فى نظرنا سيبرز مدى مساهمة كل اقليم فى هذه الحركة العلمية التي شهدتها البلاد المغربية ابانئذ . .

ثم الملاحظ ان هذا الاتجاه ظل يواكب الحركة الثقافية فى المغرب منذ انطلاقة الشرارة الاولى ، بل ما يزال يواكبها حتى الآن ، حتى اننا لنجد أن العدد الضخم من مثقفينا ، وبالاخص من خريجي المدرسة المسجدية لا يعنون الا بالفقه وعلوم الشريعة بينما يقل من بينهم عدد المهتمين بالعلوم العقلية والفلسفية والتاريخ والاجتماع بل الادب والشعر ، اما العلوم التطبيقية والتجريبية التي هي شيء حديث نسبيا فلا يمكن ان نجد من بين أولئك الخريجين واحدا يعيرها اهتماما ما . .

والملاحظ كذلك ان اهتمام اجدادنا المغاربة بالجانب الفقهي كان منصبا بصورة خاصة على الفقه المالكي بالدرجة الاولى ، وهذا فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات فى الاعم الاغلب ، اما فى المعتقدات فهم يتمذهبون بمذهب الاشعري .

الا ان ظاهرة سيطرة المذهب المالكي لا تعني ان المذاهب الاخرى لم تكن وجدت تربة خصبة فى هذه الديار ، فان واقع المغرب لتلك العهود يؤكد عكس هذا تماما ، ويثبت كيف ان مذاهب فقهية اخرى سوى المذهب المالكي كانت تمارس عمليا ، اذ كان للمذهبين الكوفي والشافعي انصار ، بل وكان المذهب الكوفي فى فترة ما هو صاحب الغلبة قبل استيراد المذهب المالكي ، وكان بنو مدرار حكام سجلماسة يعتنقون المذهب الخارجي ، بينما يعتنق اهالي تمسنا المذهب البرغواطي ، وشاهدت مناطق متعددة فى المغرب حركة اعتزالية محترمة . اما المذهب الشيعي فلم تطل بوادره على المغرب الا فى عهد ادريس الثاني .

اما أسباب تمركز المذهب المالكي فى المغرب دون سواه من المذاهب الفقهية الاخرى ،

نتعود في نظرنا الى :

اولا : ما امتاز به صاحب المذهب ، مالك بن انس ، من قوة ايمان وسلامة عقيدة وصمود في وجه التحديات التي كانت انتشرت لعهده في العالم الاسلامي ، وخاصة في العراق ، وقد تجسمت قوة ايمانه تلك في خصوص محنة خلق القرآن التي تولى كبرها المامون العباسي ، والتي امتحن فيها مالك حتى لقد ضرب ضربا مبرحا يقال انه كان سببا في خلع احدى كتفيه .

ثانيا : الى وجود الدولة الاموية بالاندلس ، هذه الدولة التي كانت تؤيد كل حركة مناوئة للعباسيين واذ لم يكن مالك بن انس مرضيا عنه ابدا من طرف المسودة العباسيين ، فقد راى فيه الامويون مواليا لهم ، وقديما قيل ، عدو العدو صديق ، فراوا ان يكافئوا مالكا باستيراد مذهبه الى الاندلس التي منها تسرب الى المغرب حيث اكتسح سواه من المذاهب .

ثالثا : الى بساطة قواعد هذا المذهب ، وقربها من البداوة ، وبعدها عن القوانين الحضرية المعقدة التي كانت تزخر بها المذاهب الفقهية الاخرى ، نظرا لنشاتها في ارض صنعتها الدراسات الفلسفية المتعددة من مختلف الامم التي اتصل بها الاسلام من هندية ، وفارسية ويونانية ورومانية وغيرها من فلسفات المجموعات البشرية الداخلة في الاسلام ، والمحتفظة في اعماق اعماقها بعاداتها وتقاليدها ، وبعض طقوس دياناتها الوثنية القديمة .

وقد تكون هناك اسباب اخرى وعوامل شجعت انتشار هذا المذهب لم نهتد نحن اليها .

ثم ان هذا جرد بسيط لبعض اولئك الاعلام من الفقهاء الذين احتضنتهم الفترة التي تؤرخ لها راعينا ترتيبهم حسب مساقط رؤوسهم وتاريخ وفياتهم .

فمن فاس نقف على اسماء هؤلاء الاعلام :

1) دراس بن اسماعيل الفاسي ، وكان من بين اولئك الذين ادخلوا المذهب المالكي الى المغرب، وبحي مصمودة من مدينة فاس الى الآن مسجد يحمل اسم (مسجد سيدي الدراس) توفي سنة 357 هـ

2) ابو جيدة بن احمد اليزناسني ، وهو صاحب الفتوى التي قالت ان ارض فاس لاهلها ، لانم اسلموا عليها ، وقد افتى بذلك حين حاول حاكم المنصور بن ابي عامر — وقد كان تغلب على فاس — ان ينتزع الارض من اهلها بدعوى ان المدينة فتحت عنوة .

ولابي جيدة تآليف في الوثائق على طريقة الشافعية ، وتوفي بفاس سنة 365 ودفن قرب الباب الذي يحمل حتى الآن اسمه بهذه المدينة اي باب سيدي بوجيدة .

3) ابو عمران الفاسي الزناتي موسى بن عيسى بن ابي حاج الفنجومي نسبته الى غنجوم نخذة من قبيلة زناتة يدعون ابناء حاج واليهم ينسب الدرب المعروف حتى هذا التاريخ بفاس باسم درب بوحاج ، له كتاب التعاليق على المدونة ، وقالوا عنه انه خرج عوالي حديثه في قرابة مائة ورقة وتوفي سنة 430 هـ .

ومن طنجة ، نجد هذين العلمين :

1) سلمان بن احمد الذي وصف بانه استاذ في القراءات .

2) ابن حمدون صاحب الاشعار في مناسك الحج .

ومن اصيلا ، نقف على الخصوص :

1) ابى محمد الاصيلي الذي لا تزيد كتب التراجم على ذكر اسمه ونسبته الى مدينة اصيلا .

ومن سبتة نذكر :

1) ابن ابي غافر عيسى بن علاء .

2) احمد بن قاسم .

3) ابا بكر بن زوبع .

ومن البصرة ، وهي مدينة اسست قرب مدينة القصر الكبير في عهد الادارسة ، حيث كان

اتخذها القاسم بن ادريس مقر حكمه حين وزع أبناء ادريس مملكة أبيهم فيما بينهم ، وقد خربت على يد أبي الفتوح زيري الصنهاجي ، نذكر :

1) أبا هارون الذي يقال انه كان أول من ادخل كتاب ابن المواز الى الاندلس .

2) عثمان بن سعيد الذي يقال انه كان فقيها على مذهب العراقيين .

ومن مليلية يذكرون بالخصوص :

أحمد بن الفتح دون الاشارة الى غير اسمه.

على ان التاريخ يشير الى أن من بين فقهاء المصامدة والمرابطين واللمتونيين هؤلاء الآتية اسماؤهم :

أيوب بن محمد المصمودي ــ ابو القاسم بن محرز ــ سليمان بن عذراء ، وهذان مرابطيان ، ثم تونارت بن تيدي اللمتوني .

للحديث صلة :

فاس : عبد الكريم التواتي



السلطان مولاي إسماعيل

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

اقتبس شبه ترجمة حافلة بالامجاد لفخر الملوك العلويين ، وأعظم السلاطين المولى اسماعيل ابن الشريف بن علي العلوي الحسني دفين مكناسة الزيتون اسدل الله عليه رداء رضوانه ، للاسهام بنصيب بمناسبة هذه الذكرى المجيدة .

ولادته :

يقول بعض المؤرخين ، انه ولد بسوس عام ستة وخمسين والف . والشائع الذائع عند جميع الاشراف بتافيلالت على حسب روايات ابن زيدان في كتابه « اعلام الناس » ، قال : لقد شافهني الشريف العدل البركة الضابط مولاي عبد السلام بن محمد بن الشريف بن علي بن عبد الرحمن بن الحران بن محمد ابن الصغير دفين باب ايلان من مراكش قائلا :

انه تلقى من أعيان كبراء الاشراف واعلامهم الاثبات ان المترجم له ولد بتافيلالت بالقصر المعروف « بأمجار » وأن القبة التي ولد بها لا زالت معروفة محترمة عند الخاصة والعامة الى الآن ، لا يلحقهم ادنى شك ولا ترديد ، وعند الله علم الحقيقة .

هو اسماعيل ابو النصر بن الشريف بن علي الينبوعي السجلماسي العلوي الحسني السلطان الذائع الصيت في المشارق والمغارب ، فخر ملوك المغرب الاقصى .

تربى في احضان الشرف والطهر بيت الملوك الاشاوس ، فحفظ كلام رب العالمين ، وتربى على مبادىء الشريعة الاسلامية ، تربية دينية صالحة ، وتلقى دراسته العربية والفقهية والتاريخية على اكابر علماء مسقط رأسه ، وكان يتكون تكوينا جثمانيا ، فيركب الخيل ويتدرب على حمل السلاح والرماية ، فكان له ما أراد ، اشتد ساعده وعظمت مكانته ، وظهرت نجابته وكفاءته ، فاتخذه اخوه المولى الرشيد خليفة له ، فأحسن السير وضبط احوال الامة ، ورفع مقام العدل والاحترام بين الرعايا ، واصبح يتمتع بسمعة عظيمة ومكانة عالية ، كان عارفا بفلسفة التاريخ وأيام العرب وأنسابها وأحوال الامم ، ووقائعها اماما مرجوعا اليه في السيرة النبوية وضبطها .

كان رجل السيف والثبات ، لجلالته مواقف تشرف في اجتثاث ما يسخط الله تعالى . وطني غيور حر الضمير ، صلب في دينه ، متمسك بحبله المتين ، يعاقب العقوبة الصارمة كل من ظهرت منه مخالفة في الشعائر الاسلامية ، أو مروق من الدين .

استخلفه المولى رشيد بفاس ومكناس ، تحسنت سيرته كما سبق ثم بويع له بالخلافة العامة بعد وفاة أخيه المذكور سنة 1082 اثنين وثمانين والف ، وهو اذ ذاك بمكناسة الزيتون كما في الترجمان المعرب . فوفد عليه علماء فاس وأعيانها

واهل القوة والبأس منها ببيعتهم ، ثم تتابعت وفـود المدن والقبائل المغربية على أعتابه الشريفة ببيعتهم وطاعتهم ، وحبهم وولائهم ، لما عرف عنه مدة خلافته من قسطاس مستقيم ، وسلوك جميل ، وشريف ، وحياة مليئة بمكارم الاخلاق ، وجميل الصفـات ، والقيام بالواجبات الدينية والوطنية .

نهض باعباء الخلافة ، واقام العدل بين الامة ، ورتب امور المملكة ، ودوخ سهلها والجبل ، واستنزل العصاة من صياصيهم ، وقام في وجـه الثـوار ، الاقارب والاباعد ، فكان النصر حليفه .

نظم الجيش ، وكونه تكوينا متقنـا مدربـا ، سميعا مطيعا ، وانتشر صيته ، وعظم امره ، لـدى الخاص والعام ، في داخل المغـرب وخارجـه ، واصبح ملوك الدنيا يهابونه ، ويخطبـون مودتـه ، واشتغل ببناء القصور والمساجـد والرباطـات ، والابراج ، والقلع ، والسقالات ، في النجود والاغوار، من مدينة وجدة ، الى وادي نـون (1) ، وعمرهـا بالجنود « الجيش البخاري » (2) لحراسة السبل ، وتأمينها ، ونزع السلاح والخيل من كل القبائـل ، لم يترك فيها شيئا الا لاهل الريف ، وايت يمور من البربر ، والوداية ، وعرب المعقل ، وجيش العبيد ، ومن نتج له فرس يصبح للحكومـة ، وامر الامـة بالاشتغال والكد على العيال ، والاشتغال بالفلاحة ، والقيام على الماشية ، والاشتغال بما يعنيهـم مـن صناعة وتجارة ، فعظمت ثروة البلاد ، وكثر الروجان، واتسع العمران ، واطمأنت الامة ، على صفة لم يتقدم لهـا نظيـر .

جمع اهل الدعائر من كل قبيلة ، وأودعهـم السجون ، فكانوا يخدمون في البناء مـع أسـارى الكفار ، ويبيتون في الدهاليز . فساد الامـن في دولته ، حتى كانت المرأة والذمي يسافران المـدة الطويلة في البلاد القفرة ، فلا يتعـرض لهما أحـد بسوء ، ولا يسألهما من اين ، ولا أين ؟ الا ما كان من الحرس المكلف بتامين الطرق وحياطة المارة .

نفقت في ايامه الزاهرة سلع العلـم والادب ، وتوالى الخصب وعم الرخاء ، والى ذلك يشير ابـو القاسم الزياني في الفية السلوك بقوله :

في عام جفش (1083) تم بدره وصال
ومهد المغرب سهلا وجبـال (1)

وقال للسلاح والخيل اغربـي
من كل حي عجمـي او عربـي

وجمع الدعـار في الدهالـس
وغيرهم من ارباب المناحـس

---

(1) يقـول صاحب « البستـان »
فقد شاهدنا آثر الاقدمين بالمشرق والمغرب وبلاد الترك والروم ، فما رأينا مثل ذلك في دولهم ، ولا شاهدناه في آثارهم ، بل لو اجتمعت آثار دول وملوك الاسلام ، لرجح بها ما بناه السلطان المولى اسماعيل رحمه الله ، في قلعـة مكناس دار ملكه ، ولم تزل تلك البناءات على طول الدهر قائمـة كالجبال ، لم تخلقها عواصف الرياح ، ولا كثرة الامطار والثلوج ، ولا آفات الزلازل ، حتى تخـرب المباني العظام ، والهياكل الجسام .

(2) سبب تسمية الجيش بعبيد البخاري :
ان المولى اسماعيل لما جمعهم وظفر بمراده بعصبيتهم واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضها على بعض ، حمد الله واثنى عليه وجمع أعيانهم، واحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهـم : انا وانتم عبيد لسنة رسول الله (ص) وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، وعليه نقاتل ، فعاهدوه على ذلك ، وامر بالاحتفاظ بتلك النسخة وامرهم ان يحملوها حال ركوبهم ويقدموها امام حروبهم وما زال الامر على ذلك الى آخر عهده ، فلهذا قيل لهم: عبيـد البخـاري .

وجمع العبيد من كل بلد
جند السود ولم يترك أحد

وصارت الغنم والذئاب
ترعى بصرح ما له أنياب

أيامه غزيرة الامطار
كثيرة الخيرات والثمار

الزرع الادام والمواشي
رخيصة وكل شيء خاش

وطهر الثغور من اهل الصليب
وعمر الحصون وفق ما يجب

حتى اتاه القدر المحتوم
فى شقطل (1139) فحلت الهموم

لا يخفى ما فى هذا النظم من الكسر والركاكة ، وانما سقته لفائدته التاريخية وشهرة صاحبه .

فتح الثغور ونشر الامن وانظمة الحكم وحرر الاقاليم المغتصبة : المهدية ـ العرائش ـ أصيلا ـ طنجة . وكان يعمل على تحرير ملبلية ، وسبتة ، ولكن القدر لم يسعده .

لقد تحدث عن ترجمته وسمو معارفه وعلو كعبه وتمسكه بتعاليم الدين والاستقامة ونشر العدل، العديد من المؤرخين العرب والاجانب .

يقول عنه مؤرخ فرنسا « سان ألون » :

« اما اخص أوصافه فهي الاعتقاد الراسخ فى الدين ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، مستحضرا لآي القرءان الكريم فى كثير من احواله ، ومضحيا بنفسه فى نشر الدين وعلو كلمته ، وبالجملة ، فانه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على أصول الدين وقواعده مثل مولاي اسماعيل منذ قرون ، مطلع على العلوم الدينية متفقه ، مستحضر لمسائلها الاصلية ، يتمذهب بمذهب مالك ، يصوم الكثير من الايام زيادة على شهر رمضان المعظم عند المسلمين بمدة شهرين فى العام، ما عرف عنه شرب الخمر ، ولا أي مسكر ، يعتمد على الله فى سائر احواله ، اذا دخل الصلاة توجه بكليته الى الله سبحانه ، يتجرد عن نخوة الملك وحلته ، ويطلب من الصلحاء والحجاج والعلماء الاكثار له من الدعاء ، عن ظهر الغيب .

لقد أقام سنة صلاة « الاستسقاء » فى سنة الجذب ، التي كانت سنة 1680 فخرج بنفسه فى اليوم السابع عشر من مارس ، حاسر الرأس ، حافي القدمين ، فى بدلة خلقة مصحوبا بسائر حاشية ملكه ، والجمع الغفير من رعيته ، وبعد اقامة الصلاة بذلك الجمع زار حفظه الله سائر مساجد المدينة ، واستغرق ذلك اليوم كله ، ولما رجع لقصره اصدر أمره لسائر المسيحيين الذين بايالته ، بتنكيس الاصنام التي بكنائسهم ومحال عبادتهم .

يعظم اهل الصلاح من الامة ، ويقضي حوائجهم، ويأخذ استشارتهم ، ويسلك استقامتهم ، يدعو المسيحيين عموما وملوكهم خاصة ، للدخول فى الاسلام ، صدرت منه عدة مكاتب بذلك لجل دول اروبا أشهرها كتابه للويز 14 يذكره بكتاب النبي الكريم الى هيرقل عظيم الروم ، ويدعوه الى الاسلام، كما يدعو الرهبان الموجودين بايالته للحضور عنده ، فيناظرهم فى الدين ، ويأمرهم باحضار كل ما لهم من كتب وحجة ودلائل على معتقداتهم ، ويتناول ذلك بالنقد والبحث معتمدا على التآليف الاسلامية التي كان يحضرها للمجلس .

كان طيب الله ضريحه يرشح مهارة الطلبة العارفين بنسخ الكتب وضبطها واتقانها أصحاب الخط البارع الجميل من فاس ومكناس وغيرها من العواصم المغربية ، لنسخ كتب الاحاجي والروايات كالف ليلة وليلة والعنترية سيرة عنترة بن شداد وغير ذلك مما يشبهه ، وبعدد النسخ منها ، ويفرقها فى جيشه وكبراء عسكره ويلزمهم مطالعتها ومزاولتها، حتى تصير لديهم من الضروريات ، وقصده من ذلك صيرورتهم على بال مما جمعته من مكايد الحروب من الكر والفر ، وتدبير نزول الجيوش ، والاخذ بالاحوط فى ذلك . وكيفية الهجوم وافتتاح المحاربة، وعقد الصلح والمهادنة ، وترتيب الشروط ، وتعلم الاقدام والمخاطرة وادراك المراتب بالمزايا . زيادة على ما فى ذلك من اعانة العسكر على السهر للحراسة وغير ذلك من كل ما يفيد حالة المجتمع العسكري فى الضعن والاقامة ، وتعلم المحاجات والاسئلة والاجوبة التي تقوي الذهن وتذكي العقل وتعلم التمايل فى الكلام ، واختيار ما ينبغي ، واجتناب ما يضر مع تعلم حكاية مجالس الحكام ، والوزراء التي لها الاثر الكبير فى ردع رؤساء الدولة واحتياطاتهم فى الاحكام ، وتأنيهم فى اصدارها ، خشية أن ينقل عنهم

ما يثير ، فيفضح أمرهم ، ويصفرون في أعين الناس، وهذا أمر محسوس في تكوين التربية والادب ، فمن لم يحفظ فصولا عدة من تلك الاحاجي والروايات لا يعد في نظره من عبيد البخارى الاحرار . (3)

كان للمولى اسماعيل اهتمام كبير ببناء مكناس، (عاصمة ملكه) وتعميرها وزخرفتها وتزيينها وكانه يريد ان يحدث لامته آية من آيات ملكه ، تكون عجبا لقومه وآية بينة لمن يأتي من بعده . كان مزيد اهتمامه يتجاوز حد المهندسين والفنانين ، يهتم بجليل الامر وحقيره ، يصدر الاوامر للبنائين بنفسه ، ويراقب اعمال العملة بشخصه ، ولا يترفع عن تناول المسماة « الفاس » أي آلة من آلات البناء بيده ، ويختبر الجير والتراب وغيره خشية أن يكون فيه غش ، كما يختبر استقامة الجدران حتى لا يكون فيها ميل أو عيب ، ويهتم بنقل الاشجار وغيرها من الامور اللطيفة ، حتى لا يقع فيها كسر أو اتلاف ، وبالجملة كان لا يفوته شيء ، ولو كان ذا اهمية قليلة، لما كان سائر ما في مكناس من العظمة والضخامة يرجع فضله للمولى اسماعيل . انه احب مكناس وفضلها على سائر جهات المغرب ، فمنها كانت تصدر سياسته ، في الدولة سواء في العلم او الاقتصاد أو الحرب أو السلم ، فهي عاصمته المفضلة .

كان المولى اسماعيل يهتم الاهتمام كله فيطوف في ممالكه وعلى رأس جيوشه يستوفي الجبايات ، ويقابل سفراء الدول ، ويخطب في المساجد ويدير مملكته ويقابل بنفسه بناء قصوره العظيمة وينظم حرسه الاسود ، كان بينه وبين عظماء ملوك أوربا من العلاقات السياسية الشيء الكثير المخلد في المؤلفات العربية والاجنبية ولقد الم بكثير منها مؤرخ فرنسا الماهر الشهير الرحالة الفيلسوف الخبير الكونت ذو كاستري ، في عدة من كتبه ، مثل نصوص الرسائل بالدعوة الاسلامية وحسن السياسة والمعاملة بالاخص خطابه الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، وجامس ملك الانجليز ، ودرتكرلوس ملك اسبانيا . . فقد نقل نصوص الرسائل بكاملها ، ويطول بنا الحال اذا نقلناها ، ولكن لا نغفل فضل ذو كاستري على تاريخه لحقائق الاشياء بحزم واتقان ، فقد حقق الاشياء ونقلها بأمانة ، بل وعلق عليها بكل انصاف وبدون تحيز .

من أوصافه :

لقد وصف المولى اسماعيل غير واحد ممن درس حياته بانه آية في الدهاء والسياسة والنباهة وصدق اللهجة ، نشأ في حرز وصون وعفاف ، وكان ذا جد واجتهاد وحزم وعزم ، ونجدة وشهامة وشجاعة ، ومروءة وقناعة ، ومتانة دين .

ومن جلائل أعماله رحمه الله :

اعتناؤه بتربية أولاد عبيد الديوان ، وكيفية تأديبهم وتكوينهم ، وكيف لا ، وهم سلالة « جيش البخاري » الذي تأسس لخدمة المصالح العليا للاسلام ، فلقد كان جمهور عبيد البخاري بالمحلة ، من مشرع الرملة ، تناسلوا وكثر عددهم ، وفي سنة 1100 أمر السلطان المولى اسماعيل أولئك العبيد أن يأتوا لهم بأبنائهم وبناتهم من عشر سنين فما فوق ، ولما قدموا عليه فرق البنات على عريفات قصوره ، كل طائفة في قصر للتربية والتأديب ، وتعلم الاشغال اليدوية من طبخ وتنظيف وخياطة وما الى ذلك من أعمال البيت ، أما الاولاد فقد فرقهم على أصحاب الحرف العاملين بالقصور وبناءات الدولة ، ما بين بنائين ونجارين وحدادين ، وطائفة منهم مكنها لسائق

---

(3) جيش الاودابة وبيان فرقهم واوليتهم :
هذا الجيش من امثال جيوش هذه الدولة ، وهو ينقسم الى ثلاثة ارحاء : رحى أهل سوس — ورحى المغافرة — ورحى الاودابة .

(4) وهنا ننشد الابيات التي استشهد بها الاديب الشهير والمؤرخ الخبير ذو الوزارتين ابن الخطيب السلماني رحمه الله . للشاعر ان عبدون ، اختصت مكناسة بطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء وسلامة المختزن من التعفين وغير ذلك :

ان تفتخر فاس بما في طيها ... وبانها في زيها حسناء
يكفيك من مكناسة أرجاؤها ... والاطيبان هواؤها والماء

الحمير كي يركبوها ويتدربوا على سياقتها ، وبعد سنة نقلهم لسائس البغال التي تحمل الآجور والزليج والقرمود والخشب ونحو ذلك ، حتى اذا اكملوا السنة نقلوا الى خدمة المركز وضرب الواح الطابية حتى اذا اكملوا سنة ، نقلهم الى المرتبة الاولى فى الجندية فكساهم ودفع اليهم السلاح ، يتدربون به على الجندية ، وطرقها ، حتى اذا اكملوا السنة مكنهم من الخيل يركبونها اعلاء بلا سروج ، ويجرونها فى الميدان للتمرس بها والتدرب على ركوبها ، حتى اذا اكملوا السنة ، ملكهم رؤوس الخيل بالسروج يركبونها ويتعلمون الكر والفر والثقافة فى المطاعنة والمراماة على صهواتها ، حتى اذا اكملوا سنة صاروا فى عداد الجند المقاتلة ، واخرج اليهم جلالته البنات اللواتي قدمن معهم ، فزوج كل واحد منهم بنتا ، قد اخذت نصيبها فى التربية والتكوين الحضري ، مع عشرة مثاقيل مهر زوجته . واعطى المراة خمسة مثاقيل شورتها ، وولى عليهم احد آبائهم الكبار ليبنوا دور سكناهم واعشاش ونواويل ، وبعث باسمائهم لديوان العسكر ، واستمر الحال هكذا يزود الجيش السلطاني بالعساكر المدربة المتعلمة المتمرنة ، القادرة على كل الاعمال العمرانية ، والحضارية ، والدفاعية ، فرقهم جلالته فى قلاع المغرب لعمارتها ، وحراسة الطرق والسهر على الامن ، وقد بلغت هذه القلاع أو الحصون بالمغرب ستا وسبعين قلعة ، لا يزال الكثير منها قائم العين والاثر بآفاق المغرب ، يعرفها الخاص والعام .

هذه خصلة أو منقبة من مناقب هذا الملك الشهم البطل ، عقب هذا توجه رحمه الله ورضي عنه الى تحرير اطراف المملكة . التي كان يحتلها الاجانب فى العهود السالفة ، عندما حصل الضعف والانكماش فى آخر عهود السعديين ، حيث تفرق شأن المغرب ، واصبح دويلات كملوك الطوائف ، وكان المستعمرون الطامعون يحاولون بشتى وسائلهم ودسائسهم ومكرهم أن يضربوا الاخ باخيه ويحتلوا قطعة اثر الاخرى .

تحرير المهدية :

الكل يعلم أن مدينة المهدية قد حصل عليها اعتداء من الاسبان فى الحدود العشرين بعد الالف ، عهد ضعف الدولة بالمغرب ، قامت جيوش المجاهدين حسب اعراف هذا الشعب البطل ، الذي لا يستكين للذل والاحتلال مهما كانت قوته ، وانه عندما يشعر بضعف الدولة يعتمد الله وينظم صفوف الجهاد ، ويتطوع كل من يطمع فى رضا الله والشعب ، فلقد قام المجاهد الشهير العياشي بجيش قوامه سكان مدينة سلا ، ومتطوعون من كافة جهات المغرب ، وحصلت مقابلات وحروب طاحنة بين الفريقين واستشهد كثير من المجاهدين فى سبيل الله ، ورغم هذه التضحيات الجسام ، بقيت المهدية تحت نفوذ الاسبان حتى قيض الله الملك المجاهد المولى اسماعيل ، فوجه جيوشه الظافرة لحصارها ، وتضييق الخناق فيها على المحتلين ، حتى ضاقت بهم السبل ، وخضعوا للامر الواقع ، فافتتحها عنوة ، وذلك يوم الخميس 11 ربيع الثاني 1092 بقيادة القائد البطل احمد بن حدو ، واخيه .

ولقد حضر هذا الفتح جماعة من متطوعة اهل سلا ، فى جهاد هذا العدو الغاصب منهم الولي الصالح المجاهد سيدي احمد حجي من الصلحاء المشهورين بالخير والبركة ، كما حضرها ولي صالح من نفس المدينة سيدي احمد الطالب وتشرفا هنا بمقابلة الملك المعظم الذي شرف بحضوره هذا الفتح المبارك ويقول المؤرخون انه أعزه الله أمن رئيس النصارى مع 306 من الاسبانيين على انفسهم ، اما الغنائم فقد اخذها المجاهدون المحررون .

فتح طنجة :

فبعد ما تنازلت البرتغال عن مدينة طنجة وسلمتها كهدية للانجليز ! الذي سيطر عليها ، واستبد بها حقبة من الزمن الى سنة 1095 حيث حاصرتها جيوش المغرب برئاسة القائد ابي الحسن علي بن عبد الله الريفي باذن جلالة الملك المولى اسماعيل المحرر البطل ، فشدد الحصار على المدينة بمن فيها وناوش بالقتال ، الى أن ضاق الخناق بالمحتلين ، فعمدوا الى تخريبها وهدم حصونها ، وركبوا السفن ولاذوا بالفرار ، فدخلها الجنود الاسماعيلية منتصرة ظافرة .

ولا تزال عائلة القائد المذكور مع بعض المجاهدين معه يسكنون طنجة حتى يوم الناس .

فتح العرائش :

في سنة 1100 آخر شوال ، تقدم اليها القائد المغوار ابو العباس أحمد بن حدو البطيوي ، في جماعة من المجاهدين لحصارها ، حيث كان الاسبانيون قد استولوا عليها بواسطة الشيخ ابن المنصور السعدي ، فنزل القائد وضيق عليهم وحاصرهم ، نحو ثلاثة أشهر ونيف ، ففتحها المسلمون بعد معاناة شديدة ، وذلك انهم حفروا المينات تحت خندق سورها الموالي للمرسى ، وملأوها بارودا ، ثم اوقدوها بالنار ، فسقط جانب من السور فاقتحم المجاهدون المدينة وتسلقوا على الاسوار ، ووقعت ملحمة عظيمة حتى ضاق النطاق وحل الجزع بالمحتلين ، فأمنهم القائد أبو العباس المذكور على حكم السلطان فنزلوا وأخذوا أسارى بأجمعهم ، ولم يعتق منهم الا أميرهم وحده ، وتم الفتح يوم الاربعاء الثامن عشر من محرم سنة 1101 .

فتح أصيلا :

لما فرغ المجاهدون من أمر العرائش عمدوا الى مدينة أصيلا فنزلوا بها وحاصروا النصارى سنة كاملة ، الى أن بلغ بهم الحصار كل مبلغ ، فطلبوا الامان ، فأمنوهم على حكم السلطان ، ولما لم يطمئنوا لذلك ركبوا من الليل سفنهم ، ونجوا الى بلادهم ، ودخل المسلمون المدينة فملكوها ، وذلك سنة 1102 وسكن بها ايضا ، أهل الريف المجاهدون ، وبنى قائدهم مسجدين ومدرسة وحماما ودار سكناه بالقلعة .

حصار سبتة :

بعد الفراغ من استرجاع مدينة أصيلا ، توجهت عناية الجيش المغربي وعظمة المولى اسماعيل ، لحصار مدينة سبتة الاسيرة ، ولقد استؤنف القتال مع المحتلين لها . وأمد السلطان هذا الجيش الباسل بفريق من جيش العبيد ، « جيش البخاري » كما صدرت أوامره السامية لرجالات القبائل الجبلية المجاورة لها ، بتقديم العون والمساعدة للمجاهدين المحررين ، فبلغ عدد المحاصرين لسبتة 25 الف جندي ، ومنح جلالته العون والرعاية للمجاهدين بجد واجتهاد ، فكان القتال لا ينقطع صباح مساء ، وطال الامر حتى ان جلالة السلطان اتهم القواد الذين في المحاصرة ، بعدم النصح والقيام بالواجب ، واستمر القتال بها الى أن توفي القائد للجيش أبو الحسن بن عبد الله رحمه الله ، وتولى القيادة مكانه ابو العباس أحمد بن علي ، وفي كل سنة يتعاقب الغزاة عليها ، والسلطان مشتغل بتمهيد الامن بأطراف المملكة ومقاتلة جبل فازاز وغيره ، ولهذه الاسباب لم يتم فتحها وتحريرها ، وبقيت في الاسر تحت يد المحتلين حتى يوم الناس ، ولكل اجل كتاب (تلخيص عن الاستقصا للناصري) .

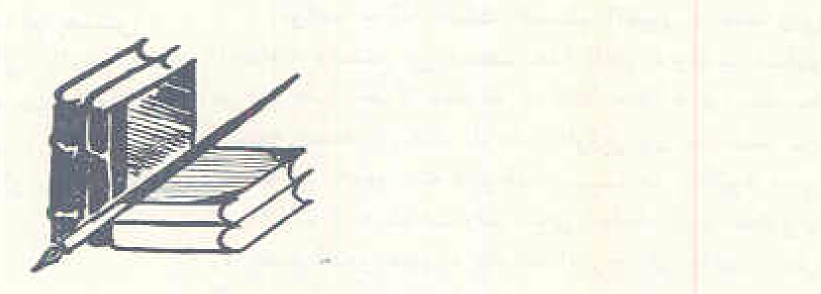
ولاخذ العبرة من سياسة هذا الملك العبقري البطل . نقتطف باختصار بعض الاتجاهات السياسية من رسائله لملوك فرنسا ، انجلترا ، اسبانيا ، فمن رسالته لملك اسبانيا . حيث صدر الوعد من جلالته بالعفو عن مئات اسباني كانت موجودة بالعرائش ساعة ارجاعها ولكن هؤلاء النصارى لم يستسلموا كما كان منتظرا ، ليصح العفو عنهم حسب الوعد بذلك ، بل لعبوا أدوارا وتدليسا ، وارتكبوا شططا ، وقاتلوا ، وخربوا وبهذه الاعمال المنكرة قامت قيامة علماء الاسلام بالافتاء ، أن العفو على هؤلاء المحاربين لا يصح ؟ لانهم اخذوا وهم يحاربون ؟ ولم يستسلموا كما سبق الاتفاق معهم ؟

فوقف جلالة الملك المسلم الغيور ، عند راي العلماء ، وامتنع من منحهم هذا العفو ، وكتب لملكهم يعرض عليه حلولا معقولة ، قائلا جلالته بواسطة خديمه محمد بن عبد الوهاب الوزير بأن ما صدر من جلالته من العفو عنه ، توقف بسبب ما ارتكبوه من المخالفات ؟ حيث صدرت فتوى العلماء بأنهم محاربون ولا يصح العفو عنهم ، ولذلك اقترح على ملكهم الحل الآتي : على الاسبان ان يدفعوا تعويضا عن خمسين من أسراهم خمسة آلاف كتاب ، مائة عن كل واحد من الكتب المأخوذة من المسلمين سكان اشبيلية وقرطبة وغرناطة ، وما والاها من قرى المسلمين ، ويدفعون عن خمسين اسير الثانية خمسمائة اسير من اسرى المسلمين ، الرجل والمرأة والصبي الصغير أو الكبير والشيخ المسن من ايالتنا او غيرها ، اذ القصد هو تحرير المسلمين من الاسر مقابل اسراكم ، وان لم يقبلوا هذا الحل ، فالمائة من جملة الاسرى بالمغرب كاخوانهم الموجودين بالسجون المغربية أسارى . هذه النظرة المختصرة تنبيء بتفكير هذا الملك العظيم ، وخلقه للحلول المعقولة ووقوفه الدائم تحت راي الاسلام والمسلمين .

انها الشخصية الموهوبة نظرا لكونه لم يدرس بالخارج ولا تلقى اصول الهندسة والعبقرية الفنية والمعمارية ! ولكنه بنى مكناس واحدث فيها ما احدث حتى اصبحت حديث الركبان واعجوبة الازمان فى البنيان والعمران .

لم يغمض عينه الى الابد رحمه الله 28 رجب 1139 هـ . / 12 مارس 1727 م ، حتى كانت المملكة المغربية تنعم بالاستقرار والهناء وعزة الجانب، وحتى استطاع ان يطهر عددا من الثغور من غير الاحتلال الاجنبي حيث افتك وهران من ايدي الاسبانيين وعمل على فك العدد العديد من أسارى المسلمين وقمع التحرشات التركية بالحدود الشرقية والصحراوية ، واكد الاتفاقات السابقة مع الدول فى شأن حدود المغرب من وادي تافنى حدا بين الايالتين ، وفتح المراسي للتصدير والتوريد وأقام علاقات دبلوماسية مع جل الدول الاجنبية .

هذه نظرة مختصرة على حياة الملك البطل المولى اسماعيل الذي مات وسنه تناهز 83 سنة ومدة اقامته فى الملك 55 سنة ، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه جزاء الصديقين والشهداء والصالحين



أبحاث ودراسات

- منهجية التاريخ
- المثقف الوطني
- عن أدب المناسبات

منهجية التاريخ

للدكتور
ابراهيم حركات

ان كتابة التاريخ لا بد أن تتضمن ثلاثة جوانب :

1 ـ الصياغة ، اي الشكل الذي تقدم به الدراسة التاريخية اسلوبا وتنسيقا .

2 ـ المادة التاريخية نفسها .

3 ـ الهدف من الكتابة أو الدراسة .

ان منهجية البحث التاريخي تتناول بالدرجة الاولى مادة التاريخ نفسها دون أن تلغي من حسابها الهدف من البحث التاريخي ، ومن اجل ذلك تهتم هذه الدراسة بالمادة والهدف مجتمعين ، ولا تعود الى سرد النظريات المتضاربة عن المنهج التاريخي والتي تضع قضايا المنهجية اما كصورة مجملة او بموازاة التاريخ من غير أن يدخل الكثير منها فى صلب المادة نفسها ، وبالتالي من دون أن تساعد على حل بعض المشكلات التي تهم المعرفة التاريخية وتكتسي طابعا خاصا .

والمؤرخ قد يكون باحثا أو ناقدا أو مجرد مدون . وهذا الصنف الاخير لا يحتاج فى الواقع الى درجة كبيرة من الاطلاع الفكري ، فهو يسجل الحدث كما سمعه او قراه من غير أن يتدخل فيه بتحقيق أو مقارنة او دراسة ، ويكثر هذا الصنف بين المؤرخين التقليديين وهو فى عصرنا هذا لا يستحق أن يكون الا مساعدا لرجل التاريخ يزوده بما قيده او دونه . وعلى رجل التاريخ فى هذه الحالة أن يخضع هذا العمل البسيط من حيث الشكل الى مادة متكاملة او يستنتج منه معارف اضافية ما كان المدون ليفكر فيها اصلا . ويصبح المؤرخ باحثا عند ما يستقرىء جزئيات الاحداث والوقائع والحقائق ليستخلص منها صورة كاملة بعد الرجوع الى أكثر ما يمكن من الشهود او الوثائق والمصادر ، ومتى صنف الروايات والمعارف التاريخية الى ما هو حقيقة وما هو باطل وما هو مشكوك فيه مدليا بالحجج المقنعة ، فهو ناقد، ومن اجل ذلك فالمؤرخ الحديث هو بالضرورة ناقد الى حد كبير ، ولكن يمكن ان يتخصص المؤرخ فى النقد التاريخي فيساعد الدارس والباحث بقدر ما يكشف من مآخذ أو محاسن .

ومن اجل بناء العمل التاريخي ، هناك حالتان :

1 ـ قبل بناء العمل التاريخي .

2 ـ فى حالة بناء العمل التاريخي .

ففى الحالة الاولى يتعين أن تتوفر فى المؤرخ شروط اساسية ثلاثة :

اولا : التسلح بثقافة متينة

ثانيا : التجرد فى ظل البعد الزمني

ثالثا :: التجرد فى ظل الحرية الموضوعية .

اما بالنسبة للشرط الاول فان المؤرخين الذين اكتسبوا ثقافة واسعة يحصلون فى النهاية على درجة من الوعي بالمسؤولية العلمية ترفعهم عن مستوى الاحكام السطحية والالتفات الى توافه الجزئيات . ولدينا نماذج عبر التاريخ تؤكد أن هذا الصنف من المؤرخين يقدم الى الدارسين والقراء أعمالا تفوق فى حجمها وقيمتها اعمال المؤرخين ذوي الافق المحدود، ان هيرودوت الاغريقي الذي وضع كتابا فى التاريخ ضمنه لاول مرة معلومات واسعة عن حضارات الشعوب واوضاعها الاجتماعية جمع الى المعرفة النظرية خبرة واسعة بالمجتمعات والشعوب التي تعرف اليها عن كثب .

وكان الطبري مفسرا ومحدثا ومؤرخا . ويعد كتابه من اوثق المراجع الاولى عن تاريخ الاسلام فى القرنين الاول والثاني للهجرة ، وهذا فضلا عن اسهامه فى التفسير والحديث .

ولا خلاف فى غزارة معارف ابن خلدون والتي سمحت له أن يؤرخ لكل علوم عصره بشكل يدل على تمكن مباشر من هذه العلوم بما فيها الهيئة والفلك والعلوم الانسانية والدينية ، وهذا ما تؤكده مقدمته الشهيرة ، فضلا عن تاريخه الذي ابان فيه عن اطلاع شامل على اوضاع وماضي الشعوب والقبائل الاسلامية ، ولا سيما ما يهم المغرب الكبير .

وكذلك فان الدراسة القيمة عن اهم الحضارات الانسانية والتي ابدعها المرحوم توينبي ما هي الا نتيجة لمعرفة سابقة وشاملة لاحوال الشعوب التي درس عنها واطلع على دياناتها وثقافاتها بقدر سمح له أن يضع قدمه بقوة على قمة التفكير الانساني الواسع.

ان التاريخ ليس عملية جرد سياسي فحسب، بل هو كذلك دراسة لاحوال المجتمعات واقتصاد الشعوب من الوجهة التاريخية . وبالتالي فهو تحليل للحضارات والثقافات وكشف لاسرار حقب واعمال مجهولة . ودخوله من باب الرواية والاخبار وما يوازيهما من ابواب المعرفة التاريخية السهلة ليس من شانه ان يضع احكام التاريخ فى نصابها ، ولكن يجعل من الراوي والمخبر مؤرخا فى صف رجال التاريخ المعاصر حتى ولو نسب الى جمهور المؤرخين .

وليس لثقافة المؤرخ حدود يقف عندها ، ولكن، ما ان يرتبط بزمن معين ، ومكان معين ، حتى يكون عليه وهو يسجل الاعمال الانسانية من طريق الوثائق والنصوص وغيرها أن يتلافى التعجل فى اصدار احكام نهائية ما لم يسلم اكثر ما يمكن ، بذلك الزمن والمكان اللذين وضعهما تحت مجهره ليكشف عن خصائصهما وما يرتبط بهما من سلبيات وايجابيات . فقد يحدث ان يحمل عوامل سقوط دولة أو حكومة فى اسباب سياسية واجتماعية مثلا ، فاذا العامل الاساسي اقتصادي ، وعليه فى هذه الحال ان يراجع معلوماته ومنهجه فى استقرار العوامل والعودة الى النظام المالي والاوضاع والعلاقات الاقتصادية . وقد يستقر حكمه على ان عوامل انهيار الحكومة او النظام داخلية محضة ، فاذا اعادة النظر فى استقرائه واستنتاجه تمكنه من اكتشاف اسباب خارجية أو من تحديد مضمونها بتفصيل ولم يكن من قبل ليفكر فى ذلك . وهذا هو الذي يحمل باحث التاريخ على أن يتسلح مقدما بمعرفة كافية تتجاوز بقدر الامكان محيط اختصاصه الضيق ، ومتى اكتشف جديدا فى البحث التاريخي تريث فى تحديد اصوله وابعاده ونتائجه حتى يكسب هو نفسه معرفة عميقة بالموضوع قد تضطره الى الاستعانة باختصاصيين فى مواد وعلوم اخرى .

واما التجرد فى ظل البعد الزمني فهو يعني انه كلما تقادم الزمن على الاحداث والوقائع كلما تمكن المؤرخ من سبر اغوارها بكل حرية لانه ينقب عن ماض انقطع اثر المسؤولين عنه حتى وان وجد معاصرون لهم وجهات نظر اخرى . ولكن ليس من حق المؤرخ أن يستغل البعد الزمني وحتى المكاني فى تغطية الحقائق سلبا او ايجابا . وبالمقابل ، لا نجد الا قليلا جدا من انظمة الحكم فى العالم ، وعبر القرون ، تسمح لمفكريها ان يقولوا كل شيء وبالصورة التي يرتضونها هم . ولكن ، بالنسبة للمؤرخ خاصة ، لا يمكن أن يكون حكمه على أعمال الاحياء صالحا لان يكون نهائيا : اولا ، لان المؤرخ يهتم بالماضي قبل كل شيء ، وثانيا لان التعجل فى تقدير الاعمال والوقائع التي يعيشها المؤرخ مباشرة ، بينما أصحابها لا يزالون أحياء يمكن أن يغيروا مواقفهم وتصرفاتهم انما هو تحمل لامانة فى غير موضعها . وقد تكشف بين الفترة والاخرى من التاريخ المعاصر نفسه حقائق تبطل أو تزيل الغموض عن معلومات سابقة . فمن الواضح وضوح الشمس أن اقل قنبلة ذرية وقع تفجيرها فى هيروشيما بعد صنعها فى الولايات المتحدة ، لكن حقائق اخرى اثبتت فيما بعد أن اقل

تجربة ذرية وقعت فى النمسا على يد الالمان بينما كانت المانيا على وشك السقوط فى يد الحلفاء ، وكانت تجربة الالمان داخل الارض ، وحولت تصميماتهم فأسرار اكتشافهم وحتى علماء الذرة الى امريكا .

وليس من الحكمة ان نفهم ان التجرد فى دائرة تباعد الزمن ما هو الا ضرب التشبث بالماضي هربا من الحاضر ، فان الحاضر شيء واقع يفرض نفسه بأية صورة ، ويقدم من تلقاء نفسه وبوسائل متعددة ، أدوات الحكم عليه او له دون أن يكون المعبر بالضرورة هو المؤرخ . ذلك لان اغلب الاحداث والوقائع التي تهم مجتمعا بعينه ، يعيشها عادة اكثر من واحد ، أي تشترك فى صنعها جماعة تقل أو تكثر . وهذه الجماعة معروفة ولها هوية . واذا لم تتحدد الهوية فى الحاضر ، فان مؤرخ المستقبل يستولى البحث عنها فى الوثائق والمستندات باصنافها . خصوصا وان المعاصر قد يتعرض للاذى اذا هو مس اشخاصا احياء او احداثا بعينها لمسها عن كثب . وعلى اية حال ، فلا يوجد مؤرخ للحاضر بالمعنى الصحيح تماما ، لانه لا يمكن ان يكون الا مسجل احداث قد تكشف الوثائق بعده عكس ما رواه عنها او سجله ، أو ليس غريبا فى بلد كالولايات المتحدة يستخدم العقول الالكترونية فى الجزئيات والكليات لا تزال قضية مقتل الرئيس كينيدي تظهر به كل يوم روايات او وثائق جديدة قد تبطل التصورات والاستنتاجات الماضية ؟

وحتى فى اطار البحث فى الماضي لا بد من التسلح بالشجاعة لتاكيد استنتاجات عامة لا تروق المعاصرين او فريقا منهم . والشجاعة بالطبع من سبل التجرد ، والهدف منها هو تحقيق معرفة تاريخية لا تفرق بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول لدى الغير ، أي انها لا تكترث بأن تصدم تصورات وافكارا اخرى لدى المعاصرين على شرط ان لا يكون همها ان تبحث عن الاطار القائم وحده ولا ان تلتفت الى الصفحات النقية وحدها ، فهذه ليست شجاعة وتجردا .

وكذلك يسمح البعد المكاني ايضا ، بالقيام بعمل تاريخي اكثر نزاهة أو ابعد عن الانصاف . وفى الحالة الاخيرة فان دوافع الدراسة التاريخية تهدف مقدما لتجريد الحقائق من صورتها الاصلية ، فعند ما كتب عبد الواحد المراكشي كتابه المعجب فى العراق ، وهو يعرف بتاريخ المغرب ، أكد هو نفسه انه لا ينقص احدا حبة خردل مما له او عليه ، أي انه اجتهد ان يخدم الحقيقة ، فما كان يكتب وهو بعيد عن الدولة الموحدية ، بدافع الغيظ ولا بروح التهويل وتصوير الوضع بالمغرب تصويرا مزخرفا يرفع مجتمعه ونظامه الحاكم الى مكانة غير مكانته . اما التقارير التي وضعها مبعوثون استعماريون عن عدد من البلاد والمجتمعات قبل استعمارها ، والتي قدمت الى الحكومات الاستعمارية وشعوبها ، فأكثرها لا يكترث لحضارات الشعوب التي كتبت عنها هذه التقارير كما لا يهمه من معالمها الا ما يؤدي الى اغتصاب ترابها وخيراتها .

ومن الواضح أن ما يكتبه مؤرخ عن بلاد هو اقرب الى وثائقها الاصلية ، واكثر الماما باحوالها الخاصة لصلته الوثيقة بها ساكنا او مواطنا او دارسا فى عين المكان لا بد ان يتوفر على اكبر نصيب من الحقيقة اذا كتب بروح متجردة . وبديهي كذلك ، ان ما يصدق على المؤرخ فى هذا الباب يصدق ايضا بالنسبة لزميله الاجتماعي او الجغرافي او النفساني او اي عالم آخر . ولكن المعايشة المكانية تربط الباحث بقيود قد تختلف صفتها من بلد لآخر ، ومن مجتمع الى مجتمع ، فليس من اللائق مثلا أن تصف المجتمع الاسكتلندي بالبخل وانت تعايشه . وليس يمكنك فى بلد شيوعي أن تنوه بمزايا الليبرالية ان كنت ترى لها من مزايا ، وهكذا فان المؤرخ يجد نفسه فى وضع دقيق ليس فقط وهو يشغل نفسه بتصوير الحاضر ، بل كذلك اذا تناول الماضي وهو يعيش على نفس التربة التي يعالج ماضيها . فمجرد استناده الى وثيقة تصف سكان الجبال بالعنصرية أو الكبرياء وهم جزء من مجتمعه ، لا يبعد ان يثير رد فعل لدى مواطن معاصر من هؤلاء السكان فيكيل الصاع صاعين لهذا المؤرخ ، حتى ولو كان يتحدث عن ماض موغل فى القدم ، وبين يديه حجته .

وكل هذا يؤدي بنا فى النهاية الى الشرط الثالث مما يجب أن يتوفر فى المؤرخ قبل بناء العملية التاريخية ، وذلك هو التجرد فى ظل الحرية الموضوعية

فما هي هذه الحرية التي يتمتع بها الباحث ؟ انها من دون شك ، تختلف عن الحرية القانونية ، اي التي يبيحها القانون الوضعي وينص عليها الدستور ولكنها تلتقي معها فى بعض النواحي .

ولناخذ امثلة مقارنة فيما يلي :

قيود وحريات قانونية	قيود وحريات تاريخية
— حرية التعبير مع عدم المس بالمقدسات الدستورية	حرية واسعة فى القول مع امكان المس بانظمة الماضي
— عدم الشطط فى استعمال السلطة	نفس الشيء ، غير ان سلطة المؤرخ معنوية
— عدم اقتحام بيت خاص	حرية اقتحام البيوت والمجتمعات بكل اسرارها
— حرية التجول مع قيود فى بعض البلاد	حرية التجول فى ماضي العالم وحاضره
— حق الاضراب عن العمل فى بعض الانظمة	لا حق للمؤرخ ان يضرب عن الحقيقة
— حق الشغل	يشتغل المؤرخ بالعمل التاريخي اذا كان ياتي بجديد
— احترام منزل الجار	المؤرخ ينبش تاريخ جاره حتى ولو كان غير مشرف

فنرى والحالة هذه ، انما يتمتع به المؤرخ من حرية مبدئية فى بسط الحقائق ومواجهتها يفوق بكثير ما يتمتع به المواطن كمواطن ، من حريات عامة محددة على اية حال بقوانين وقيود .

لكن حرية الباحث فى التاريخ ليست خاضعة لقانون اتفاقي ، لكونها ترتبط بشكل المادة التاريخية ونوعها مما هو من اختصاص المؤرخ الباحث ، فهي تتسع او تضيق بحسب ما كان مسلما من الحقائق وما كان لا يزال مجهولا او فى طريق الافتراض . فقد كان متعارفا لدى اللغويين مثلا ان اول قاموس تم وضعه كان قبل الميلاد بقليل على يد الهنود . وجاءت آخر الاكتشافات الاثرية بسوريا لتثبت ان قواميس بلغة سامية مجهولة وضعت قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، واثبتت الاكتشافات ايضا وجود آلاف عديدة من الوثائق وآثار حضارة لم تكن معروفة قط بتل مرديخ او ما كان يدعى بالبا . ومن هذه الوثائق قوانين فى المعاملات ومعاهدات بين المنطقة ودول ما بين النهرين . وهكذا يعلق بعض المثقفين الايطاليين على هذا الحدث العظيم بقوله : « ان فصلا جديدا من التاريخ ينفتح امام اعيننا ، وسيغير كل ما عرفناه من معلومات حتى الآن » .

وحقا ان هذا الاكتشاف المذهل سيضيق الآن من آفاق الحرية فى اصدار الاحكام لصالح المؤثرات الحضارية السومرية وغيرها من الحضارات اللاحقة فى العصر القديم بمنطقة ما بين النهرين . فاقام الباحث الآن مادة جديدة كليا ، وله ان يتمتع بحرية البحث الموضوعية ، ولكن مع اناة وعميق استقراء .

ان الحرية الموضوعية فى البحث التاريخي تقتضي :

1 — التركيز على الحدث الانساني نفسه ، ولا يمنع ذلك من الاهتمام بالسلوك الشخصي للانسان فردا او جماعة . ولكن لا يعني ذلك ان تستعمل الحرية فى القذف وتحطيم الانسان لذاته .

2 — التوفر على الوسائل المعنوية التي تتيح للباحث القيام بعمله بعيدا عن الاغراء أو الضغط .

3 — الاستعداد الفكري والسمو العلمي الذي يسمح باستعمال المؤرخ لحقه فى الحرية بكل موضوعية .

وهكذا نجد ان مرحلة ما قبل بناء العمل التاريخي لها مستلزمات يستقبل بعضها عن مرحلة بناء العمل التاريخي ، ويندرج بعضها الآخر فى المرحلتين معا ، ومهما يكن من امر فان مؤهلات العمل التاريخي ليست من السهولة بالقدر الذي كان يتصوره الاقدمون ، والذي لا يزال يتصوره حتى بعض المحدثين . فثقافة المؤرخ تغطي مساحة شاسعة من المعرفة . وهو مطالب بالتجرد العلمي كورقة هوية تثبت ذاته الحقيقية قبل ان يدخل فى

معركة البحث التاريخي لا كالجندي يقضي على عدوه ولكن كالقاضي الذي تلقى تدريبا طويلا قبل ان يتسنم أعلى درجات القضاء وابعدها عن الاحكام المستعجلة غيـــر المترويـــة .

المؤرخ فى حالة بناء العمل التاريخي :

ان المؤرخ كما سبق ، يكون باحثا أو ناقدا . ومن الواضح ان الصورة المثلى للمؤرخ ان يجمع بين الميزتين ، فيكون باحثا ناقدا فى آن واحد ، وخير دليل على ذلك انه ينقد نظريات واستنتاجات سابقة ، بناء على اكتشاف جديد . ومن ثم ، فهذا الصنف من المؤرخين على ندرته ، هو فى عداد أي صنف آخر من العلماء التجريديين . وسواء أكان المؤرخ باحثـــا أم ناقدا فان عمله يتعين ان يخضع لخط واضح المعالم يلتزمه كلما مارس بناء العمل التاريخي .

وهكذا فان المؤرخ بوصفه باحثا ، تقتضي منه صناعة التاريخ ان يتولى على عاتقه :

1 ــ طرح التاريخ كقضايا ومعادلات

2 ــ سبر المتجاهل وسد الثغرات

3 ــ دراسة عميقة للصراع الطبقي

4 ــ تركيز افقيـــة التاريـــخ

وفيما يلي توضيح هذه المسالك بحسب الامكان:

1 ــ طرح التاريخ كقضايا ومعادلات :

ان عمل الباحث ليس كعمل واضع الكتـــاب المدرسي الذي يقدم معلومات خاضعة مقدما لمنهاج مقرر وتوجيهات مرسومة مسبقا . ومن شأن هـــذه المعلومات ، البساطة والايجاز والاعتماد على تفاصيل متعارفة من قبل ، بينما قاعدة البحث الاساسيـــة تقتضي الدقة فى الاستقراء والاستنتاج ثم فى العرض ثم هي تقتضي الكشف عن حقائق جديدة ثابتة مـــع ذلك بالحجة ، وبمعنى آخر ، فالمؤرخ الباحث كأي عالم آخر باحث ، ينتصب فى قمة العمل العلمي لانه يفحص بمجهره مستويات العلم على اختلافهـــا فى دائرة اختصاصه . وفى الوقت ذاته يأخذ مكانا واسعا فى القاعدة التي تضم سائر العاملين فى هذا الحقل ، فمع الباحث اذا ، نقاد ومؤلفون ومدرسون وغيرهم .

ولكنه هو منطلقهم جميعا يزودهم بالمادة الخام ويقدم اليهم زبدة عمل قد يستغرق منه السنين الطـــوال وعلى هؤلاء ان يستقوا منه ، كل بطريقته .

ان التاريخ يتكون من وحدات زمانية ووحدات مكانية . وقد يضيق مجال الاتصال بين هذه الوحدات او يتسع . وعلى سبيل المثال يمكن ان نربط بيـــن ظهور الحروب الصليبية وبين امتداد المسيحية الى روسيا فى القرن الحادي عشر م. فكلاهما بدأ فى وقت متفاوت . أي ان الامر يتعلق بتسلسل زمني حيث ان وصول المسيحية الى روسيا نشأ مـــن تدخـــل الصليبيين بالمشرق . وهناك وحدة مكانية الى حد، باعتبار تسرب المسيحية عن طريق المشـــرق ، ولا سيما من جهة ارمينيا .

غير انه لا سبيل فى نفس الوقت ، الى الربط بين اعتناق روسيا للمسيحية وهيمنة النفوذ المرابطي على الاندلس ولو ان العصر واحد . وعلى اية حال فان من أهم مراحل كتابة التاريخ مرحلـــة الوحـــدة الزمانية التي تظل حتى اليوم أساسا تقليديا لا يمكن الاستغناء عنه بصفة عامة ، فلكل شيء بداية ونهاية . غير انه لا البحث التاريخي ولا كتابة التاريخ تنتهي عند هذا الحد ، فالتسلسل الزمني ما هو الا ظاهرة طبيعية لتساوق الاحداث وجريانها على نحو عمودي ؛ وانحباس المؤرخ فى دائرة هذا التسلسل المغلق على أساس ان التاريخ مجرد سرد احداث متلاحقة لن يكون والحالة هذه ، الا كعمل جهـــاز التصويـــر الناسخ لصورة أصلية بكل ما تحتوي عليه من خدوش وتضبب ، وربما طمست معالم كانت واضحة أصلا . وهذا هو الذي يجب ان يهيب بالباحث الى ان يتناول معالم التاريخ كقضايا ولا سيما ما كان من هذه المعالم غامضا او معروفا بصفة سطحية أو مشبوهة ، فلناخذ مثلا : تاريخ الدولة الاموية ، فبقطع النظر عن كونه يمثل وحدة زمنية معينة ، فهو يتضمن جملة مـــن النقط التي ينبغي أن تعالج كقضايا وليـــس فقـــط كأحـــداث :

ـــ العقلية المادية والتفكير العلمي فى السياسة الامويـــة

ـــ مدى قوة التأثير البيزنطي على الحضارة الاموية

ـــ ابعـــاد سياســـة العصبية العربيـــة

ـــ علاقة الاقطار المفتوحة بالسلطة المركزيـــة

— الخط الجغرافي للفتوح ودوافع اختياره

— الصراعات المذهبية ومدى تأثيرها على الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية

— هل للثورات الخارجية دوافع عصبية او اقتصادية ؟

وهكذا قد تطول لائحة القضايا التي يمكن تناولها في دائرة العصر الاموي ، وبعض هذه القضايا نال حقه او كاد من البحث والمعالجة ، وجلها لم يخضع حتى الآن لدراسة عميقة . ونحن لسنا في هذه القضايا امام اشياء مجهولة تماما ، لان المبادىء في كلها مسلمة ، فلا جدال في أن العقلية المادية كانت تسيطر على تفكير الكثير من الحكام الامويين ، ولا جدال ايضا في وجود مؤثرات بيزنطية في الحضارة العربية ، كما ان مبدأ جنوح الامويين للعصبية العربية امر مسلم ، وهكذا نقول في باقي القضايا المذكورة آنفا من حيث المبدأ ، ولكننا نفتقر الى ابعاد كل هذه المبادىء المسلمة ، وهذا عمل الباحث الذي يعود الى جزئيات الاحداث ويتتبع التصرفات والمواقف .

والكثير من الاحداث المتساوقة والمتوازية يكون في حد ذاته معادلة يتعين على الباحث ان يهتدي اليها ويحددها ، فهجرة العلماء البيزنطيين من تركيا الى ايطاليا في القرن الخامس عشر هيئات للنهضة الاوربية الفكرية . وبالمقابل خلت تركيا من رجال الفكر ، فحل محلهم قادة الجيش التركي ، وهؤلاء استغلوا التجهيزات الضخمة التي تركها البيزنطيون ، فكانت النتيجة أن تركيا ركزت اهتمامها على القوة العسكرية ، بينما ركز الاوربيون اهتمامهم على العمل الفكري الى ان مكنهم ذلك من تحويل كفة العلم والسياسة لصالحهم : وهكذا تحدد لدينا المعادلة التالية :

التفوق العسكري التركي = قوة سياسية كبرى — علم

التفوق العلمي الاوروبي + قوة اقتصادية + تكتل سياسي = قوة رادعة شاملة

واذا كان التاريخ ينبغي أن يدرس كقضايا ومعادلا ت، فان ذلك لا يعني اننا نضحي بالتسلسل الزمني للاحداث البارزة لا سيما في الميدان السياسي فمن السهولة التوفيق بين السرد الزمني من جهة وبسط القضايا الرئيسية والمعقدة من جهة اخرى ، غير أن تكرار المعلومات نفسها في المصادر المتعددة، عندما يتعلق الامر بسرد الاحداث السياسية من فتوحات ومعارك وانتصارات وما الى ذلك ينبغي ان لا يؤدي بالمؤرخ الحديث الى القيام بنفس العمل ، ما لم يكتشف معلومات اضافية او يصحح معلومات متداولة ، ويبقى هناك قدر مشترك ، وحد ادنى من المعارف التاريخية التي لا يسع أي مؤرخ ان يصرف نظره عن ذكرها حيثما وجب أن يكون منطلقا لنظريات او معارف جديدة او وسيلة لتوضيح نقط لم تحظ من قبل باستجلاء .

2 — سبر المجاهل وسد الثغرات :

علمنا ان القسط الاكبر من اهتمام الاخباريين والمؤرخين عبر العصور ظل مقصوراً على الاحداث السياسية ؛ فالمعارك والغارات والفتوحات والانتصارات ، ثم النشاط الخاص بعدد من الملوك والقادة هي كل أو معظم ما زودنا به المؤرخون الاقدمون واللاحقون الى عهد قريب . وبقيت اغلب الجوانب التي يشملها التاريخ اما مجهولة تماما او منبثة في ثنايا المصادر بطرق غير مباشرة في معظم الحالات . فكم هي الدراسات التي وضعت عن التاريخ الاقتصادي بالنسبة لجل دول العالم وشعوبه ولا سيما الكبرى منها : الفرس ، العباسيون ، الاتراك ، النرمنديون ، الخ ؟ وما نصيب التاريخ الدبلوماسي بالنسبة لهذه الشعوب وغيرها ؟ وكم دراسة وضعت عن تاريخ العلاقات العربية بشعوب الشرق الاقصى ؟ وما مكانة عدد من الحضارات المحلية والاقليمية التي قامت في العديد من البلاد على مشهد من حضارات وحكومات مركزية موازية ؟

اننا امام فجوات هائلة في معارفنا التاريخية عن تطورات الشعوب والحضارات والتفاعلات التي قامت بينها عبر التاريخ ، وهناك تراكم عظيم في الدراسات التي يكرر بعضها بعضا بطرق مختلفة ولا تساهم في الواقع بجديد يذكر . ولناخذ على سبيل المثال ما وضع او الف من دراسات ومؤلفات عن الحضارة الاسلامية ، فهو يكاد يعد بالآلاف ، لان هذا الموضوع تناولته لغات عديدة وجامعات ومعاهد واشخاص في كل جهات العالم . والغرابة ليست في كثرة ما الف في هذا الموضوع ، ولكنها في تكرار نفس المعلومات

فى جل الدراسات المذكورة ، من غير ان تضيف فى اغلبها معلومات جديدة ، بل ومن غيـــر ان يهتـــدي كتابها الى مجاهل التاريخ الاسلامي التي تظل حتى يومنا هذا ميدانا بكرا للبحث والدراسة . وهكـــذا فمعالم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية فى كل من الصين وروسيا واندونيسيا وقسم كبير مـــن افريقيا لا يزال يكتنفها الغموض وتفكك الحلقـــات . والباحثون العرب فى ميدان الحضارة الاسلاميـــة يتجاهلون وجود بنيان اسلامي عريق فى التاريـــخ احيانا بالنسبة للمناطق الاسلامية غير العربية . ولا ريب ان عدم وجود خطة تنسيق للبحث على الصعيد العالمي والاقليمي والمحلي مما يضيع الكثيـــر مـــن الجهود البشرية هدرا ويساهم فى فسح المجـــال للافتراضات والتأويلات فى الكثير من ميادين البحث الحديثة . ذلك ان كثيرا من الشعوب والاحداث انما تتكامل حلقاتها التاريخية بالعودة الى مصادر لا توجد فى اطارها الجغرافي ، فبالاضافة الى وجود مصادر مكتوبة لهذا المجتمع أو ذاك فى بقعة أخرى من العالم ، هناك ايضا ، المصادر البشرية نفسهـــا : تشابـــه الحضارات واللهجات بين مجتمع وآخر متباعدين ، ووجود عادات متقاربة وانماط للحياة لا تكاد تختلف على بعد الشقة . وليس من خدمة العلم تجاهل هذا التشابه والمرور به مرورا عابرا ، فلقد يلقي مـــن الاضواء التاريخية ما لا تلقيه الوثائق المكتوبة .

وهناك اضراب يكون فى كثير من الاحيـــان عفويا عن الجوانب القاتمة من تاريـــخ المجتمعـــات والانظمة العامة عبر التاريخ . وهـــذه الجوانـــب القاتمة مما يدل حقا فى مجاهل التاريخ .

وما فائدة البحث فى مجاهل التاريخ الغابر فى وقت أصبح الماضي بكل امجاده ومساوئه يقبع بعيدا وراء ظهور اهل الحاضر ؟ هكذا يتساءل كل اولئك الذين سيطرت على عقولهم تقنية القرن العشرين وما ينتظر لها من مزيد التطور المذهل بعد القرن العشرين . ويقولون : كيف نشتغل بأطلال دارسة ، ووثائق بالية متآكلة ، وافكار بادت وزحف العلم بعدها الى مجاهل الكون والفضاء المتسامي زحفا ؟

وبعقلية اخرى يتساءل مثقفو العصر الحاضر : اي شيء سيفيد كل هذا الاهتمام بالماضي المجهول والمعلوم معا ؟ ماذا سيفيد فى تقدم البشرية بالقياس الى العلوم الالكترونية والآلات الدقيقة والبسيطةالتي يسرت للانسان معارج الحياة او هكذا يظن انسان اليوم الذي أصبحت حياته اكثر تعقدا منها فى اي وقت مضى وستزداد تعقدا .

والبحث فى الماضي المجهول انما هو تحديد لهوية الانسان فى عصر ما ومكان ما . وهوية ايـــة قومية او شعب او جماعة لا يمكن أن تتحدد من خلال الحاضر وحده ، سيما وأن الحاضر لا يلبث أن يلتحق بالماضي . فهناك استمرار فى الماضي لا حد له . والمستقبل مهما بعد سيصبح بدوره حاضرا ثـــم ماضيا ، فكيف يسمح الانسان الواعي بأن يستبـــد المستقبل وحده او الحاضر وحده او الماضي وحده بفكره واهتمامه مع أن تقسيم العمل بين الباحثين فى مختلف هذه المراحل ، ما هو الا لخير الانسان فردا وجماعـــة ؟

وتحديد هوية انسان الماضي بكل ما يثيره من مشكلات وقضايا كثيرا ما يكشف عن مواطن مجهولة قد تسهم فى خير انسان الحاضر او فى سوء مصيره . ويمثل تطور الاختراعات نموذجا جيدا من طرائـــق التنافس الانساني فى استثمار المواهب فى سلسلة متماسكة من النشاط والمهارات الفكرية . فانظمـــة الري التي ابتكرها ذكاء المجتمع الشرقي القديم هي ذاتها التي مهدت لانظمة الري الحديثة التي انتهـــت باستغلال المحرك البخاري ثم الكهربائي واخيرا الذري والشمسي (كما ينتظر بالنسبة لهذا الاخيـــر) فى تصريف الثروة المائية والزراعية بالشكل الذي يتلاءم مع متطلبات الانسان . ان هذا التطور قد اقتضـــى آلافا من السنين كما هو الشان فى العديد من مظاهر التطور البشري عامة . فقليلة هـــي المجتمعـــات البشرية فى العصور السالفة التي عرفت بناء السدود لحصر المياه وتصريفها عند الحاجة ، ولقد عرفـــت مختلف المجتمعات الآن اهمية السدود فى الميدان الزراعي الذي سيظل المورد الرئيسي لغذاء الانسان .

وليس بدعا من القول أن طباع المجتمعـــات وسلوكها العام يمكن التعرف عليها بصفة اقوى واثبت ، عن طريق دراسة تاريخها ولغتها ، فهناك مجتمعات نعرف انها ليست محاربة بطبعها لانها قلما كانت كذلك عبر تاريخها ، ونعلم أن الالمان مثلا ، هـــم شعـــب يتمسك بمبادئه ويخضع لقيادته الصالحة ، فهم فى الصفوف الاولى الى جانب الاسبان فى النضال ضد المسلمين ، وهم فى طليعة المعارك الصليبية يدافعون

بحماس عن عقيدة المسيح . واخيرا تغري شبيبتهم فكرة التفوق الجرماني التي ارتقى بها هتلر . وما عودة الفكر النازي الى الظهور والنشاط الا مظهر لفكرة القيادة النضالية التي تشبث الالمان منذ قرون سحيقة ، ومهما كان من تباعد النازية عن الخط الانساني الصحيح فان دعاتها يمثلون استمرارا لروح اصيلة فى قسم هام من المجتمع الجرماني .

واماطت الكشوف التي اجريت فى الحبشة منذ القرن التاسع عشر م. عن وجود آلاف من النقوش السبائية بهذه البلاد . وبفضل هذه النقوش اصبح الدور الكبير الذي لعبه المهاجرون السبايون خلال هجرات متلاحقة منذ قرون قبل الميلاد معروفا بوضوح . وكذلك فان لهجات الحبشة القديمة تأثرت تأثرا عميقا باللغة السبائية ، ومن قبيل التذكير لا بأس بالاشارة هنا الى ما كشفت عنه معرفة باحث فرنسي للغة الهيروغليفية من معلومات مدهشة عن المجتمع المصري القديم وما حفظته النقوش والرسوم من وثائق بالغة الاهمية فى تأكيد صلات المجتمع المصري الحالي بأسلافه القدامى ، وان هذه المعلومات لتحدد لنا هوية هذا المجتمع بدقة نستطيع بعد هذه القرون المتطاولة أن نعدها نهائية بالنسبة للكثير من سيمات الشعب المصري الاصيل .

وبصورة مجملة ، فنحن فى دراستنا لتاريخ مجتمع ما ، دراسة مركزة شاملة فاحصة ، ننتهي الى أن نكون فكرة اقرب ما تكون الى الرسوخ عن هذا المجتمع ، وعلى أساس السلوك التاريخي له ، وكذلك بالنظر لمعطيات التطور الخارجية والحالية ، نستطيع أن نحدد فى اكثر ما يكون من الثقة والاطمئنان اسس تعاملنا مع هذا المجتمع ، الا انه لا يمكن التعرف على تاريخ مجتمع نجهله ، من طريق مصدر واحد او مصدرين ، بل ولا حتى من مراجع التاريخ وحدها ، فلا بد والحالة هذه من اخذ العلوم المساعدة للتاريخ بعين الاعتبار ، لانها تلتفت الى جوانب خاصة لا يمر عليها التاريخ الا مرا خفيفا وقد لا يعيرها التفاتا . ومن الواضح ان الدراسات اللغوية والجغرافية والاثرية والادبية والاجتماعية تسهم بوفير حظ فى توسيع آفاق البحث التاريخي ، كما أن التاريخ ومجموع هذه الدراسات يكمل بعضها بعضا .

3 ـ تركيز أفقية التاريخ :

لكل حدث بداية ونهاية . ولقد يتجشم الباحث الكشف عن بداية الحدث زمنا وسببا وظروفا فاذا هو يحار امام تضارب المصادر أو انعدامها اصلا فيلفي من حسابه أشواطا واعمالا كثيرة اكتفت بداية الحدث، وان اقرب مثال لذلك ، تأويلات العلماء الباحثين فى أصل الانسان والمراحل التي قطعها الانسان قبل ان يدخل فى طور المدنية ، كما أن اقدم آثار لوجود الانسان موضع اختلاف ايضا :

ـ حضارات العالم لبورنس ورالف (بالانجليزية): 1 750 000 سنة

ـ جوردون تشايلد : ما بين 400 الى 500 الف سنة

ـ تاريخ البشرية (فرنسية) : ظهر العنصر الكلكطوني بانكلترا قبل نصف مليون سنة . واستقر تكوين العناصر البشرية فيما بين ثمانية آلاف وأربعين الف سنة قبل المسيح .

نحن اذا امام تقديرات تقريبية تعتمد على اسس كيماوية وأثرية ولربما لن نقف على تحديد نهائي لاقدم اثر لوجود الانسان ، وهذا بقطع النظر عن وجهة نظر الديانات السماوية فى الموضوع والتي يمكن تقريبها من العلوم الطبيعية اعتبارا لان النبي آدم يمثل الانطلاقة الحقيقية للانسان فى بداية تطوره الحضاري، وماقبل هذه الفترة يمثل مرحلة الوحش الانسان ، ثم الانسان المتوحش ، وكلاهما لا يمثل ذلك المخلوق الآدمي المتكامل عقلا وتكوينا بدنيا والذي تخاطبه الصحف السماوية ، بقطع النظر عن ذلك لم يستطع احد أن يضع بين أيدينا بداية دقيقة لاصل الانسان الاول ، ولهذا السبب تطلق على هذه المرحلة البعيدة الشاسعة ، عصر ما قبل التاريخ ، لانه يمثل مرحلة قابلة للكثير من الافتراضات على الرغم من الجهود العلمية القيمة التي بذلت حتى الآن لاستجلاء مكنوناتها . ويبقى عمل الباحثين اساسا ، ان يرجعوا كل عنصر من عناصر المعرفة التاريخية الى زمن محدد ومكان معين اكثر ما يكون ، وانما اثير هذا المثل هنا للتدليل على البحث فى أصول الاحداث التي ترتبط بالانسان ليس بالامر الهين دائما . غير اننا فى الواقع بصدد موضوع أفقية التاريخ ، وسنرى بعد ذلك ما هي العلاقة بهذا المثال بالذات :

ان الطريقة التقليدية لكتابة التاريخ بصورة عامة ان تسلسل الاحداث تسلسلا زمنيا ضمن اطار جغرافي معين ، وقد يقع تقسيم الاطار الزمني نفسه الى مراحل لكل منها ميزات معينة، وفى كلتا الحالتين يكون التاريخ قد سجل على الطريقة العمودية . ومن هذا الصنف اكثر ما الف فى التاريخ الاسلامي فى العصور الماضية كتاريخ الطبري والكامل لابن الاثير

ولا تخلو الطريقة العمودية هاته من بعض المزايا:

1 ـ تحصر دائرة الاحداث حصرا من حيث الزمن والمكان وبذلك يتركز ذهن القارىء فى اطار محدد يجعله اكثر التصاقا بسير الاحداث ويبعده عن النظرة الشمولية التي تحتاج الى جهد فى البحث وعمق فى المعرفة.

2 ـ تساعد القارىء على استيعاب أسرع ، بالنسبة للزمن والمكان اللذين هما موضع اهتمامه .

3 ـ تحدد مجال البحث بالنسبة للباحث الذي لا يلتفت سوى الى ربط أحداث بعضها ببعض داخل عمود سنوي محدد .

لكن هذه المسلسلات من حوادث التاريخ والتي تتعدد ماثلتها فى مصنفات التاريخ الاسلامي لا تفيد القارىء ولا الباحث بسهولة . وعمودية الحوادث فيها تنتقل من مكان الى آخر بعيدة من غير وجود أى رابط سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي الا رابط التوازي الزمني نفسه .

ومن الواضح أن الطريقة العمودية كانت تشجع المؤرخين على السرد والرواية ولا تسمح لهم بالنقد والتمحيص الا فيما ندر . ثم أن تشتت الاحداث وتوزعها بين اماكن متباعدة فى نقط لا تربطها صلة ، تساعد على ترك القارىء يتحمل وحده مسؤولية الربط بالغاء أحداث لا تمس الاطار المكاني الذي يهمه . ولذلك ، فالتاريخ العمودي بالشكل التقليدي يفقد الرابط المكاني أحيانا ، كما يفقد الرابط الزمني أحيانا أخرى لانه يترك فراغا كبيرا بالنسبة لاحداث زمنية معينة ، بينما يشتغل بها مشبيات قد تكون غير ذات فائدة .

ان المسلسلات الزمنية افادت بوجه خاص فى ميدان التراجم الذي يرتبط فى الواقع بالتاريخ الادبي والفكري اكثر من ارتباطه بالتاريخ العام . ولا يمكن والحالة هذه ان نجرد من القيمة والاهمية ، مصنفات كالضوء اللامع للسخاوي وشذرات الذهب لابن العماد ومدارك القاضي عياض التي تختلف شيئا ما من حيث طريقتها المبنية على ترتيب الطبقات زمنا . وبالمقابل ، فلا تفقد كتب التاريخ العمودي اهميتها بسبب انها على طريقة التسلسل السنوي ، بل الصحيح اننا نجد فيها معلومات ذات قيمة كبيرة، فالكامل لابن الاثير مثلا ، ينفرد بتفصيلات خاصة حول بعض الانظمة التي حكمت المغرب الاسلامي ، فضلا عن اهميته البالغة بالنسبة لتاريخ العراق .

والطريقة العمودية فى التاريخ قد ترتبط بالتاريخ المحلي أو الاقليمي وقد تشمل التاريخ العام. واذا كان امرا بديهيا أن يكتب أي تاريخ حسب ترتيبه الزمني فان أكبر عيوب هذه الطريقة أن تتخلى عن المؤثرات الخارجية فى سير الاحداث الداخلية ، وان تنبذ الظروف العامة والموازية بين الاوضاع الداخلية والخارجية . ولتلافي هذا الانغلاق ، يتعين على الباحث ان ينظر الى التاريخ المحلي لشعب ما ، ليس باعتباره دائرة مغلقة لا تكتنفها مؤثرات الجوار مع شعب آخر ، أو سبل التعاون مع شعوب بعيدة . فالدارس لشبه جزيرة العرب تاريخيا يحق له ان يصف سكانها بالتخلف الاجتماعي والسياسي المتناهي قبل دخول الاسلام ، ولكن لا يجمل به أن يتغافل عن الظروف الخاصة بشبه جزيرة العرب التي يشح ماؤها ويهول قيظها ولا تجود تربتها الا فى قليل من اماكنها . ثم انها لم تحظ بلقاح شعوب اخرى متحضرة عبر التاريخ الا فى أجزاء معدودة منها لا سيما منطقة اليمن . وهذا اللقاح عامل اساسي فى انفتاح كل شعب متخلف ، على الحضارة . وجوار الشعوب السامية المجاورة والاحتلال البيزنطي أو الفارسي للمناطق العربية المتاخمة لم تستفد منه شبه الجزيرة الا بقدر محدود وبشكل غير مباشر ، وان تأثرت بعض هذه الاجزاء كالحيرة ودمشق وتدمر بالحضارة الاجنبية ، لكن دون ان يسري هذا التأثير بعمق الى داخل شبه الجزيرة ، فلا ينتظر والامر كما نرى أن تبني شبه الجزيرة حضارتها كليا بصفة تلقائية :

1 ـ فى الظروف المناخية والجغرافية التي عرفتها ولا تزال

2 ـ مع افتقاد العرب لذلك اللقاح الخارجي الذي لا بد منه لبناء كل حضارة . ولذلك فتح الاسلام

أمام الشعب العربي في شبه الجزيرة من الآفاق ما كان مجهولا لديه من قبل ، كانشاء حكومة مركزية لاول مرة ، وتطبيق العدل الاجتماعي واعادة توزيع الثروات تبعا لذلك . وسواء احترمت مقررات التشريع الاسلامي أم لم تحترم فقد حدثت تبدلات عميقة في منهاج الحياة العربية منذئذ .

ولما كانت المؤثرات الخارجية سلبية بصورة عامة فالبحث المنهجي يقتضي ان لا ينسب الى المجتمع العربي من النقائص الا ما كان مصدره هذا المجتمع نفسه ، وأما السلبيات الراجعة الى جذور جغرافية او مناخية او خارجية تماما فليس لهذا المجتمع من يد فيها ما دامت كل التقنيات المعروفة الى زمن النهضة الحديثة لا تستطيع ان تغير من واقع الطبيعة العربية بقدر ما لا يستطيع أن تغير من واقع مجتمعات أخرى لها نفس الوضع والسمات .

ولو أصر الباحث على أن يراجع حساب المجتمعات الكبرى في العالم في أول العصر الوسيط لبضع المجتمع العربي في موضعه الصحيح في نفس الفترة اوجد أن اغلبيتها الساحقة في حالة تخلف تبدأ من صورة التوحش في أجزاء قاصية من آسيا وجهات عديدة من افريقيا وتنتهي بالانحطاط السياسي والاخلاقي والاقتصادي في مجتمعات اخرى ، ومن قبيل التذكير فحسب ، الاشارة الى ما كان عليه الوضع في المجتمعين الفارسي والبيزنطي مما مكن العرب من اكتساح الامبراطوريتين بسهولة . ومن الواضح أن هزيمتها العسكرية أمام العرب ينبغي أن ينظر اليها ليس فحسب بمنظار التأثير الاسلامي في العرب ، والذي لا جدال في ايجابيته في هذا الباب، بل وكذلك باعتبار العوامل الخاصة بالمجتمعين الفارسي والبيزنطي .

وفي نفس الفترة تقريبا كانت الشعوب المنغولية في آسيا الوسطى وستظل كذلك لقرون لاحقة في حالة شبيهة بحالة بدو العرب : قبائل رحل ورعاة ماشية يعيشون حياة ضنك ولا ينشئون حضارة استقرار وتوطن .

ان مثال التخلف العربي قبل الاسلام ينبغي لكل باحث ان يصحح النظر اليه من جهتين :

1 — على أساس الظروف الداخلية

2 — على اساس الموازنة بشعوب معاصرة لها نفس الظروف .

وهذا تقريبا ما يفسر معنى تركيز أفقية التاريخ ، اي النظر الى أحداث التاريخ في شكل متواز وليس عموديا فقط . فالاحداث الكبرى والاساسية تقاس نتائجها باعتبار ما تيسر لها من ظروف قريبة وبعيدة ، زمنا او مكانا . فما الذي منع الحكم الاسلامي من الاستقرار بالاندلس في اية حقبة ، لان الحرب لم تكد تتوقف منذ أن وطئتها اقدام العرب ؟ :

1 — عوامل تعود الى طبيعة تركيب المجتمع الاسلامي واسلوب قادته في الحكم .

2 — عوامل تعود الى طبيعة المجتمع المسيحي الذي توفرت ايجابية رد الفعل لديه بشكل يفوق بكثير فعالية الاسلوب العسكري العربي ومنهج الحكام المسلمين في السياسة والدفاع .

واذا فنحن أمام نظرة الى تاريخ اسبانيا الاسلامية ، تنتهج خطا افقيا ربما لو اردنا تمديده جغرافيا لخرجنا بنفس النتيجة :

1 — عصر الفتح الاسلامي بالاندلس = عصر اضطرابات اجتماعية وسياسية في كل من اسبانيا والمغرب الكبير .

2 — العصر الاموي بالاندلس = عصر تشتت السلطة ونزعات الاستقلال الضيقة في قسم كبير من المغرب الاسلامي وبالمقابل ا فترة ازدهار وقوة في الشرق الاسلامي .

3 — العصر المرابطي = بداية عصر نشاط حركة الاسترداد في اسبانيا لوجود نشاط صليبي عام .

4 — العصر الموحدي يوازي فترة توحيد الشمال الافريقي ، والمقابل اضمحلال سلطة الخلافة العباسية وتقوي الاساطيل الاوربية التي ساعد الاسبان من جهة ، وتبدأ بالتدريج في انشاء قوة عسكرية ضخمة والاستيلاء على معظم الطرق التجارية العالمية ، من جهة ثانية .

وهكذا نلاحظ ان لافقية البحث التاريخي مزايا اهمها الرجوع بالاحداث الى مسيرتها الواسعة وتلافي

الانغلاق داخل ذلك الاطار العمودي الضيق الذي لا يشع كثيرا لشرح الاحداث ذات البعد الشاسع .

وتأخذ افقية الاحداث الكبرى مظهرا متماسكا كلما تعلق الامر بتطورات بشرية شاملة للعالم او لجزء منه كبير ، وهذا يقودنا الى المنهج الذي سلكه العلماء المتخصصون بفترة ما قبل التاريخ . فمن دراسة لبقايا الهياكل والادوات التي عثر عليها في بقاع العالم ثم اخضاعها للكشف الكيميائي ودراسة أشكالها ومادتها امكنهم أن يرجعوا كل مجموعة الى عصر معين على وجه التقريب . وهكذا انتهوا الى تحديد بداية فترة العصر الحجري الحديث بما يرجع الى ثمانية آلاف الى عشرة آلاف سنة . وهي على العموم فترة استقرار الحياة الانسانية وتكوين التضاريس الارضية والمجموعة الحيوية على الصورة النهائية ، كذلك فان بداية الفترة المذكورة تعادل ظهور آدم عليه السلام وفقا لاستنتاجات علماء اللاهوت وهذا الذي يمكن أن نستفيد منه ان الكتب المقدسة لا تهتم الا بمرحلة الانسان السوي الذي يمثله أبو البشرية كما تعارفت عليه مختلف الديانات السماوية.

كذلك فان العصر الحديدي يمثل المرحلة التي بدا الانسان يصنع فيها سلاحه من سيوف ودروع وغيرها من هذا المعدن . وقد ظهر استعمال الحديد لاول مرة بالشرق الاوسط ، ولكنه لم يدخل في مرحلة صناعة الاسلحة الحديدية او الممزوجة بالبرونز الا حوالي الف سنة قبل المسيح ، وهي تعادل تماما الفترة التي ظهر فيها النبي داوود عليه السلام والذي تشير اليه الآية القرآنية : « والنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد » .

ان التوافق الزمني لاستخدام الحديد في كل من مصر والشام تأكد بعد استقراءات وكشوف متعددة . والتوصل الى استعمال الحديد للسلاح في أجزاء واسعة من الشرق الاوسط في وقت متقارب هو في حد ذاته بشكل حدثا افقيا لم يات بمحض الصدفة ، فان اتصال الانسان بأخيه الانسان في هذه البقاع افرادا وجماعات كان من النشاطات المعتادة في حياة سكانها ، ومن ثم كانت هناك أكثر من صلة بين سكان وحضارات مناطق الشرق الاوسط على اختلافها ، وتفاعلات هذه الحضارات ينبغي أن تكون موضع ابحاث عمودية وافقية معا :

1 - عمودية ، لانه لا احد يستطيع حتى الآن ان يقدم تاريخا قريبا من الضبط لتدرج حضارات الشرق الاوسط ، وعلى الرغم من أن مصر الفرعونية تقدم نموذجا متكاملا ورائعا لحضارات الشرق القديمة ، فليس هناك ما يثبت بوضوح ، مدى المؤثرات الخارجية والسابقة لهذه الحضارة . وبعبارة أخرى ما هو التسلسل الزمني للحضارات القديمة الداخلة في نطاق مرحلة التاريخ القديم والتي سبقت الحضارة الفرعونية .

والتسلسل الزمني لحضارات الشام القديمة هو ايضا مما يعسر تحديده حيث توجد عدة فجوات في المراحل والمناطق وعهود الحكم ، كما هو الشأن في الفساسنة والانباط وغيرهم .

2 - افقية لان العطاءات المتبادلة بين الحضارات والشعوب تحدد مدى شخصية كل منها في الميادين السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية . وتحديد هذه العطاءات بالنسبة لكل شعب او مجموعة حضارية ، هو من باب الدراسات المتوازية التي تتخذ خطا افقيا تهتم فيه بدرجة أولى بالاحداث المتفاعلة والمتقابلة ، بل ان دراسات من هذا النوع تخدم التسلسل الزمني لكل حضارة او نشاط سياسي لمجتمع ما من طريق الوثائق والمستندات ووجوه التشابه والتفوق في عدة ميادين .

وهكذا فان افقية البحث التاريخي تتجلى مزاياها بصورة واضحة . غير أن الطريقة المثلى لابراز الاحداث الاساسية أن تخضع لمنهج عمودي افقي معا . ذلك لان الاحداث لا بد أن تتسلسل أولا، ومن طريق الزمن ثانيا ؛ ولا يمكن للزمن ان يكون الا عموديا ، واذا كان الحادث ينحصر بالضرورة في زمن معين ، فليس بالضرورة دائما أن ينحصر في مكان معين ، ولا سيما ما يهم المجتمعات والحضارات ، واذا فالمؤتمرات والتفاعلات تسير في خط افقي ، كما انها تتخذ اتجاها عموديا كذلك من حيث الزمن .

والانحصار في دائرة التسلسل الزمني من غير التفات في الوقت ذاته الى ما يجري خارج هذه الدائرة اشبه ما يكون بحال المسافر في تجارة يذهب الى سوق تجارية لاول مرة فيزور شارعها الرئيسي وحده في خط مستقيم ؛ وحال مسافر آخر للتجارة

ايضا يذهب الى السوق نفسها فيزور أزقتها واحدا واحدا فضلا عن شارعها الرئيسي ، فان الاول لا يأخذ نظرة كافية عن السوق ولا يطلع على احوالها بما فيه الكفاية . والثاني يتنقل من درب الى آخر فيتزود بأدق المعلومات ويتسوق في في أحسن الظروف الممكنة .

فاطلالة الباحث بالنسبة للاحداث الهامة وحتى الغامضة احيانا تتضح نتائجها الايجابية كلما سارت في كل من الاتجاهين العمودي والافقي مثلما يحدده البيان التالي . وبديهي أن نشاطات الانسان في التاريخ لا تقتضي من الباحث ان يتشبث باستمرار بهذه الطريقة او تلك ، وان ما يحدده زمن معين في مكان معين يكون غير مجدي الخوض في ابعاده الزمنية السابقة اذا كان مسلما ومعززا بوثائق الاسبقية التي لا يتطرق اليها شك .

5 – دراسة عميقة للصراع الطبقي :

يعلم الجميع أن نشوء الطبقات الاجتماعية الاولى انطلق من نظام الرق ، أي استرقاق الانسان لاخيه الانسان . لكن ، لماذا لا يفترض احتمال آخر ، وهو أن الطبقية مرت بمرحلة سابقة تكونت داخل الاسر ، حيث تخدم المراة الرجل لضعفها ، ويتم الاستغناء عن الاولاد بعضا أو كلا ببيعهم او التنازل عنهم اذا لم يكن لهم مردود داخل اسرهم ، فيصبحون ارقاء لاسرة اخرى اوفر كسبا وانشط اقتصادا . وهكذا نشأ تسخير الرجل للمراة والاولاد قبل ان يتنازل عن هؤلاء لنفس الفرض او يقعوا في الاسر من طريق الحرب أو الصدفة . على أن البشرية مرت فعلا في اطوارها الاولى بهذه المرحلة التي لا تنعدم آثارها حتى ايامنا هذه .

ان منهج البحث التاريخي للصراع الطبقي الذي يسلكه باحث التاريخ ليس ينبغي ان يتأثر بأية نظرة او عقيدة مسبقة كما يجب أن يكون الامر كذلك بالنسبة للباحث في اي موضوع علمي آخر . واذا كان هذا من المسلمات من حيث المبدأ ، فمن البديهي كذلك ، أن كلا من عالم الاقتصاد وعالم الاجتماع ورجل السياسة والمتخصص في علوم الدين او المذاهب الفلسفية قد تختلف نظرته الى الصراع الطبقي عن نظرة غيره . الا ان الصراع الطبقي هو أمر حتمي في ماضي المجتمعات وحاضرها ومستقبلها ، ولا يمكن أن يختفي تماما من الوجود لان استعدادات الافراد والجماعات وسلوكهم الشخصي وتغير الظروف من بيئة الى اخرى وافتقاد العدل الشامل والنزاهة المطلقة والخضوع للمؤثرات العائلية وغيرها كل كل اولئك يحتم وجود صراع يضيق مداه او يتسع حسبما يلقاه من رد فعل قوة أو ضعفا . والغاية المثلى لجميع الذين يتوخون الاهداف الانسانية النبيلة أن يختفي الصراع الطبقي بكل اصنافه ومظاهره وفي مختلف أجزاء الارض . غير ان هذا سيظل مجرد امنية سامية تتحداها العوامل المذكورة وغير المذكورة . والمشكل الذي تعانيه الانسانية هو :

1 – أن الناس بجميع مستوياتهم لا ينزعون كلهم الى الخير

2 – أن اختلاف مصالح الفئات التي يكونها المجتمع الواحد ، ثم تعارض مصالح المجتمع او فئات منه ، مع مصالح الدولة ولو في جوانب معينة من ميادين الحياة لا بد أن ينتهي بصراع حقيقي على السلطة او من اجل ان يربح احد الاطراف المعركة فيما من اجله نشأ الصراع .

وحيث ان نزعة الخير في الناس تواكبها نزعة الشر في الكثير منهم اذا لم يكن في غالبيتهم ، فان مظاهر الصراع الطبقي حتى ولو انقطعت ظاهرا لا تلبث جذورها ان تنمو وترعرع ، معززة بتعارض المصالح .

وليس صحيحا أن الصراع الطبقي منشؤه الرغبة في الاستيلاء على السلطة واعادة توزيع الثروة لا غير ، فهذا الصراع السياسي الاقتصادي ما هو الا مرحلة واحدة من مراحل الصراع الطبقي التاريخي الذي لم يكن ولن يكون ماديا باستمرار ، وان كان المظهر المادي يحتل منه جزءا هاما .

وهكذا فمراحل صراع الطبقات مرت عبر التاريخ كما يلي :

1 – مرحلة اقتصادية بدائية انتقل فيها الانسان من الصراع الفردي في سبيل العيش الى الصراع الجماعي على الارض ، حيث أدى تكاثر الجماعات وتكون القبائل الى التناحر على امتلاك الاراضي المنتجة الخصبة والتي تسهل حمايتها والدفاع عنها

اذا اقتضى الحال . وكان الغرض بالذات هو ما توفره الارض للانسان ودوابه وليس الرغبة فى اقرار نفوذ أو توسع سياسي ، غير انه لا يمكن ان نغفل حقيقة تاريخية هامة : ان القبائل فى بلاد عديدة عرفت من انظمة التعاون الجماعي قبل بضعة آلاف من السنين ما لم تحقق بعض مظاهره الرئيسية أرقى الانظمة الاشتراكية في العصر الحديث . وتمثل الجماعات البربرية القديمة نموذجا للاستغلال المشترك والاستخدام الجماعي لوسائل الانتاج ، وكانت طرق العمل الجماعي عرفا لم تحدده دولة ولا مذهب اقتصادي معين . ثم كان العمل فى الارض من أجل الانتاج تلقائيا بدافع الحاجة والمصلحة لا يخضع لضغط خارجي او قهر انتقامي .

2 ـ مرحلة الصراع السياسي . وفيها اصبحت القبائل تكون شعوبا والمراكز الحضرية تندمج تحت سلطة موحدة بالتدريج . لكن الصراع الطبقي لا يختفي داخل الشعوب نفسها حيث تحاول كل مجموعة ذات قوة فى العدد والعدة والنفوذ الاقتصادي أن تتحكم فى مقاليد السلطة . وهذا الذي ادى الى قيام النظام الملكي الذي كانت الشعوب السامية من أسبق الامم اليه . وتحكم المجموعات القومية هو ذو طابع سياسي بالدرجة الاولى ، فهي تريد ان توسع نفوذها السياسي اكثر ما يمكن ، كما تريد ان تحافظ على تراثها أو تنمي ممتلكاتها . وبينما يوجد اقطاع حقيقي يوازي هذا النظام السياسي فان الدولة لا تستولى على كل شيء ، وتحرم كل الافراد من اي حق فى الملكية . غير ان حظوظ الناس فى هذا الحق تختلف حسب ذكائهم وتعاطفهم مع السلطة الحاكمة وحاجة الاقوياء انفسهم الى ما يريد غيرهم ان يملكوه .

واهم ما يميز هذه المرحلة تجاوز الصراع الطبقي من الاطار الداخلي الى الاطار الخارجي ايضا . واذا كانت نماذج هذا الصراع كثيرة فى التاريخ فان فى تبادل الغزو والاكتساح بين الحبشة وعرب جنوب شبه الجزيرة العربية فى القرون السابقة لظهور الاسلام كفاية للرغبة فى الهيمنة السياسية للشعوب الماضية ، هذه الهيمنة التي تشكل فى النهاية نتيجة لصراع مرير لا يخلو من عوامل متعددة اهمها العامل السياسي .

ولقد كانت القبائل تثير الحرب فى كثير من الاحيان ، وكذلك الدول والشعوب لا لشيء ، الا حماية لجار او مستجير او شهوة فى التسلط ، ولم يكن الاسكندر المقدوني يفكر فى ان يخضع العالم لسطوته لولا ان شجعته انتصاراته الاولى على اعدائه

والصراع الطبقي السياسي فى أرقى مظاهره ينبثق من داخل الشعب الواحد والدولة الواحدة . ان التخلف المذهل الذي عرفته اسبانيا قبل نظام فرانكو يشبه فى العديد من مظاهره ، التخلف الذي عرفته شبه الجزيرة الايبرية قبل دخول العرب . فهناك طبقة استوقراطية تنعم فى رغد من العيش ضاربة عرض الحائط بكل ما حولها من مظاهر الحرمان واحط اسباب التخلف وقامت الحرب الاهلية التي انتهت باستيلاء فرانكو على السلطة والعمل على تركيز النفوذ العسكري قبل أن تنفتح اسبانيا على العالم الخارجي فى الخمسينات . وبدأ صراع جديد يتواجه فيه الحزب الواحد والقوات المؤيدة له مع كل الفئات الاخرى التي تختلف مطامحها ورؤيتها لابعاد هذا الصراع . لقد كانت الغالبية العظمى للشعب تبحث عن منفذ الى الديموقراطية على الرغم من انها اقتربت من الرفاهية النسبية اقترابا لم تشهد له من قبل مثيلا . ثم زال كابوس هذا العهد الجديد الذي لم يخل من مظاهر العنف المتبادل ، الى أن تحققت مطامح الشعب الاسباني فى الميدان السياسي بفضل نظام دستوري يضمن الحريات العامة ويوسع سلطات ممثلي الامة . وحتى الآن لم تعمل الدولة على الاستيلاء على مجموع وسائل الانتاج الرئيسية والغاء النظام الليبرالي بصور نهائية او تقريبية . فهذه الطبقة الحاكمة الجديدة انما هي فى النهاية مردود لما خلفه الصراع الطويل الذي اخذ شطرا مهما من حكم فرانكو والذي توحدت فيه فئات العمال ورجال الدين واتجاهات الاحزاب والفئات الشعبية على اختلافها من اجل الوصول الى حكم ديموقراطي دستوري .

3 ـ الصراع الديني والعقائدي :

ان الشعوب البدائية عبدت لاول أمرها الكائنات والظواهر الطبيعية لانها تثير لديها احساسا مبهما بوجود اسرار تحيط بها ، وهكذا كانت عبادة هذه الشعوب للاشجار والكهوف والشمس والقمر وغيرها . الا ان العبادة كانت فردية ، فلكل « الاهه » الخاص . ومن ثم لم تحدث قضية نزاع ديني طالما كان كل واحد حرا فى أن يعبد ما يشاء . ولكن هذه

العبادة الفردية انتقلت بتأثير رب الاسرة الى أولاده ، ثم بتأثير كبير القبيلة الى افراد قبيلته ، فاذا كل اسرة او قبيلة لها معبودها الخاص . وربما كان لبعض المجتمعات الكبرى معبود مشترك من التماثيل اضافة الى المعبود العائلي او القبلي . وهكذا كان الانسان يتمتع بحرية غريبة فى عقيدته ، ومع ذلك فان المجتمعات المنظمة ، كان لها كهان يتولون تنظيم العبادة وفق طقوس معينة . لكن الحرية الدينية فى المجتمعات البدائية والقديمة لم تكن تخلو من اضرار اجتماعية وعقلية اذا لم يكن لها تأثير اقتصادي معكوس ايضا . فقد كانت التضحية بالفتيات أي تقديمهن فداء للمعبودات امرا جاريا فى عبادات اليونان وعدد من المجتمعات الافريقية والسامية ، وكذلك كان يتم ذبح الاطفال او الالقاء بهم فى النار لنفس الغرض ، ومن أجل ارضاء الكهان والمعابد كان « المومنون » يقدمون طواعية ما لديهم من دواب وقوت واشياء نفيسة . وهذا هو الذي هيأ لظهور الديانات السماوية التي أجمعت كلها على محاربة المعبودات غير الله . وقد عرفنا ما صادفه النبي ابراهيم (ص) من عداء شديد فى بابل الكلدانية . ويكاد ظهور هذا الرسول يكون اول مثال ايجابي للصراع ضد الوثنية المتخلفة . فهو يحارب مع المومنين بدينه ، اولئك الذين ارتكزت عبادتهم على السحر ، واعتقدوا فى التنجيم وسيلة للتحكم فى مستقبلهم وحاضرهم . ان ابراهيم الخليل لم يات باي تخطيط سياسي او تنظيم جديد للمعاملات معروف لدينا على الاقل ، لان صحف ابراهيم ضاعت منذ القديم ، وهكذا فلاول مرة فى التاريخ تنشأ طبقة من المومنين بالله لها عقيدة واضحة تؤثر على مستقبل الديانات السماوية اللاحقة ، بل على الانسانية باسرها . ولا نجد فى حركة ابراهيم الخليل اية عملية انقلاب سياسية ولا رغبة فى تغيير نظام الحكم واعادة تقسيم العمل وتوزيع الثروة . وحين يقع شل حركة الخليل فى العراق ينتهي به المطاف مهاجرا الى مصر ثم الى مكة ، وهنا فقط ، نلمس مدى التأثير العميق الذي تركته عقيدة الخليل التي تابعت نشاطها فى وسط المجتمعات العربية ، وخلفت لنا بشكل مباشر او غير مباشر طقوسا تنم عن هذا التأثير الابراهيمي الذي كان الاسلام ولا يزال يخلد ذكراه فى ايام الحج وانطلاقا من الحرم المكي الذي شهد تحطيم الاصنام على يد رسول الاسلام (ص) كرمز لتحطيم الشرك وكسر عبادة الاوثان واحياء لذكرى ذلك النبي القديم الذي نشأت عبادته أساسا من اجل التوحيد والقضاء على الخرافات . وهكذا فان الثورات الدينية التي قادها انبياء الشرق الاوسط تباعا قبل ظهور الاسلام تقوم كلها على فكرتين : 1) روحية لتخليص المؤمنين من عبادة الاوثان وتوجيههم نحو عبادة الله الذي لا شريك له . 2) اجتماعية لاصلاح العلاقات الانسانية والعائلية ، لان هذا الاصلاح يضمن تحقيق الاصلاحات الاخرى من معاش الناس وكسبهم وطريقة تصرفهم فيما يملكون . ولما كانت التعاليم اليهودية تطورا جديدا من حيث ترغيبها فى الكسب وتنمية المال ، فان المسيحية اهتمت بالاحسان وانفاق المال فى وجوه الخير لانها نشأت فى ظروف القهر الروماني للشعوب وحرمان ابنائها من التمتع بعائدات انتاجهم . الا أن الموسوية وضعت شرائع لتحديد العلاقات والالتزامات الزوجية والعائلية والشخصية وهي أمور يضيق ميدانها فى المسيحية، وفى كلتا الديانتين كان الصراع ينطلق اساسا ضد الطغيان والجبروت . والهدف الحقيقي فى الموسوية ان يتكتل اليهود من اجل أن يعيشوا فى مأمن من هذا الجبروت وذلك الطغيان مستجيبين تعاليم نبوية . اما صراع المسيحية ككل فقد قام على محاربة الوثنية التي كانت ضاربة اطنابها فى أوساط الحكام والشعوب الخاضعة للسلطة الرومانية ، والمسيحية كدين لا تمثل نظام حكم او اقتصاد . وعبثا حاول الاباطرة أن يجمعوا بين السلطتين الزمنية والروحية باستمرار ، فان تدخل الرهبان ورجال الدين أنشأ صراعا جديدا ضد الاباطرة ، اي داخل المسيحية نفسها . ومن ثم نشأت قوتان تتحدى احداهما الاخرى حتى صار هم كل منهما ان يحافظ على سلطته ويقوي نفوذه لدى الاتباع والمومنين . اي أن فكرة الاصلاح الاجتماعي على الرغم من أن رجال الدين خرجوا بها فعلا الى حيز التطبيق فى ظروف وجهات متعددة ، لم تعد بعد قرون قليلة من الميلاد سوى وسيلة لتجميع الثروات وتحقيق المزيد من المكاسب ، وأن كان عدد من رجال الدين لا تهمهم هذه الغاية المادية . وهكذا نشأ صراع جديد وخطير داخل الكنيسة وفى الاوساط الاجتماعية اكتسى طابعا عقائديا ثم اجتماعيا حيث كانت فكرة التثليث الكاثوليكية وسلطة البابا الدينية ثم مسألة اموال الكنائس موضع جدال طويل ثم صراع دموي حقيقي تجدد على مدى القرون .

وطفى الصراع العقائدي والاجتماعي فى أوساط الهند وفارس والصين حقبا متطاولة ، وكانت فكرة الصراع بين الخير والشر أو بين الظلمة والنــور محوراً لاكثر المعتقدات الرئيسية فى هذه البلاد . وهناك استنشاءات قليلة لاصلاحات تنظيمية فى هذه العقائد ، كما هو الشأن فى تعاليم كونفوشيــوس الصينية . بل تقدمت بعضها بفكرة شيوعية المــال والنساء كما فعلت المانوية والمزدكية .

ووجد الاسلام منذ قيامه تركة ثقيلة من هموم الشعوب التي رزحت طويلا تحت القهر والتعسف . واليه ايضا تسربت مخلفات الايديولوجيات القديمة من طريق الشعوب والجماعات التي اعتنقت الديــن الجديد . ثم اضيف الى كل ذلــك ، تفسيــرات الفلاسفة والمفكرين وذوي المصالح السياسيــة ، لتوجيهات القرءان والاحاديث النبوية ، بما يتفق مع اجتهادات واهواء كل هؤلاء وأولئك . واخيــرا اختلفت سياسة الحكام حسب تكوينهــم الفكــري والعقائدي ، وتبعا لــردود الفعــل الاجتماعيــة والسياسية . وهكذا عرف الاسلام ذلــك الصراع الطبقي الذي كان محوره هذه المرة ، العدل السياسي والاجتماعي بالدرجة الاولى . وانما كانــت ثورات الخوارج والتناحر بين القيسية والمضرية وبين اهل السنة وغيرهم تجسيما للخلاف والعداء العميق بين هذه الطبقات ، بشأن تطبيق مبدأ العدل السياسي والاجتماعي الذي لا ينفصم فى شيء عن عقيدة الدين الاساسيــة .

ان كل هذه الطبقات المتصارعة فى الاسلام ، وكذلك معظم تلك التي حاربت بعضهــا بعضــا فى ديانات ومعتقدات سالفة ، لم تات بجديد يحقــق اشياء تتجاوز فى قيمتها ما نصت عليه الديانــات الاصلية . على انه ينبغي التنويه ببعــض القوانيــن والتشريعات الوضعية التي رسمت من اعلى كقوانين بابل ومدونة جوستينيان ، وهي مع ذلك لا تضع فى حسابها اي تخطيط للاستغلال الجماعــي وتوزيــع الثروات وتحكيم الطبقة الكادحة فى مصائر الامم ، بقدر ما ليس لهذه الطبقة من دور يذكر فى التوجيه من أعلى داخل الدول الاشتراكية المعاصرة .

ولما كان المجال لا يسمح باثارة موضوع النظرية الاقتصادية الاسلامية وموازنتها بالنظريات الحديثة ، فانه ينبغي ان يشار هنا الى أن اهم ميــزة بلورهــا الاسلام عبر التاريخ من حيث موقف المجتمعات ازاء السلطة والشريعة ، هو هذه الحرية الواسعة المدى والتي اتيحت غير ما مرة لتلك المجتمعات فى التعبير عن وجهة نظرها ولا سيما من طريق زعمائها الشعبيين ومفكريها الامينين . وحيث تمتزج السياسة والفكر والاقتصاد بالعقيدة الروحية فى الاسلام ، نجــد أن الكثير من الدول والانظمة الحاكمة عبر تاريخه مــا كانت الا نتاجا جيدا لذلك الصراع الطبقي فيما بين الشعوب والحكام السابقين ، كما أن انظمة أخــرى كثيرة ايضا لم تحقق من ثورتها على الانظمة السابقة اي تقدم لصالح الاسلام نفسه .

فالانظمة السياسية الاسلامية لم يختف منهــا الصراع الطبقــي :

1 — لان الاسلام يؤكد وجود شعــوب وأفراد يتفاضلون بحسب سعي كل منهم وتقواه ، ولكــن لا حق لقوي فى قهر ضعيف ولا لذي مال فى حبس ماله عن الجماعة اذا احتاجت لماله بالضرورة . ولكن الناس يتساوون جميعا أمام القانون والشريعــة . فالصراع الطبقي اذا ظل موجوداً فى دول الاســلام فمن أجل تحقيق هذه المبادىء بالذات بالنسبــة للمذاهب ذات الغايات السامية ، وستلتجىء الدولة الى تأميم جملة من الثروات العامة كالمعادن والانهار. وبالمقابل لا توجد راسمالية بالمعنى الحديــث لان الراسمالية تقتضي تكديس الثروات عن طريق فائض القيمة وعلى حساب آلاف الكادحين فى المعامــل والمصانع . وحيث ان الحضارات الماضية لم تعرف التصنيع الكثيف فان الحديث عن الرأسمالية فيهــا يكون ضربا من الوهم . على أن الصراع الطبقي فى الاسلام كدين روحي لم يكتس طابع العنف فى كــل الظروف . وباجمال فالطبقية فى الاسلام غير موجودة بالشكل الذي تصوره الماركسية بالنسبة للرأسمالية، بل هناك صراع بين طبقات ترى كل منها تحقيــق المثل العليا للاسلام بمنظارها الخاص . أما تفاضــل الفئات الاجتماعية فليس لغاية حرمان مجموعة لصالح اخرى ، بل لخلق تنافس فى العمل لا يخضع لضغط أو قهــر .

2 — لان ما كانت تبحث عنــه المجتمعــات الاسلامية من عدل وتنظيم قويم لمصالحها لم يتحقق دائما فى ظل عدد من الانظمة التي اتسمت بالاستبداد واستبزاز أموال الناس بالباطل . وهكــذا فان روح

الاسلام الحقيقية بعيدة عن الصورة التي طبقت بـــه في حالات وعصور كثيرة .

وكل الايديولوجيات اللاحقة للاسلام لم تحقق الغايات المثلى التي نصت عليها الشريعة المحمدية ، لا سيما في ميدان التساوي بين الناس في الحقوق والواجبات وتحديد هذه الواجبات والحقوق بشكـل يخدم مصالح البشرية كافة .

4 ـ الصــراع المــادي :

ان هذا النوع من الصراع الطبقي قد تناولتـه آلاف الدراسات بشتى اللغات ولذلك لا فائدة مـــن العودة الى تحليله ، ولكن الصراع المادي كما تصوره الاشتراكية الحديثة له صفتان احداهمـــا سلبيـــة والاخرى ايجابية . فبينما هو يهدف من حيث المبدا الى تأميم كل الثروات العامة وضمان حق العمـــل للجميع وتخويل السلطة للاغلبية التي تمثلها الطبقـة الكادحة ، على الرغم من ان تطبيق هـــذه المبادىء وغيرها من مبادىء الاشتراكية لا زال في الكثير من وجوهه دون ما كان يؤمله قادة الاشتراكية ومفكروها فانه يجرد المجتمع من كل تفكير لا يتجه الى الكسب والتنمية الاقتصادية والتقنية . وبذلك تصبح كـــل القيم الاخلاقية وأعمال الخير التلقائيـــة والسمـــو الروحي الذي نصت عليه الفلسفات القديمة فضلا عن الاديان السماوية أمورا ثانوية بل موضع حرب شعواء في بعض الفلسفات الشيوعية الحديثة التي تلتقي في هذا العداء الصريح ، التقاء عجيبا مع الرأسماليـــة الحديثـــة .

ومهما يكن من أمر ، فان الباحث لا يهمـــه من دراسة مختلف انواع الصراع الطبقي سوى المظهـــر التاريخي لها والذي يتلخص في العوامل والمراحل والوسائل والغايات وما اكتنف كل ذلك من ظروف واحـــداث .

واذا كان الصراع المادي ، بل التحليل المادي للتاريخ ما هو الا عودة بالذاكرة الى العهود البدائية الاولى للانسان من بعض الوجوه ، حيث ان الانسان هكذا بدا تفكيره من اجل القوت في عهوده الاولى ، وهكذا تنتهي به المذاهب الحديثة الى أن يندمج كليا في الحياة المادية ليترفه ويحقق لنفسه الرخاء ورغد العيش بكل الوسائل الممكنة ، بما فيها التحايل على ثروات الشعوب المستضعفة تحت ستار المساعدات التي تقدمها الايديولوجيات والتخطيطات الدوليـــة المتناقضة . فأية ازمة خطيرة هاته التي تعانيهـــا شعوب الانسانية قاطبة من تناقـص في الثـــروات وتراجع في تحقيق الديموقراطية وجشـــع للـــدول الكبرى الى الاستيلاء على المواد الخام أو السيطرة على منافذ الثروة بشتى الوسائل . ثم اية ازمة اخرى اشد خطرا : تلك التي تولدت عن زعزعة الايمـــان والعقائد التي كانت ملاذ الانسان الوحيد في آلامـــه ومحنه وظلمات أيامه ؛ فهل العقائد الروحية فشلت في خلق توازن ثابت بين ضرورات البشر الماديـــة وحاجاته الروحية ؟ وهل ضمنت المذاهب المادية رفاهية للشعوب بعد ما شهدته من قهر وصراع طيلة قرون بل آلاف من السنين ؟ ذلك ما تحاول هـــذه الدراسة ان تعالجه في الفصول اللاحقة .

د. ابراهيم حركـــات

المثقف الوطني

للأستاذ محمد هادي العزيز

كل انسان متصل بالمؤسسات التعليمية والتربوية والتثقيفية يعرف ما شاء له حظه ومصيره ان يعرفه عن « الثقافة » قليلا كان أو كثيرا ، سطحيا كان أو عميقا .

فللثقافة مفهوم شخصي خاص عند كل انسان يتمكن على ضوئه من تعريفها حسب حظه من المعرفة. وهذا التعريف الذي لعب الحظ الشخصي الخاص دورا كبيرا فى تحديده مفهوميا يهمنا كثيرا فى فهم ماهية « الثقافة » فهما متوسطا تقريبيا على المستوى القاعدي العام .

فعندما تلفظ أو تسمع أو تقرأ لفظة « الثقافة » يتبادر الى ذهن كل انسان فهما شخصيا خاصا لها ، وبذلك تصبح مفهومة فهما عاما عند جميع المواطنين بكيفية احصائية تقريبية نسبية .

ومهم جدا بالنسبة للراي العام الوطني ان تفهم لفظة « الثقافة » فهما عاما على ضوء المفاهيم الشخصية الخاصة لها ، وان تباينت المفاهيم وتنوعت عمقا واسلوبا ومضمونا .

فالتعريف الاولي الوسط « للثقافة » على ضوء الكيفية الاحصائية التقريبية النسبية التي يهتم بها الراي العام الوطني هو انها ذلك المفهوم الشخصي الذي يكونه عنها بداهة كل انسان عند سماعها لاول وهلة حسب حظه من المعرفة وفى اي ظرف اجتماعي كان .

وعندما ترتبط « الثقافة » لفظا وفهما بالراي العام الوطني بواسطة الكيفية الاحصائية التقريبية النسبية ترتفع أسهمها من مجرد لفظة أو فهم فى ذهن كل انسان ، وتتحول الى رصيد وطني قوي صعب له قيمته الفكرية والتوجيهية والانتاجية التي تقدر ايجابيتها ايما تقدير فى مجالات الوعي بالمسؤوليات والعزم على تحملها برغبة ذاتية شخصية وجماعية خالصة لتحقيق الخير العميم لجميع المواطنين فى المجتمع الوطني.

وهنا تصبح الثقافة وسيلة غائية للوعي بالمسؤوليات تستخدم استخداما وطنيا أريبا ذكيا لتأمين المصالح الجماعية العليا والعامة فى المجتمع الوطني .

حسب هذا المفهوم تكون الثقافة قد وصلت الى كل انسان فى المجتمع الوطني ، وحفته باشعاعاتها مجتهدة فى خدمته وتثقيفه فى آن واحد، وهكذا يكون التثقيف معادلا للتوعية وموازيا لها ومكملا ومتمما .

ان هذا المفهوم يوجه الثقافة توجيها قياديا (مذهبيا وسياسيا واستراتيجيا) الى أن تمتزج

امتزاجا التحاميا « بالوطنية » لتتقمص المسؤولية العليا التي تقود وتوجه الامانة الوطنية العليا .

وعندئذ لا بد أن توصف الثقافة فى المجتمع الوطني بأنها ثقافة وطنية ، واذ ذاك تلتزم التزاما وطنيا اكيدا بخدمة « الوطنية » والمجتمع الوطني ، والانسان الوطني .

وبموجب هذا الالتزام الوطني « للثقافة » يتعين على المثقف الوطني أن يكون بدوره مثقفا وطنيا روحا وفكرا ومذهبا بكل ما تحمله العبارة من معان عميقة وبعيدة المديات .

فالانسان الوطني ، اذن ، لا بد أن يكون مثقفا وطنيا يدين بالولاء لوطنه ، ولثقافته الوطنية .

وهنا يصبح الولاء للثقافة الوطنية مساويا للولاء للوطن نفسه ، وهذا هو ما تعنيه ضمنيا عبارة « الاصالة الوطنية » .

ويضعنا هذا المعنى وجها لوجه امام تعريف عميق للانسان الوطني الاصيل الذي يمتاز عن غيره ممن ابتعدوا عن اصالتهم الوطنية أو فقدوها تماما !

وعليه ؛ فان الاصالة الوطنية تفرض على الانسان الوطني أن يعيش فى وطنه بالمقومات الروحية والفكرية الوطنية .

أما الانسان الذي يعيش فى وطنه بمقومات روحية وفكرية اجنبية فانه يعد أجنبيا فى وطنه لانه يكون فاقدا لولائه لوطنه ، وهذا ما ترمي اليه « الاديولوجيات » الاجنبية ، وهو الهدف الغائي للغزو الفكري الاجنبي !

وتبدو خطورة الغزو الفكري الاجنبي واضحة فى شكله الاديولوجي اذا ما عرفنا انه يستهدف ايجاد « وكلاء اديولوجيين » وسياسيين فى البلاد التي يستعصى عليه أن يجد فيها وكلاء سريين .

فهل يرضى المثقف المواطن أن يستدرج استدراجا اديولوجيا حتى يصبح وكيلا اديولوجيا للاجانب فى عقر بلاده !

لهذا فان الغزو الفكري الاديولوجي الاجنبي هو غزو سياسي وعسكري خطير جدا هدفه الغائي احتلال تراب الوطن احتلالا فكريا اديولوجيا سياسيا وعسكريا والحاقه الحاقا كليا بالتدريج بالوطن الاجنبي ؛ وآنئذ يعتبر التأثر عن وعي بالاديولوجية الاجنبية خيانة عظمى للامانة الوطنية وللمسؤوليات العليا الوطنية ، وللثقافة الوطنية ، وللوطن ، وللمجتمع الوطني .

ويعني هذا ان الروحانيات الوطنية والفلسفة الوطنية هي التي يجب أن تسود الثقافة الوطنية .

وفى حالة عدم وجودهما يجب أن تسود السياسة الوطنية بتوجيهاتها القيادية الثقافية الوطنية .

وفى حالة عدم وجودها ايضا يجب أن تسود الاستراتيجية الوطنية باوامرها القيادية الثقافة الوطنية .

والهدف الغائي هو أن يستمر التراب الوطني وطنيا خالصا لمواطنيه لا لغيرهم من الاجانب .

وخدمة هذا الهدف الغائي ، والنضال من أجله، والدفاع عنه يجعل من كل انسان مثقف مواطنا مناضلا وطنيا ، وجنديا وطنيا !

وبهذا لا تظل الثقافة مجرد ترف أو مجرد وصف تزييني سلبي ، وانما تصبح سلاحا وطنيا قويا فعالا للدفاع عن تراب الوطن ، وعن الاصالة الوطنية ، وعن المقومات الروحية والكيانية للشخصية الوطنية ، وعن المعطيات الاصيلة لشخصية الانسان المواطن كشخص وطني أصيل !

* * *

لا يجب أن يكون عن الثقافة مفهوم عاجي سلبي من مفاهيم الابراج العاجية السلبية لانه سيجردها من ايجابيتها ، ومن سلاحها الفعال الذي يحتاج اليه الوطن فى تنميته ، وتقدمه ، وازدهاره ، ورفاهيته .

ولا يجب أن يكون عنها ــ عن الثقافة ــ ايضا صورة شكلية سطحية مظهرية فقط ، لان مثل هذه الصورة ستجعل من الانسان المثقف مثقفا شكليا ، مظهريا ، أو بعبارة ادق انسانا يدعى الثقافة وهو ليس بمثقف .

ان خير الثقافة فى « لبها » ، وفى روحها ، وفى معطياتها الروحية والمعنوية ، وفى الالتزام بها ، والعمل من أجل ايصال اشعاعاتها الى كل انسان فى التراب الوطني .

ولذلك يجب أن يتجلى « لب » الثقافة وروحها في شكلها وظاهرها أي في الصورة الانجازية للعمل الثقافي الذي يقوم الانسان المثقف بانجازه .

ان التزام الانسان المثقف بالثقافة وايجابيته يؤثران في تجلياتها الايجابية الفعالة .

ويعني هذا أن ايجابية الثقافة من ايجابية الانسان المثقف ، وفعاليتها من فعاليته .

واذا كانت الثقافة سلاحا وطنيا في يد الانسان الوطني المثقف فان عدم استعماله سيعرض تراب الوطن للخطر وربما للضياع .

واذن ؛ يجب أن يكون الانسان الوطني المثقف مجندا دائما لخدمة الوطن والمجتمع الوطني والانسان المواطن بالثقافة الوطنية ، وبالتزامه بها .

ومهما كانت اناقة اللباس الذي يرتديه الانسان الوطني المثقف فان التزامه بالثقافة الوطنية يفرض عليه أن يعتبر نفسه مناضلا وطنيا أو جنديا وطنيا يرتدي نفس بذلات القتال التي يرتديها اخوانه جنود وطنه .

هذه هي الصورة الحقيقية للمثقفين وراء الحدود الوطنية .

وهي الصورة التي يجب أن تكون للمثقف الوطني الحقيقي في وطننا !

وبهذا ينبغي ان ينتهي كل مفهوم عاجي سلبي يمكن تكوينه عن « الثقافة » في الابراج العاجية فاسحا المجال لمفهوم ميداني ايجابي فعال لها باعتبارها وسيلة غائية للدفاع عن الوطن ، وللعمل من أجل تنميته ، وازدهاره ، ورفاهيته ، واعلاء شأنه بين الامم والاوطان .

الرباط : محمد حمادي العزيز



عن أدب المناسبات

للأستاذ أحمد تسوكي

اعتدنا ـ كما اعتاد غيرنا ـ فى شتى المناسبات الدينية والوطنية ان يقرا الوانا وضروبا من الكتابة فى الشعر والقصة والمقالة تختص كلها بهذه المناسبات، وبما توحي اليه ، وبما تتضمنه من دلالات فى حياة الناس كافة ، تختلف أساليبها وتتباين فى درجات العمق واستشفاف معانيها وما ترمز اليه ، من شاعر الى آخر ومن كاتب الى آخر .

وغالبا ما نقف أمام هذا اللون من الكتابة متسائلين ، فنختلف فى تسميته : هل هو من الادب ام لا ؟ وهل هذا الاتجاه فى الكتابة ينتمي الى الادب ام انه بعيد عنه كل البعد ؟

والراي الشائع بين الادباء والنقاد والناس على السواء ، أن اللون من الكتابة لا يمت الى الادب بصلة ، وليست له به علاقة على الاطلاق ، وبالتالي ، يتعين علينا أن ننفض أيدينا منه باعتباره ـ حتى لو تفوق اصحابه فيما يكتبون ـ ليس أدبا خالصا يقرر لذاته لما يحويه من جمال وخير وسمو الى الحق والفضيلة وسوى ذلك من القيم الادبية التي تضمن وتوفر له نصيبا من الخلود والبقاء للاجيال القادمة لكي تقراه وتهضمه وتتمثله فى ضميرها ووجدانها .

ولا شك عندي فى ان اصحاب هذا الراي الذين يرونه فيما يسمى بأدب المناسبات يغالون بعض الشيء فى نظرتهم اليه ، بل ان بعضهم يقع فى خطا كبير ـ سواء عمد الى ذلك او لم يعمد ـ حين يستبعد هذا اللون من الكتابة من دائرة الادب ومفهومه له .

وبداهة نقول انه ليس كل ما يظهر فى المناسبات ادبا ، وليس كل ما لا يظهر فى المناسبات ذاتها أدبا.

وبداهة أيضا نسأل ونتساءل : ما هي المناسبة بالنسبة للاديب ؟ انها باختصار شديد كل مناسبة تقترن فى زمن معين بعيد أو بذكرى ، كانت هذه المناسبة دينية او وطنية او قومية . والادب الذي يصدر عن هذه المناسبة هو ما نسميه بأدب المناسبات، اي أنه الادب الذي يصدر عن صاحبه فى مناسبة لها معناها الخاص ومفهومها ومدلولها ومغزاها فى حياة الناس . فاذا مرت هذه المناسبة مر معها هذا الادب. وبتكرار الاعياد والذكريات يتكرر معها ذلك اللون من الكتابة .

واصطلاح ادب المناسبات ، اصطلاح نقدي ـ اذا صح التعبير ـ ظهر حديثا ، وليس للنقد والنقاد به عهد الا الى فترة قريبة . وهذا الاصطلاح لا يدل فى الواقع على مذهب او مدرسة معينة فى الادب بقدر ما يدل على اتجاه معين فيه ، يعبر به اصحابه عن عواطفهم ومشاعرهم واحاسيسهم فيها : فاذا انتهت هذه المناسبة انتهى أدبهم ، فلا يبقى منه أثر الا وكان له علاقة وصلة بهذه المناسبة أو تلك .

وقد ابتدع هذا الاصطلاح النقاد المحدثون بعد قراءاتهم للادب العربي القديم الذي لم يكن في رأي بعضهم الا ادب مناسبات . ولا ادري ان كان ذلك الاصطلاح قد انتقل الينا من مدارس ومذاهب النقد الغربي الحديث ، ام انه ولد مع ظهور الادب العربي الحديث بعد الحرب العالمية الاولى ، اي مع احتكاك الادباء العرب بالادب الغربي ، وخاصة منه الادب الاوروبي .

وكيفما كان الامر ، فقد برز اصطلاح أدب المناسبات في الكتابات والدراسات والبحوث والتعليقات النقدية ـ او شبه النقدية ـ يريد به اصحابه الاشارة الى ذلك اللون من الادب الذي لا يصدر عن عاطفة صادقة ـ بحجة أن المناسبة هي التي تملي هذا اللون من الادب على صاحبه ـ بل يصدر عن احساس عابر وانفعال فاتر تجاه مناسبة لها مكانها ولها زمانها . ولذلك يعتبر هذا الادب المرتبط بالمناسبة ادبا زائفا ، لا تقف وراءه اي عاطفة صادقة او انفعال حار ، ولا ينصهر في تجربة نفسية ناضجة ، وبالتالي لا يتضمن اي قيمة ، اللهم الا قيمة الالفاظ المرصوفة بعناية ، وانتقاء التراكيب المزخرفة ، تغطيها رغبة الشاعر ـ مثلا ـ في ابراز المآثر والمناقب التي تخلف المناسبة ، بالاضافة الى مغالاته في ذلك الى درجة يسقط معها انتاجه في الاسفاف والابتذال ، بدليل ان الشاعر ذاته يعود في انتاجه بنفس الفاظه ومعانيه ، وربما بنفس قوافيه اذا عادت نفس المناسبة .

ولذلك اعتبر النقاد هذا اللون من الادب يموت بموت المناسبة ، ويمر بمرورها الى دهاليز النسيان، دون أن يخلف في نفس القارىء اي اثر يستحق الوقوف عنده ، ودون ان يحرك في وجدانه وضميره ما يحركه غيره من الوان الادب وفنونه الاخرى .

وهذا الاختلاف بين النقاد وحتى بين بعض الادباء انفسهم في النظر الى ادب المناسبات وتقييمه، يجعلنا في مواجهة حيرة تفرض علينا التساؤل التالي : هل ادب المناسبات ادب حقا ؟ أم يبعد عنه ـ بشروطه وعوامله الخاصة ـ عن هذا الوصف ؟ فاذا كان ادبا حقا ، فأين توجد مواصفاته التي يلتقي بها مع الادب ؟ واذا لم يكن كذلك ، فهل نكتفي امامه باطلاقنا عليه اصطلاح ادب المناسبات ، ومن ثمة نقف منه موقف النقاد والادباء المعارضين له ؟

ان استقراء بعض مراحل نشوء وتطور الادب العالمي وسيره يصل بنا الى نتيجة لا مندوحة لنا من الاعتراف بها ، وهي أن أدب المناسبات كان موجودا وقائما بذاته في الادب الغربي ، واذا شئنا الدقة اكثر ، قلنا انه كان معروفا حتى في الادب اليوناني القديم ، وكان له أصحابه وانصاره في الادبين الاوروبي والامريكي الحديثين ، شأنهما شأن الادب العربي ، قديمه وحديثه .

لقد عرف الادب الاغريقي الشعراء الذين كانوا ينشدون اشعارهم في المناسبات والاعياد المختلفة التي كانت تحتفل بها شعوب المنطقة ، وكانت بينهم منافسات للحصول على الجوائز التي كانت ترصد لهذا الغرض ، ولم ينته هذا التقليد في اليونان القديمة الا بانتقال مركز السيادة من اثينا الى روما التي شهدت بدورها شعراء كانوا يتغنون بامجاد الامبراطورية الرومانية وانتصاراتها في الامصار والاقطار ، واعياد الشعب الروماني وفرحته وابتهاجه بها . ولا زالت هذه الاشعار والاناشيد محتفظة بقيمتها الادبية الى الآن رغم مرور مئات السنوات عليها .

ويمكن ـ دون مبالغة ـ أن نضيف نفس القول على الادب الاوربي والادب الامريكي وخاصة في مراحله التكوينية الاولى ، ولا زالت بعض التقاليد متبعة الى حد الآن ـ وخاصة في بريطانيا ـ برغم ظهور الآداب الحديثة التي تمخضت عن الآلام التي عانتها وكابدت منها الشعوب خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وهي الآداب التي اطلق عليها النقاد اسماء مختلفة مثل ادب المقاومة وأدب العبث واللامعقول والتمرد والغضب ...

اما ادبنا العربي القديم ، وحتى الحديث منه ، فحافل بنماذج من أدب المناسبات ، وهذا هو ما يثير « حفيظة » بعض النقاد المعاصرين عليه ، واقول « حفيظة » لان هؤلاء النقاد غاضبون من الشعر العربي القديم ، لان جله صادر عن المناسبات وبها ؛ ولكننا نقول انه ، بالرغم من ارتباط هذا الشعر بالمناسبات ، الا انه يشكل ثروة ادبية ثمينة ، وذخيرة هامة وحية عن اساليب وانماط الحياة السياسية والاجتماعية والادبية والاقتصادية .

كان هذا الادب ـ ادب المناسبات ـ بمثابة النهر العظيم الذي يصب فيه الشاعر القديم اشواقه

وطموحه فى الارض والسماء على السواء ، حتى ولو ان شعر المناسبات لا يمثل الا علاقة ثنائية قائمة بين الشاعر وطرفه الموضوعي .

وحين ظهر النقد الحديث بنظرياته ومدارسه المتشعبة ، وآرائه وأفكاره ورؤاه الجديدة الى العمل الادبي حاول نسف كل ما بناه الشاعر العربي القديم بدعوى انه انساق لتيارات النهر الجارفة ، يميل حيثما الريح تميل ، فغرق حتى أذنيه فى خضم متلاطم من المدائح والهجائيات والمراثي والاخوانيات والنقائض ، وزخرف الكلام ، مسخرا فنون البلاغة والبيان من بديع وجناس وطباق وسواها لبناء قصائد هشة ، تافهة ، لا تكاد تتنفس نسيم الحياة حتى تختنق وتموت ، فاغرق الشاعر ـ نتيجة لذلك ـ الشعر العربي وفنونه بتلك الالوان والضروب الزائفة من الانشاء الرخيص ، فتعطلت لديه القدرة على الابداع الحقيقي ، وتعثرت خطاه فى طريق العطاء الشعري الخالد ...

وقد نجد بعض العذر عند نقادنا المحدثين لانهم لم يروا فى أدب المناسبات قيمة تستحق الاهتمام منهم ، فانصبت الاتهامات والاحكام جزافا على شاعرنا القديم ، وأفرغوا ابداعاته من أي روح انسانية . الامر الذي حفزهم على اعتبار هذا الشاعر نفسا خامدا ، خاملا ، متكاسلا ، لا يجري صاحبه وراء هدف الا الى تحقيق مطامعه الدنيا ، ولا يسعى الا الى الحصول على عطية سنية بواسطة التكسب بالشعر وجعل الشعر مجرد أداة طيعة لخدمة طموحه التافه ، فمات شعره بموت مطامعه وطموحه وأغراضه الشخصية السخيفة ، فعصفت به ريح التغيير والقت به بعيدا عن ساحة التأثير فى وجدان وضمير الجماهير .

واعتقد انه تختفي وراء هذه الرؤية الظالمة الى ادب المناسبات ، رؤية اخرى تحاول النفاذ الى حقيقة وجوهر هذا الادب ، بتحليله وتمحيصه من خلال ربطه بالواقع الذاتي للشاعر اولا ، وثانيا بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، الذي عاش فيه الشاعر ، لاستخلاص رؤية وحكم صادق ومنصف عن هذا الشاعر ، يمكننا من معرفة موقفه من الحياة والكون وفلسفته تجاه الاحداث .

ان شعرنا القديم ليس كله ادب مناسبات ، ليصب عليه نقادنا المحدثون جام غضبهم ، فشعرنا الحديث لا يخلو بدوره من شعر المناسبات ، ابتداء من محمود سامي البارودي الى نزار قباني ،مرورا باكثر من اربعة اجيال من الشعراء ، كان منهم من نبغ فى شعر المناسبات وشعر غير المناسبات ، ويمكن لي القول أن التاريخ غطى على شعراء لم يكتبوا فى المناسبات قط ...

لقد امتد ادب المناسبات الى شعرنا الحديث ايضا ، وان ارتدى أردية أخرى ، وتلفع بأقنعة تختلف عن تلك التي كان يصطنعها الشاعر القديم ، اذ فرضت متطلبات ومقتضيات ودواعي العصر والظروف الراهنة للمجتمع على الشاعر أن يكتب عن المناسبات بما يتطابق ويتلاءم مع تلك المتطلبات والمقتضيات والدواعي الجديدة ، ولم يتحرج مطلقا فى التعبير عن نفس الاغراض التي كان يطرقها الشاعر القديم ، مع اختلاف فى « طبيعة » المناسبة واختلاف اللغة والاسلوب .

ان الشاعر المهجري الكبير ايليا أبو ماضي كانت أغلب قصائده تدخل فى باب أدب المناسبات ، مع انه من المعدودين بين الشعراء المجددين فى الشكل والمحتوى . بل ان بدر شاكر السياب كانت بعض مراحله الشعرية تنتمي الى ادب المناسبات وتلتصق بها الى أبعد حد ، ولم يتخلص الشاعر من هذه النزعة بصفة نهائية الا بعد اصابته بالشلل فى أواخر حياته ، فأصبح شعره ذاتيا صرفا ، معبرا عن عاطفة وشوق غامرين الى الحياة نتيجة احساسه بانطفاء ذبالة الحياة فى جسده . وحتى الشاعر نزار قباني يعتبر بدوره احد شعراء المناسبات بشكل أو بآخر ... ... والقائمة طويلة تشتمل على أسماء شعراء معاصرين ـ بكل معنى المعاصرة ـ كانت المناسبات تجتذبهم بين الفينة والاخرى .

ويحق لنا هنا التساؤل : لماذا يكاد الشاعر العربي ينفرد وحده بالاتجاه الى المناسبات ؟

ان المناسبة بالنسبة للشاعر العربي كثيرا ما كانت فرصة يفرغ فيها أحاسيسه ومشاعره وعواطفه وخوالج نفسه ، ويحدد فيها موقفه ورؤيته الى الذات والحياة والكون ، فقصائده فى هذه المناسبات ، قالب يصب فيه عصارة أفكاره وفلسفته ، وليس المديح والهجاء والرثاء والشكوى والاخوانيات

والطرديات والخمريات ... الا نوافذ ومراصد يطل منها الشاعر على الذات وعلى الحياة والعالم من حوله.

هنا فقط ، يمكننا القول : ان ادب المناسبات ليس صادقا كله ـ بالفعل ـ وليس زائفا كله ، أيضا، نفي جملة منه صدق وحرارة ، وانفعال وتوهج واخلاص ، نفتقده حتى فى بعض أدب غير المناسبات.

اذا كان هناك ادب هذه صفاته ـ قلت فى جملة منه وليس فيه كله ـ لا ينبغي لنا على الاطلاق أن نحكم عليه بالموت لمجرد صدوره عن مناسبة ما وارتباطه بها . ومن « الشعر » قصائد لم يكتبها اصحابها عن مناسبة معينة ، ومع ذلك فهي لا تنطوي على اي صدق او حرارة او انفعال او اخلاص ...

ان القضية فى راينا ، ليست قضية أدبية او نقدية فحسب ، بل ان لها اصولا وشروطا وعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية ، يجب دراستها وتحليلها وبحث جوانبها ، لنقول فيها الراي الاخير والنهائي .

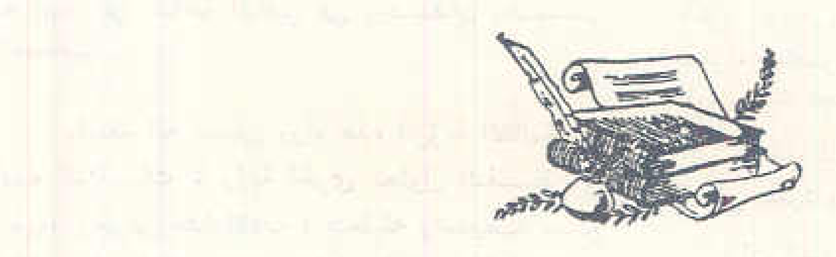
ومن هذا الجانب يتعين علينا ان ننظر الى الادب الذي ينتجه ويكتبه ادباؤنا وشعراؤنا فى مناسباتنا الدينية والوطنية ، وخاصة منها مناسبة عيد العرش التي كانت دائما على مر تاريخ الدولة العلوية الشريفة دافعا وحافزا للشعراء خاصة والادباء والكتاب عامة ليذكروا مناقب ومآثر الملوك العلويين الشرفاء ، وما تنجزه هممهم الشماء من اياد بيضاء للشعب فى مختلف القطاعات والمجالات ، وما تحرزه البلاد فى عهودهم الزاهرة من مكتسبات فى شتى الميادين ...

ولذلك ، فالانتاج الشعري والادبي الذي يظهر فى هذه المناسبة بصفة خاصة هو بمثابة سجل ، تطفح صفحاته بالآمال والمطامح ، وبمثابة كتاب تدون فيه وتكرس قواعد الالتحام وأسس الارتباط بين العرش والشعب ، بين القاعدة والقمة ، ليظل بعد ذلك احد الشواهد الفنية والتاريخية العميق الاثر ، القوي الدلالة على ثبات وصدق ومتانة المقومات الروحية والمادية التي يرتكز عليها عرش المغرب لحقب مديدة من الزمن .

وفضلا عن القيمة التاريخية الثمينة للشعر الذي يكتب عن هذه المناسبة ، هناك كذلك القيم الفنية والادبية والجمالية التي ينطوي عليها ذلك الشعر .

فحين يحتفل الشعب المغربي بكل فئاته بمناسبة عيد العرش ، يحتفل معه الشعراء بما تجود به قرائحهم ، تعبيرا عن الولاء والاخلاص اللذين يطبعان على الدوام الالتحام القائم بين العرش والشعب .

الرباط : احمد تسوكي



مكتبة دعوة الحق

- مظاهر يقظة المغرب الحديث
- المكتبة المغربية من 3 مارس 77 الى 3 مارس 1978

الفكر المغربي في ظل العرش العلوي:

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف: الاستاذ محمد المنوني • عرض: الأستاذ عبد الرحمن الزياني

سبق لي منذ ازيد من ربع قرن ان نوهت على صفحات مجلة الانيس التطوانية بكتاب: « الآداب والعلوم والفنون على عهد الموحدين » . للاستاذ الجليل محمد المنوني ، ذلك الاثر القيم الذي اعتبر صدوره ــ وقتذاك ــ حدثا بارزا فى تاريخنا الفكري بالمغرب ، فاستوجب الكثير من الاشادة والتنويه .. وقد ختمت تحليلي المسهب ، وتقييمي للكتاب برجاء ان يتحفنا المؤلف المفضال بمؤلفاته وبحوثه التي هو بصدد انجازها ... واحمد الله ــ سبحانه ــ ان استجاب ارجائي ، حيث وفق استاذنا الكبير الى اثراء مكتبتنا التاريخية بالعديد من البحوث المسهبة القيمة ، والدراسات المنهاجية الرصينة ، التي ازدانت بها صفحات المجلات ؛ المغربية منها والشرقية على السواء .. كما كان للاذاعة الوطنية فضل تعريف المستمعين على بعض تلك المواضيع الطريفة الشيقة التي يدبجها يراع استاذنا الكبير ، أمد الله فى حياته .. !

والآن ، التقي مع قراء مجلة دعوة الحق الزاهرة الغراء ، التي يعد الاستاذ المنوني من الدعامات البارزة بين محرريها ، واغزرهم انتاجا على صفحاتها ، فى جولة عبر مؤلفه الجديد المعنون بـ : « مظاهر يقظة المغرب الحديث » .

وهذا الكتاب ــ ككل بحوث الاستاذ المنوني ، بلا مبالغة ، ــ يتناول موضوعا بكرا طريفا ، يضيف الى المكتبة المغربية درة ثمينة طالما تشوقت الى الحظوة بها ، وكثر ما اشتكت من افتقارها الى التحلي بمثلها .. كما انه يضع فى تاريخ المغرب الحديث لبنة خالدة من شأنها ان تلقي الاضواء الكاشفة على العديد من النقط التي ظلت ، أو ظل جلها ،، مكتنفا بالغموض ،، مجهولا من لدن الكثرة من عشاق تاريخنا .

* * *

والآن ، وبعد هذا التمهيد الذي كان لا بد لي منه ، فما هو هذا المؤلف الجديد ، الذي أود تعريف القراء عليه ؟ وما هو الاطار العام الذي وضعه الاستاذ المنوني له لاستيعاب مباحثه وفصوله ؟

اما الكتاب فيعد ــ بحق ــ مساهمة جادة من الاستاذ المنوني فى كتابة تاريخنا المعاصر ، الذي

يجب ان تتضافر الجهود على كتابة فصوله ، كل فى دائرة اختصاصه ، حتى لا يكون مصيره مصير الفترات الغامضة من تاريخنا القديم ، كما هو الشان بالنسبة للفترة الفاصلة بين عصري الادارسة والمرابطين .. التي لسنا نعرف عنها الا أقل القليل .

واما الاطار ، فهو : ملامح ، او مظاهر ، النهضة المغربية الحديثة فى مختلف المناحي وشتى المجالات، تلك الملامح التي وفق الاستاذ المنوني ، كامل التوفيق ، فى استجلائها ، وجمع شتاتها ، بقدر ما حالفه التوفيق فى عرضها وتبويبها ، وتسليط الاضواء الكاشفة عليها .

والكتاب يتكون من جزأين اثنين، يتناول أولهما، وهو الجزء الذي نقدمه ، ملامح النهضة المغربية ، التي انتظمتها فصول عدة ، بحيث تناول فيه المؤلف الفاضل بالبحث والتحليل ، بيان المآل الذي آل اليه المغرب خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ثم تطرق ، بعد ذلك ، الى استعراض ملامح النهضة ، او اليقظة ، خلال فترتين اثنتين ، تبدا اولاهما من لدن احتلال الجزائر سنة 1830 وتمتد الى موقعة تطوان سنة : 1860 ، اما ثانية الفترتين فتشمل الحقبة الزمنية الممتدة من حرب تطوان ، الى انصرام القرن التاسع عشر ، وبالضبط ، الى وفاة الوزير الداهية أبا احماد سنة : 1900 .

ويطالعنا فى مدخل الدراسة وصف تحليلي حي، لهذا التدهور الذي أصاب العالم الاسلامي ، حيث اصيب بالخمول والجمود ، فوقف حائرا مشدوها حيال مستحدثات المدنية الغربية ومبتكراتها ، التي عمت أوروبا ، وشملت جميع مرافق الحياة تقريبا ، وكان موقف العالم الاسلامي منها ومنه المغرب طبعا ، موقف الخائف الوجل المتردد ، الذي لا يكاد يصدق ما تراه عيناه .. بل والذي امسى يخشى ان يتطاير عليه شرر الالات البخارية التي ربما خيل اليه انها من عمل المردة وصنع الشياطين .. ! هذا الموقف من الحضارة الصناعية ، وهذا التردد فى احتذائها ، او الاقتباس منها ، قد جر على العالم الاسلامي الكثير مما عاناه ، وما فتيء يعانيه ، من الويلات والشرور ، فجعله يفقد زمام القيادة ، ويتخلى عن مقعد الريادة ، بل انه اطمع فيه اعداءه ، وجعلهم يستهينون به ، ويستصغرون شأنه، ويتحينون الفرص لابتلاعه والاجهاز عليه ...

وقد استتبع الحذر من الاخذ بأسباب الحضارة الصناعية ـ كما لاحظ مؤلفنا ـ انهيارا فى الاقتصاد المغربي شمل جميع المرافق ، ثم تدهور فى الشؤون الادارية والدفاعية ، بحيث دمر الاسطول المغربي ، عن آخره ، واصبحت البلاد مهددة من حين لآخر بالوقوع تحت سيطرة اعدائها ، مما حدا ببعض الاصوات الحرة الخيرة ، الغيور على وطنها وأمتها الى رفع عقائرها منذرة بسوء المصير ، محذرة من مغبة الفوضى والانحلال ، داعية الى الاخذ بزمام المبادرة قبل ان يتسع الخرق على الراقع .. ومن هؤلاء الدعاة المصلحين : محمد الكردودي المتوفى سنة 1268 هـ / 1851 م الذي ضمن صيحته كتابه : « كشف الغمة ، ببيان ان حرب النظام حق واجب على هذه الامة » .

ومنهم ـ ايضا ـ ابن عزوز ؟ الذي له : « رسالة العبد الضعيف ، الى السلطان الشريف ». التي رفعها الى السلطان مولاي عبد الرحمن فى موضوع تنظيم الجيش المغربي .

ومنهم ـ ايضا ـ ابو الحسن التسولي المتوفى سنة : 1228 هـ / 1842 م الذي ضمن جوابه « البسيط » للامير عبد القادر الجزائري ، آراءه فى الاصلاح ، التي تتلخص فى انه لا يتم اصلاح بدون قوة نظامية العدد والعدة .

والى جانب هؤلاء المصلحين المؤلفين ، وليسوا الا امثلة لغيرهم ، لا نعدم وجود شعراء ملتزمين ، استنهضوا الامة ، وحدوا ركبها المتواني ، عن طريق الكلمة المنغمة ، ومن هؤلاء الوزيران الشهيران : محمد بن ادريس العمراوي ، الفاسي ، ومحمد غريط المكناسي ، اللذان لم يشغلهما المنصب والحياة عن المساهمة فى اذكاء روح اليقظة بين الجماهير المتطلعة الى غد افضل .. والذي يلفت النظر هو وجود شعراء بالجنوب المغربي يحسون بنفس احساس اخوانهم فى الشمال ، ومن هؤلاء : محمد بن الشيخ سيدي الشنجيطي ، الذي تقوم صيحاته دليلا على مدى ارتباط اجزاء الوطن العزيز بعضها البعض ..

والحق ان كارثة احتلال الجزائر ، وبعدها حرب تطوان ، كانت نذير شؤم للمغرب الذي اخذ تخمه يتقلص شيئا فشيئا ، وجعل شعاعه يخبو رويدا رويدا .. ! « واذا اردنا ـ يقول المؤلف ـ ان

نستخلص مقدار ما اصاب البلاد من كارثة الجزائر وسابقتها (موقعة ايسلي المشئومة) نجد المغرب اصبح فاقدا قوته البحرية ، مضيعا هيبة جيشــه البري ، مهددا في استقلاله من طرف الجار الاوربي القريب ، فماذا تبع هذا الوضع المقلق ؟ نشأ عن ذلك كله ان فتحت ابواب مراكش للاوربيين ، بعد ما كانت مغلقة في وجوههم ، الا في احوال خاصة ، فاخذوا يتسابقون لاكتساب النفوذ فيها ، وكثر ترددهم عليها بالتجارات اولا ، ثم بعد ذلك ، بالمشروعات ، الامر الذي نشأ عنه عواقب وخيمة سياسيا واقتصاديا ».

وقد « تبع ــ يقول المؤلف ــ احتلال الجزائر وضعف المغرب عن نصرتها ، ان اصبح المغــرب المنيع الجناب بالامس ، القريب ، يعيش في هــذا العهد المظلم تحت تهديد مستمر لاستقلاله ، فمــن مشاكل الحدود التي تثار في كل مناسبــة ، الــى اغتصاب لبعض اجزائه ، من فرنسا تارة ، واسبانيا اخرى ، الى تدخلات لا حد لها في شؤون المغرب الداخلية ، الى اثارة القلاقل ، وخاصة في المغرب الشرقي ، بل كاد المغرب يفقد استقلاله نهائيا عقب موقعة ايسلي ، لولا التنافس الدولي الذي عاش في ظله استقلال المغرب حتى اوائل القرن العشرين ».

* * *

تلك هي المقدمات التمهيدية ، والنتائج الواقعية المستخلصة منها ، وهي مدار البحث الذي عالجــه الاستاذ المنوني خلال عرضه الطور الاول من اطوار النهضة الذي لم يستغرق اكثر من بضــع عشــرة صفحة من الكتاب ، وكان بالامكان التوسع في النقط المدروسة بهذا الفصل ، لولا انها نقــط معروفــة متداولة بين الباحثين .

ولذلك فقد نقلنا السيد المؤلف الى البــاب الثاني من الكتاب ، ولعله اهم ابوابه واجدرها بعناية الباحثين ، وقد استغرق من الكتاب اربعة وسبعيــن ومئتي صفحة ، وشمل المدة الزمنية الممتدة من : 1276 هـ / 1860 م الى 1318 هـ / 1900 م ، وهذا الطور « يمتاز بانه عهد اصلاح وتجديــد من طرف الحكومة المغربية ، كما يمتاز بأن مركز المغرب فيه ازداد تحرجا وضعفا ، بعد حادثة تطوان التي هــي مبدأ هذا الطور الثاني ، فان هذه الموقعة ازالــت الهيبة عن بلاد المغرب ، واستطال الغربيون بسببها ، وانكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهــم مثلــه ، وكثرت الحمايات التي نشأ عنها ضرر كبير » .

« وفي هذا الطور بدأ واضحا تدهور الاقتصاد المغربي ، الذي بقي على وضعيته القديمة امام تقدم اوروبا المدهش » .

« ومما ينبغي ان يسجل هنا ، ان المغرب في هذا الطور اشتد التنافس الدولي حوله ، فقد سار موضع اهتمام اربع من الدول الاوربية : اسبانيــا ، وانجلترا ، وفرنسا ، والمانيــا الحديثــة العهــد بتوحيدهــا » .

وتجاه هذه المواجهة ، وازاء هذه التحديــات السافرة لم يكن لاولياء الامر بد من اتخاذ زمام المبادرة علهم يجنبون البلاد ما يمكن ان ينتج عن ذلــك مــن شرور وويلات ، ولم يكن هناك من سبيل للوقاية الا الاخذ بأسباب النهضة ، ومحاولــة اللحاق بركبهــا المتطور .. الذي بابه ومفتاحه هو التضلع من المعرفة التقنية التجريبية ، وهذا ما قام به ــ فعلا ــ كل من الملك محمد الرابع ، والملك الحسن الاول ، حيث حاول كل منهما تجديد هيكل الدولة ، عن طريــق تجديد الجهاز الحكومي ، وتطويره ، ثم عن طريــق ارسال البعثات الطلابية الى الشرق والغرب لدراسة العلوم العصرية ، التي هي المفتاح لكل نهضة مفيدة» ، وحقا ، انهما بذرا البذور الصالحة ، ووضعا اللبنات الاولى لاصلاح الحالة بالمغرب ، ولــو ساعدتهمــا الظروف ، وساعدت الذين اتوا بعدهما ، لتحــول المغرب من ذلك التاريخ ، الى امة لها مقامها ومكانتها كما صارت اليابان امة عظيمة ، وهــي التي كانــت بعثاتها تدرس بأوروبا في الوقت الذي كانت توجــد هناك بعثات المغرب ، ولكن اليابان كان بعيدا عــن اوروبا ، فلم تعمل هذه لعرقلته ما عملته في المغرب الجار القريب لاوروبا .

هذا ، وقد شمل الاصلاح الحكومي اصــلاح الجهاز الاداري الذي انتظم : تنظيم الجهاز الحكومي ، وتجديد الجيش ، واحياء الاسطول ، وبناء المعامل ، واصلاح الشواطىء .. الخ . وقد استغرقت هــذه المواضيع قرابة السبعين من صفحات الكتاب . اي من 28 الى 94 .

اما البعثات التعليمية ، فقد خصها السيــد المؤلف بما تستوجبه من العناية ، وعالجهــا بمــا

تستحقه من التحليل والبسط ، حيث تتبـــع نشاط تلك البعثات مرحلة ، مفصلا الحديث عن وجهة كـــل بعثة ، ملمعا الى عدد أفرادها ، مشيرا الى العلـــوم التي درسوها أو تخصصوا فيها ، مع بيان ما اسهموا به من تآليف فى مختلف الفنون .

وموضوع البعثـات الطلابية جديـــر بعنايـــة الباحثين والدارسين ، وقمين بأن يفرد بالتاليـــف ، وتوضع حوله رسائل جامعية تلقي الاضواء الكاشفة على مختلف جوانبه .. وحسب الاستاذ المنوني ان دلل ببحثه هذا صعابه ومهد طريقه ، ووضع امـــام الباحثين خطوطه الرئيسية .

ومن البعثات التعليمية ينتقل بنا السيد المؤلف للحديث عن الطباعة وملحقاتها بالمغـــرب ، الـــذي استغرق من الكتاب خمسين صفحة ، ولست أبالغ اذا ما اكدت بأن هذا الموضوع من أهم ما حواه كتاب الاستاذ المنوني ، حيث تتبع فيه سيادتـــه تاريـــخ الطباعة بالمغرب ، مستقرئا جزئياتها وكلياتها ، متتبعا مختلف اطوارها ومراحلها فى صبر واناة ، بحيـــث يمكن القول بان المؤلف قد وضع بين ايدي الدارسين والباحثين الخطوط العريضة لتاريخ الطباعة وملحقاتها بالمغـــرب .

وبعد الحديث عن الطباعة وما اليها ينتقل بنا المؤلف الفاضل للحديث عن المساهمة الشعبية فى الدعوة الى الاصلاح والاخذ بأسباب التقدم والتطور تلك المساهمة الجليلة التي تمثلت فى هذه الاصوات الاصلاحية التي ارتفعت عالية مدوية ، تندد بالوضعية المزرية التي آل اليها المغرب ، مناديـــة بمقاومـــة الامتيازات الاجنبية ، داعية الى اصـــلاح الجيش ، حاثة على الجهاد ، مطالبة بالقيـــام — على عجـــل — باصلاح الاوضـــاع .

وكان من الطبيعي ، وقد ارتفعت هذه الاصوات تنادي بالاصلاح ، ان تتجه همـــة المصلحيـــن الى الاشتغال بالصحافة ، باعتبارها المنبر الحر ، والاداة الفعالة لتشخيص ادواء المجتمع ، وتنبيه الامة الى ما يحيق بها من اخطار ، نتيجة ضعفها وقلتها ، وقد اكتفى المؤلف فى موضوع الصحافة بهذه اللمحـــات الخاطفة ، طالما ان الموضوع اصبح معروفا لـــدى الدارسين بما كتب حوله من أبحاث ومؤلفات ، لعل فى طليعتها كتاب الاستاذ زين العابدين الكتاني عـــن الصحافة المغربية نشأتها وتطورها ، ذلك الكتـــاب الثمين الذي ما برحنا ننتظر صدور جزئه الثاني على احر من الجمر .

ونتجاوز فصل صدى حرب تطـــوان فى الادب المغربي ، الذي حسب الاستاذ المنوني ان وضـــع مفتاحه بأيدي الدارسين الذين سوف يجـــدون فى المادة الطيبة التي قدمها لهم خير معـــوان لطـــرق الموضوع بتوسع ، نترك هذا الفصل ، لنجد انفسنا امام الفصل المخصص لطلائع المعارضة الشعبية ، الذي اعقبته خاتمة الكتاب ، التي انتهت بالصفحـــة 305 ، بيد ان المؤلف ارتأى — وحسنا فعـــل — ان يذيل بحثه القيم بثلاثة ملاحق ، تناولت الموضوعات التاليـــة :

1 — قطعة من قانون تسيير امانة المراسي .
2 — الحاق واضافات لترجمة الطبيب احمـــد التمسمانـــي .

3 — سير التعليم الحديـــث فى الوســـط اليهودي بالمغرب .

والى هنا تنتهي جولتنا الخاطفة عبـــر كتـــاب « مظاهر يقظة المغرب الحديث » الذي يعتبر مـــن الدرر الثمينة التي ظفرت بها مكتبتنا التاريخيـــة . والذي لا يسعني الا أن اهنيء أستاذي الكبير السيد محمد المنوني على ما أسداه — وما برح يسديـــه — لتاريخ المغرب الفكري من اياد بيضـــاء ، وعلى مـــا اسهم به فى بناء نهضتنا الفكرية من لبنات تحتـــل الصدارة فى بناء نهضتنا الشامخ الذري .. متمنيـــا لسيادته المزيد من النشاط ، واطراد التوفيق ، آملا ان لا يطول انتظار عشاق ابحاثه للجزء الثاني مـــن « مظاهر يقظة المغرب الحديث » الذي — ولا شك — سوف يكون — كما عودنا استاذنا — سفرا ثمينـــا ، وبحثا طريفا ، يلقي الكثير من الاضـــواء على هـــذه الحقبة المهمة من تاريخنا ، التي ما زالت معلوماتنـــا عنها مكتنفة بالغموض .

الحاجب : عبد الرحمن الزياني

المكتبة المغربية

من 3 مارس 1977 إلى 3 مارس 78

إعداد: دعوة الحق

● تميزت السنة المنصرمة (3 مارس 77 — 3 مارس 1978) بحركة نشر نشيطة فى المغرب . وقبل أن نستعرض الكتب التي صدرت فى العام الماضي نود أن نشير الى ظاهرة فريدة يمتاز بها المغرب فى عهد جلالة الحسن الثاني فى مجال الطباعة والنشر . ذلك أن المغرب هو البلد العربي الوحيد الذي يمكن فيه لاي مؤلف او ناشر ان يطبع ويوزع كتبه دون رجوع الى جهة خاصة للحصول على تأشيرة معينة ، فلا رقابة هناك على المطبوعات الداخلية الا ما كان من رقابة ضمير الكاتب والناشر . هذا بالاضافة الى حرية الصحافة بالمعنى الواسع للكلمة فلا حجر على اصدار الصحف والمجلات والدوريات وبامكان اى مواطن ان يتقدم بطلب الى وكيل الملك (النائب العام فى اصطلاح أخواتنا المشارقة) بالمدينة التي يقيم فيها وخلال ثمان واربعين ساعة يحق له أن يصدر صحيفة .

هذه الظاهرة الفريدة تتيح للكتاب والمؤلفين والناشرين حرية أوسع فى الحركة الانتاجية والفكرية وتحفز الهمم الى المزيد من الابداع .

وقد صدرت خلال السنة الماضية الكتب التالية :

مطبوعات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

خلال سنة 1977-1978

خلال سنة 77 — 1978

● **الجزء الرابع من تفسير ابن عطية « المحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز » بتحقيق المجلس العلمي بمراكش .**

● **الجزء الثاني من كتاب : « نشر البنود على مراقي السعود » لسيدي عبد الله ابن ابراهيم العلوي الشنقيطي .**

● **« أوصاف الناس فى التاريخ والصلات » لابن الخطيب . تحقيق د. محمد كمال شبانة .**

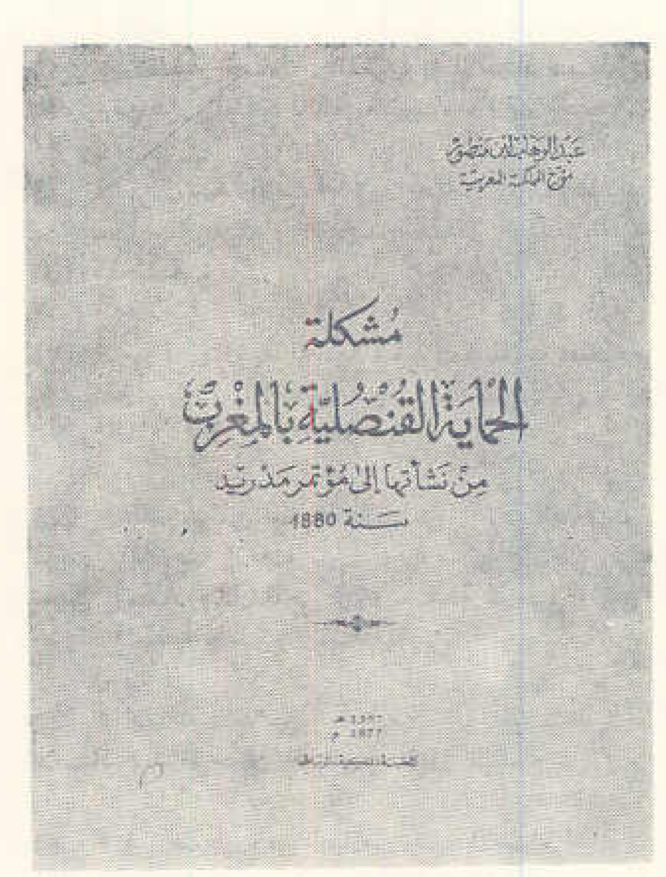
● **« معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار » لابن الخطيب ، تحقيق د. محمد كمال شبانة .**

● **« تاج المفرق فى تحلية رجال المشرق » (رحلة) للبلوي ، تحقيق الاستاذ حسن السائح .**

● **« التقويم الهجري المغربي » لسنة 1398 — (1978) .**

● **« معلمة المدن والقبائل » للاستاذ عبد العزيز ابن عبد الله .**


سلسلة أبحاث حضارة المغرب الإسلامي
المغرب العربي والأندلس
أصحاب الميمنة
الدكتور
عثمان عثمان اسماعيل


عبد الوهاب بن منصور
مؤرخ المملكة المغربية
مشكلة
الحماية القنصلية بالمغرب
من نشأتها إلى مؤتمر مدريد
سنة 1880


مجموعة
يسري شاكر
حكايات من الفولكلور المغربي
الجزء الأول
الجمع والتدوين
يسري شاكر
تقديم
دكتور عباس الجراري
رسومات
الشاوي محمد


مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
قدور الورطاسي
الحدائق

● الطبعة الثانية للجزء الثاني من كتاب « التمهيد لما فى الموطا من المعاني والاسانيد » لابن عبد البر . تحقيق الاستاذ سعيد أعراب .

● « منوعات ابن الخطيب » للاستاذ حسن السائح .

● « الحركة الفكرية بالمغرب فى عهد السعديين » من مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر (سلسلة التاريخ 2) ـ الجزء الاول للدكتور محمد حجي 329 صفحة .

● « الحياة الادبية على عهد الدولة العلوية (1664 ـ 1894) » للدكتور محمد الاخضر ـ دار الرشاد بالدار البيضاء ، 493 صفحة .

● « مؤرخو الشرفاء » تاليف ليفي بروفنصال ، تعريب الاستاذ عبد القادر الخلادي من مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر (سلسلة التاريخ 5) ، 319 صفحة .

● « مكتبة الجلال السيوطي : سجل يجمع ويصف مؤلفات جلال الدين عبد الرحمن السيوطي » تاليف الاستاذ احمد الشرقاوي اقبال ، من مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر (سلسلة الفهارس 2) ، 415 صفحة .

● (المحاضرات) للحسن اليوسي ـ اعده للطبع د. محمد حجي من مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر (سلسلة الادب 1) 328 صفحة .

● « المعرفة : مسيرة نضال وثبات » اعداد حسن محمد المصمودي عن مطبعة فضالة .

● « توطئة لدراسة علم اللغة » الجزء الاول من سلسلة الدراسات اللغوية للدكتور التهامي الراجي الهاشمي عن دار النشر المغربية ، 112 صفحة .

● « العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين » للاستاذ محمد المنوني (الطبعة الثانية) عن مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر (سلسلة التاريخ 6) .

● « الاغلبية الصامتة بالمغرب » للاستاذ مصطفى العلوي عن دار الكتاب بالدار البيضاء ، 279 صفحة .

● « حصيد الايام » (قصص) للاستاذ عبد السلام العزيز دار الكتاب بالدار البيضاء ، 104 صحة .

● « من اجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية » للدكتور محمد عابد الجابري عن دار النشر المغربية 196 صفحة

● « المختار من شعراء الاندلس » لابي القاسم علي بن المنجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي تحيق الاستاذ هلال ناجي 113 صفحة ـ طبع وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

● « ادبيات الاندلس » (طبعة ثانية بالاستنسيل) للاستاذ عبد الرحمان الزيانى ، 191 صفحة .

● « فى سبيل وعي اسلامي » ـ الاستاذ ابو بكر القادري ، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء ، 193 صفحة .

● « المومياء : قتلة وادي الملوك » ـ الاستاذ احمد عبد السلام البقالي (14 قصة قصيرة) ـ دار التونسية للنشر ، 182 صفحة .

● « الطوفان الازرق » رواية ، للاستاذ احمد عبد السلام البقالي ـ دار التونسية للنشر ـ 253 صفحة.

● « قال جلالة الملك الحسن الثاني » ـ اختيار الاستاذ عبد الحق المريني . مطبعة الانباء . 148 صفحة .

● « الحدائق » ـ ديوان شعر للاستاذ قدور الورطاسي . (مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر ـ سلسلة الادب 2) . 288 صفحة

● « المصطلح المشترك : دراسات فى الادب المغربي المعاصر » ـ للاستاذ ادريس الناقوري . (الوادنوني) . دار النشر المغربية . 320 صفحة .

الرحالي الفاروقي
رئيس المجلس العلمي
مراكش

لمحات
في النظام الاقتصادي الاسلامي

مطبوعات
الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي



الاندحار الماركسي
في
العالم الاسلامي

محمد العربي الناصر



● « مغربيات : دراسات جديدة » ـ للدكتور محمود اسماعيل . مطبعة فضالة . 175 صفحة .

● « الدستور المغربي : مبادئه واحكامه » ـ للاستاذ احمد مجيد بنجلون . دار الكتاب . 228 صفحة .

● « ظلال » ـ 13 قصة قصيرة ـ ادريس الخوري . دار النشر المغربية . 116 صفحة .

● « ايامنا الخضراء » ـ ديوان شعر ـ للاستاذ احمد عبد السلام البقالي . 251 صفحة . المطبعة الملكية .

● « قصة مول فلاندرز » ـ للكاتب الانجليزي دانيال ديفو . ترجمها عن الانجليزية الاستاذ عبد القادر الشاط . دار الطباعة الحديثة (الدار البيضاء) 243 صفحة .

● « الوثائق » ـ الجزء الثالث ، عن مديرية الوثائق الملكية . 516 صفحة .

● « الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام » الجزء السابع للمرحوم العباس بن ابراهيم ـ تحقيق الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور . 381 صفحة .

● « انغام العشق والثورة » ـ مجموعة قصص قصيرة ـ لعبد الكريم التمسماني . 94 صفحة . مطبعة الاندلس .

● « فنية التعبير في شعر ابن زيدون » ـ للدكتور عباس الجراري ـ مطبعة النجاح . 85 صفحة .

● « العلم ورسالة الاسلام » . للاستاذ محمد الفاسي . مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي . 34 صفحة ، الحجم المتوسط .

● « لمحات في النظام الاقتصادي الاسلامي » . للاستاذ الرجالي الفاروقي . من مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي . 49 صفحة من القطع المتوسط .

● « على درب الله » . ديوان شعر للشاعر الاستاذ محمد المنتصر الريسوني . 16 قصيدة في 78 صفحة من الحجم الصغير . مطبعة ديسبريس بتطوان .

● « حكايات من الفلكلور المغربي » للاستاذ يسري شاكر . تقديم الدكتور عباس الجراري . عن دار النشر المغربية .

● « أصحاب الميمنة » للدكتور عثمان عثمان اسماعيل . عن دار الكتاب بالدار البيضاء . في 147 صفحة من القطع الكبير .

● « سفر في اودية ملغومة » ديوان شعر لمحمد غرناط . 10 قصائد . من القطع الصغير . عن مطبعة الاندلس بالدار البيضاء .

● « معركة البترول العربي » للدكتور محمد الجبابي 256 صفحة من القطع الكبير . عن دار النشر المغربية .

● « قراءات في أدب الصباغ » للاستاذ عبد العلي الودغيري . 109 صفحات . من القطع المتوسط . عن دار الثقافة بالدار البيضاء .

● « مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب : من نشأتها الى مؤتمر مدريد سنة 1880 » للاستاذ عبد الوهاب بنمنصور . عن المطبعة الملكية .

● « أوصال الشجرة المقطوعة » . مجموعة قصص لمحمد عز الدين التازي . دار النشر المغربية (26 قصة قصيرة) .

● « الفارس والحصان » . مجموعة قصص . (30 قصة قصيرة) لمحمد ابراهيم بوعلو . دار النشر المغربية .

● « بيوت واطئة » . (15 قصة قصيرة) لمحمد زفزاف .

● « الانحدار الماركسي في العالم الاسلامي » للاستاذ محمد العربي الناصر . عن المطابع المغربية الدولية بطنجة .

● « التطور الدستوري والنيابي فى المغرب من سنة 1908 الى سنة 1977 » للاستاذ عبد الكريم غلاب . 337 صفحة من القطع الكبير . عن مطابع « شركة الطبع والنشر » بالدار البيضاء .

● ديوان « العباس بن الاحنف » من تحقيق عاتكة الخزرجي .

● « مجموع أزجال وتواشيح واشعار الموسيقى الاندلسية المعروف بالحائك » . أعده وحققه الاستاذ عبد اللطيف محمد منصور .

● « المغرب فى عهد الدولة السعدية » للدكتور كريم كريم .

● « زائير والحزام الاخضر » للدكتور ابراهيم دسوقي أباظة .

● « مولاي ادريس » مسرحية للاستاذ احمد عبد السلام البقالي .

● « المصطلحات الجغرافية = معجم فرنسي ـ عربي » . اعداد : عبد الله عبد اللطيف الجامعي ومحمد بلفقيه .

العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال

● فى اطار العلاقات الثقافية الممتازة بين المملكة المغربية وبين دولة اتحاد الامارات العربية صدر فى قطر كتاب بعنوان : « العذب الزلال فى مباحث رؤية الهلال » ، وهو للمؤقت المغربي السيد محمد بن عبد الرازق من مدينة مراكش . ويقع الكتاب فى 834 صفحة من القطع الكبير فى طباعة انيقة ، وورق صقيل ، وقد راجعه الشيخ عبد الله الانصاري مدير الشؤون الدينية بدولة قطر ، ويعتبر الكتاب دون مبالغة اول موسوعة عربية تصدر فى الموضوع ، بهذا الحجم والتفصيل والاستقطاب لجميع العناصر المتداخلة والمتفرعة عن موضوع رؤية الهلال .

ويقع الكتاب فى جزاين يضمهما مجلد واحد . وقد جاء فى كلمة التقديم التي افتتح بها الشيخ عبد الله الانصاري هذا السفر القيم تنويه واشادة بدور المغرب ومساهمة جلالة الملك الحسن الثاني فى نشر التراث الاسلامي والعناية بنفائس الخزانة المغربية التي تحتوي على أمهات المخطوطات النادرة فى شتى فروع الثقافة الاسلامية والمعرفة الانسانية.

يقول الشيخ عبد الله الانصاري : **« لقد وفقنا الله تعالى فى بعض رحلاتنا فمررنا بالمغرب واطلعنا على خزانات مخطوطاته الفنية فمن خزانة لجلالة الملك الحسن الثاني وخزانة اخرى لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وخزانة ثالثة لجامعة القرويين بفاس فوجدنا كثيرا من المخطوطات النافعة واقتبسنا بالتصوير اليسير منه الذي استطعنا ، وفى لقاء مع وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية (السابق) دار بيننا الحديث النافع حول التراث العربي الاسلامي وعرض علينا سيادته كتابا يشتمل على جزاين وهو هذا الكتاب (العذب الزلال فى مباحث رؤية الهلال) وكان تجوال المؤتمرات وبحوثها فى غالب الاجتماعات والاوقاف يدور على هذا الموضوع المهم ، كما انه قد عقد مؤتمر بالكويت قبل ذلك بسنتين وخصص لهذا البحث ولتوحيد بداية شهور التقويم الهجري العربي وموافقتها للشهور الشمسية لجنة حضرت أيضا فى وقتها المناسب ، وقطعت شوطا فى ذلك الموضوع ، ولكن الاتفاق بين الاقطار لم يستكمل .**

وبعد لمحة يسيرة فى الكتاب المذكور ، راينا انه من اللازم ان نحاور سيادة الوزير فى طبع هذا الكتاب وعندما عرضنا عليه الراي للاهتمام بطبعه افاد ان النية موجودة لديهم وأن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني قد وافق على الاهتمام بطبعه ، ولكن نظرا لوجود مطبوعات سابقة لم تستكمل مثل « التمهيد لما فى الموطا من الاسانيد » و « كتاب « ترتيب المدارك » قد يتاخر حينا حتى تكمل الكتب السابقة فقلنا : « هل من الممكن ان نحاول طبعه ؟ فابدى الاستجابة لذلك بكل ارتياح وكرم نفس » .

دراسات جديدة في الفنون المعمارية المغربية

● تعززت المكتبة المغربية بصدور كتابين قيمين عن الآثار المعمارية والحضارية فى المغرب للدكتور عثمان عثمان اسماعيل ، الاول بعنوان : « دراسات جديدة فى الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب

والثاني تحت عنوان : « ابحاث تاريخية وكشوف اثرية بالمغرب الاقصى » ، ويقع فى 500 صفحة ، من القطع الكبير وكلاهما طبع بلبنان ، وبتقديم الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور ، مؤرخ المملكة .

وتمتاز ابحاث الكتابين بطابع الابتكار ومناقشة بعض نظريات وآراء المؤلفين الاوروبيين الذين كتبوا عن الحضارة المغربية من وجهة نظر صليبية استعمارية معادية للعروبة والاسلام والثقافة والحضارة المغربية .

وكان قد صدر للمؤلف من قبل سفر قيم عن « تاريخ شالة » .

مولاي إسماعيل بن الشريف

حياته . سياسته . مآثره

● يصدر قريبا للدكتور عبد الله العمراني عن احدى مطابع مدينة تطوان كتاب جديد عن المولى اسماعيل بن الشريف العلوي رضي الله عنه . وقد وافانا المؤلف بكلمة الاهداء التي افتتح بها كتابه القيم . ويسرنا ان ندرجها بنصها فى هذا العدد :

« الى سليل الاكارم سلاطين المغرب الامجاد :

مولاي اسماعيل بن الشريف الحسني ، بطل المغرب المغوار ، وأسده الهصور ، ومحرر شواطئه، ورافع راسه عاليا بين الامم ...

سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، باعث مجد جده ، والمتفتح على عالمه المعاصر فى كفاءة ومهارة واقتدار ...

مولاي الحسن الاول ، باعث البعوث العلمية الى الخارج ، والباذل وسعه فى سبيل ترقية بلاده واسعادها ...

سيدي محمد بن يوسف بن الحسن ، محطم اغلال الاستعباد ، والمعيد الى شعبه حياة الحرية والكرامة والعزة والسؤدد ...

الى الذي ورث كل اولئك ـ قدس الله ارواحهم ونور ضرائحهم ـ فتحلى بكريم اخلاقهم ، وتقمص حميد خصالهم ...

الى المواطن المغربي الاول ، الذي جمع بين عزة اسماعيل وقوته ، وتفتح محمد الثالث وعبقريته، واصلاح الحسن الاول وهمته ، وجهاد محمد الخامس وتبصره وحكمته .

« وليس على الله بمستنكر
ان يجمع العالم فى واحد .. »

الى الذي جمع فى قرن ، بين الحسب والنسب، بين العلم والدين ، بين الحزم والعزم ، بين الذكاء والراي ، بين الكياسة والسياسة ، فبهر الدنيا قاطبة، وجمع المجد من اطرافه ...

الى عدو الصهيونية منجد العروبة فى مرتفعات الجولان ورمال سيناء ، ومنقذ وحدة جمهورية زائير الافريقية من اطماع انفصاليي اقليم « شابا » ، وهجمات المرتزقين الشرسة ، فكان جنوده هنا وهناك ـ كما هو العهد بهم دائما ـ مثال الصبر والثبات ، ورمز البطولة والتضحية ، وعنوان النصر المبين ...

الى مخترع « المسيرة الخضراء » ، ومحرر « الصحراء » ، ومحقق اشرف مبادىء السيادة : وحدة التراب الوطني ...

الى امير المومنين جلالة الحسن الثاني ، عاهل المغرب ، وحامل لواء عزه ومجده ، وباعث نهضته وازدهاره ...

اهدي مجاج قلم كدود ، ونتاج فكر وعمل ، استمرا زمنا ليستقر المجاج والنتاج آخر المطاف باكرم يد ...

اهدي مجهودا متواضعا آملا ان يسد ثغرة فى مكتبة تراثنا المغربي ، ويفتح انظار شبابنا المتلمس سبيله السوي فى مجاهل التفكير والتقدير ، الباحث عن مثله الاعلى فى متاهات العمل والتدبير ، علّه يجد مبتغاه فى مثل سيرة بطلنا الخالد : مولاي اسماعيل ، او فى حيوات اخلافه الحافلة بتحقيق الآمال العراض، وانجاز الاعمال الخالدة المجيدة . وهل تلك السيرة وهذه الحيوات فى جملتها الا ثمرة هدى الله، وقبس نور النبوة ؟ انهما لذلك زبدة الفضائل ، وخلاصة الاخلاق ، وسر معاني الحياة » .

(دعوة الحق)

ديوان المجلة

- صانع الامجاد
- شعب صانع الابطال

صانع الأمجاد

للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

ما ذا تركت لصانعي المجـ ... من عاطر الذكري ومن حمد ؟
ارهقت دنياك التي تجري ورا ... ء خطاك في نصب وفي جهد
كلفتها طلب المعالي يافعا ... فعنت لحكمك في سني الرشد
ورضعت اثداء المكارم نابتا ... في روضها من خطوة المهد
سعدت بمقدمك الحياة واشرقت ... جنباتها بمخلد السعد
ونهضت أكمل ما يكون مملك ... جم المواهب ماضي الحد
تمضي الى الغايات لا تلوي على ... شيء ، ولا ترتد عن قصد !
وتسوس بالحسنى وبالعدل الذي ... قد طوقتك يداه كالعقد
في عهدك الذهبي عشنا سادة ... نختال احرارا بلا قيد
ثرنا على حكم الدخيل وحطم الا ... حرار منا ربقة العبد
واذا بشعبك وحدة مرصوصة ... وعباب بحر زاخر المد
يبني ويرفع للبناء سواعدا ... ويسير خلف خطاك في وجد
ملك اخ واب شغوف لم يزل ... يولي بنيه عوارف الود
هذي مآثرك التي اعليتها ... تبدو لذي عينين كالطود
من مسجد تعنو الوجوه لربها ... فيه تردد آية الحمد
ومناهل للعلم شدت صروحها ... غصت بظامئة الى الورد
وموات ارض سال في جنباتها ... ما فجرته يداك من سد
سعي دؤب لا يمل وهمة ... طماحة طبعت على الجد

يا صانع الحسنات فى شعب يسو ... ق جزاءها من خالص الود

اصبحت اكبر من قوافي شاعر ... والشعر ملك توام الخلد

آمنت انك عبقري ملهم ... وموفق فى الحل والعقد

ومفوه يزن الكلام وينتقي ... منه جواهره بلا عد

يصغي الجميع لما يقول وكلهم ... شوق لما يسدي وما يبدي

واذا الم الخطب هب لصده ... بالعقل لا بكتائب الجند !

خليت للشعراء غيري حبهم ... وهيامهم بفواتن القد

وبكاءهم هجر الحبيب وغدره ... وشكاتهم من حرقة البعد

وجننت بالعظماء ! فى دنيا بدت ... اقزامها فى صورة الاسد !

* * *

اني اعيذك بالمثاني والضحى ... وبسورة الاخلاص والرعد !

من كل ختال يخيس بعهده ... ومكابر متآمر وغد

من كل دجال يؤجج فتنة ... تغلي مراجلها من الحقد

واريد أن تبقى لشعبي رائدا ... تحمي حماه ، وقائدا تهدي

ومخططا للجيل ما يفضي به ... لغد سعيد مترف رغد

حتى نرى صحراءنا مخضرة ... ورمالها من جنة الخلد

فى مغرب متكامل متعانق ... متوحد الاهداف والقصد

لنعيد فى هذي الديار ليعرب ... امجادها فى سالف العهد

ونعيد للاسلام ماضي عزه ... وشعاعه فى الاطلس الفرد

رباه ادرك امة عصف الهوى ... برجالها فى مهمه يردي

ان لم تمد لها يديك فانها ... ستضيع فى بحر من الحقد

انجز بفضلك ما وعدت فانت من ... سميت نفسك صادق الوعد

لا تشمت الاعداء فينا بعدما ... اسقيتنا من خمرة الود

لنقول للدنيا باننا امة ... تمتد من فاس الى نجد !!

تطوان : محمد الحلوي

شعب صانع الأبطال

للشاعر الأستاذ محمد البوعنانى

اي شعب فى الارض مهما تعالى قـدره يستحـق هـذا الجـلالا ؟
انـه شعبنـا الـذي يـزرع الافق خلـودا ، ويصنـع الابطـالا
بين اهـداب ليلـة نمـق الحلـم ، وفى الفجـر حقـق استقـلالا
طيب العرق راسخ الاصـل تمتـاز ضحـاه ... تصـدق الافعـالا
قد مضى فى ركابـه الدهـر عيـدا ، وربيعـا ، ونغمـة ، وجمـالا
وافاق الغـد الخصيـب فتاقـت كـل عيـن تسامـر الاجيـالا !
وامال الدنيا ، فاهـدت الينـا ـ وهـي ترتـاح ـ قلبهـا الميـالا
ثـم اعلى الديـن الحنيـف وأرسـى بند عـدل ، وحطـم الاغـلالا

يا مليكـي ، ومـز كـل نبـوغ ملهـم لا يـزداد الا كمـالا
جمعـت نفسـك الحديـث فضمتـه اكفـا قويـة ، ونضـالا
فالتقـت فى مسيـرة العصـر ارض وسمـاء ، وانجـم تتـلالا
فى يدنـا القـرآن خيـر سـلاح نتقـوى بـه ، نبيـد الضـلالا
خطوة اثـر خطـوة ـ والفيافـي بالبطـولات تضـرب الامثـالا ...
لاقتحام (العيـون) شبـرا فشبـرا ثم نجتـاح بعدهـا (أمغـالا)
رغم كيـد الحسـود يكتمـل الفتـح ونلقـى الاعمـام والاخـوالا

اغنيات الصحراء عادت غصونا تتدلى تعانق الاظلالا
هي أرض تغوص في كل عرق مغربي ، ولا تريد انفصالا
لك يا مبدع المسيرة غنت بالسواقي ، وصفقت اقبالا
يوم أضحى النداء منك لقاحا ، وسمادا ، وانهرا تتوالى
وعلى الافق جيشنا لا يخاف الحرب يوما ، ولا يهاب قتالا !
وهبته ملاحم الخلد أحلاها ، وولته جبها ... والوصالا
واذا الماكرون دسوا ربانا حرك الارض تحتهم زلزالا
واذا ما تثاءب الاسد الحر افاق العرين والاشبالا ..
واخاف الذئاب ـ تلك التي جاءت مع الليل تفسد الآصالا
وتريد الصحراء : عبدا على الباب ، وكنزا يولد الاموالا
وفتاة تقبل الترب في الدرب ، وفي البيت تحمل الأثقالا
وصبيا تبكي النجوم عليه وترى دمعه يفيض انهمالا !
القمته يد الدخيل سعالا ، وعرايا ، وحسرة ، وفصالا
وجراح الصحراء تطلب ثارا وتمل المقام والترحالا
فتصدى العرش المقاوم والشعب كسيفين يقطعان المحالا
وملأنا بالله كل لسان وفؤاد ... ثم انطلقنا رجالى !
لا نريد الصباح الا طليقا في ربانا : اشعة وظلالا
ونشق اللهيب في الرمل لا نخشى اشتعالا ، ولا نخاف اغتيالا
كيف تستسلم الطبيعة في المغرب : ريفا ، واطلسا ، ورمالا ؟
كيف يستسلم الجنوب ولا تدنو يداه تعانقان الشمالا ؟
أنت حررت فكرنا ـ يا مليكي ـ فنصبنا على المحال احتمالا ...
انت توجت بالسدود روابينا ووشحت بالبذور التلالا
فتغنى الفلاح بالفجر مختالا ليبقى امامه مختالا ! ...
وتمنى السياح لو سلبونا لوننا ، بل ... اطفالنا ، والخصالا
وجمعت العمال حول شعار ملكي يساند العمالا !
وامام الطلاب كل مدار تستحيل السطور فيه هلالا
دم قويا للدين للحرب للسلم لمستقبل يفوز اعتدالا
لصغار يمهدون الاماني ، وكبار يعبدون الجبـ .

وولي العهد الذكي يناجي غدنا وهو يقطف الآمالا

نحن شعب اذا اهين فلا يركع ذلا ، وخشية ، وابتهالا

بل يعري ذراعه يحصد الباغين والمعتدين والانذالا

لم يخلد أيامه بالتماثيل – وقد كان شاعرا مثالا ...

بل بسطر اراده الله عنوانا من المجد لا يقيم جدالا

ويفعل مع السماوات يمتد يغطي وراءه الاقوالا

هكذا نحن في الحروب رجال ، وسنحمي هذا السلام رجالا !

محمد البوعناني

اقرا في عددنا القادم :

- اصول التشريع الاسلامي بين النزعة التقليدية والنزعة التجديدية
- جهود اللغويين المغاربة في البحوث اللغوي

الاجتماع الثالث للجنة المشتركة لصندوق احياء التراث الاسلامي

● في اطار التعاون الثقافي القائم بين المملكة المغربية ودولة اتحاد الامارات العربية قام السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي رفقة السيد شاكر التيجاني رئيس قسم الدراسات الاسلامية بالوزارة بزيارة الى ابي ظبي لحضور الاجتماع الدوري الثالث للجنة المشتركة لصندوق احياء التراث العربي الاسلامي .

وقد ادلى السيد الوزير بتصريح لرجال الصحافة لدى عودته الى ارض الوطن قال فيه :

« قمت بزيارة لابي ظبي لحضور الاجتماع الدوري للجنة المشتركة لصندوق احياء التراث العربي الاسلامي التي تجتمع مرة في الرباط ومرة في ابو ظبي .

والتقينا بالاخوة هناك وخصوصا بالسيد وزير العدل والاوقاف والشؤون الاسلامية للامارات وتم اجتماع اللجنة على أحسن ما يكون ، وتشرفت بمقابلة رئيس الدولة سمو الامير الشيخ الامير زايد بن سلطان آل النهيان ونقلت اليه تحيات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، وقد استفسرني سموه عن المغرب وعن شعب المغرب واحوال المغرب وحملني رسالة شفوية الى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وكذا تحياته لجلالته .

هذا وقد درست اللجنة ابعاد اشغال الصندوق المشتركة لاحياء التراث الاسلامي ووافقت على عدد من الكتب التي يستحسن طبعها وكذا الاعتمادات التي سيدفعها الصندوق لهذا الغرض ودرسنا كذلك جميع الابعاد او التصورات التي يمكن في المستقبل ان تعطي لهذا المشروع دفعة جديدة ومنطلقا جديدا

وعند رجوعي من ابو ظبي عرجت على جدة للالتقاء بوزير الحج والاوقاف وتدارست معه احوال الحج خلال السنة المقبلة وكذلك بعض المشاريع المشتركة بين وزارة الحج والاوقاف بالمملكة العربية السعودية الشقيقة ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وطلبت من كلا الوزيرين في كل من المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة ان يقوما بزيارة للمغرب فقبلا الدعوة التي سيحدد موعدها فيما بعد » .

المهرجان السنوي لتجويد القرآن الكريم

● افتتح يوم الاثنين 17 ربيع الثاني (27 مارس 1978) المهرجان السنوي للتجويد الذي اقيم هذه السنة تخليدا لاقتران ذكرى المولد النبوي الشريف وعيد العرش السعيد . وذلك تحت اشراف وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وقد شارك في هذا المهرجان حوالي 30 مرشحا يمثلون مختلف اقاليم المملكة وخصصت لهم جوائز مهمة وقد تولت لجنة من كبار المتخصصين في فن التجويد والقراءات مهمة التحكيم .

وقد جرت العادة ان تنظم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مهرجانا للتجويد كل سنة ويلاحظ ان عدد المرشحين يزداد في كل دورة ومن بينهم نسبة كبيرة من الطلبة والشباب الذين يتعاطون هذا الفن الاسلامي ويبذلون الجهد لصقل موهبتهم والتمكن من شروط تجويد كتاب الله العزيز بكيفية مرضية تجمع بين جمال الاداء وحسن التصرف والالتزام بالقواعد .

وبالمناسبة اخرجت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية كتيبا محلى بصورتي صاحب الجلالة وولي

عهده المحبوب يشتمل على جـدول المهرجـان .
وقد قدم له بالمقدمة التالية :

« الحمد لله رب العالميـن

اللهم صل على سيدنا محمد النبي المصطفى الامين وعلى آله وصحابتـه اجمعيـن

وبعد ، فقد دابت هـذه الوزارة على احيـاء وتخليد ايام الاسلام واحداثه الكبرى التـي كانـت مشاعل وعلامات فى طريق مسيرة الاسلام الظافـرة عبر العصـور والسنيـن .

واذا كان تخليد الاحداث العظمى يتخذ اشكالا من التعبير تهدف كلها الى تاكيد العزم على الاخلاص للارث انفكري والديني والحضاري ، مـع التفتـح والاقتباس من كل صالح مفيد ، فان ارقى اشكـال التعبير وافواها دلالة على نية حفظ الاصالة وصيانة الامجاد ، هو زعامة الاسس الاولى لتلك الاصالـة . وفى مقدمتها خدمة الكتاب المكنون الذي لا ياتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيـم حميـد » .

وفى هذا الاطار تفتتح وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هذا المهرجان القرآني الكريم تعبيرا عـن عزمها على خدمة ورعاية حملته وتخليدا وتمجيـدا لذكرى المولد النبوي الشريف ، وذكرى عيد العرش المجيد سائلة الباري تعالى ان يبارك خطو سيدنـا الامام جلالة الملك مولانا الحسن الثاني باعث امجادنا الدينية والتاريخية ومحقق آمال الشعب فى الوحدة الوطنية وان يكلاه وولي عهده وباقي افراد أسرتـه وسائر آل بيتـه .

انه سميـع الدعـاء .

مديرية الشؤون الاسلامية »

دورة تدريبية للخطباء والمرشدين بالقصر الكبير

● فى اطار التكوين السريع الذي تنظمه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بين الفينة والاخـرى للخطباء والمرشدين والوعاظ بمختلف مدن واقاليم المملكة اشرف السيد وزير الاوقـاف والشـؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي بمسجد معركة وادي المخازن بمدينة القصر الكبيـر على افتتـاح دورة تدريبية لخطباء ومرشدي المدينة والدوائر الملحقة بهـا .

حضر حفل الافتتاح الى جانب السيد الوزيـر عامل اقليم تطوان السيد كمال الكانوني والهيئـات المنتخبة ومدير ديوان السيد الوزير الاستاذ مولاى مصطفى العلوي وعدد من العلماء والمثقفين وجمهور غفير من المؤمنين .

وقد شارك فى الدور الحاليـة 145 خطيبـا ومرشدا نظم لهم برنامج موسع للتوعية والتوجيـه تناول محاضرات فى منهجية الدعوة والحديث وفقه السيرة والعقيدة وفن الخطابة والتفسير وحاضر العالم الاسلامي القاها كل من الاساتـذة السـادة : الشيخ المكي الناصري ، ومولاي مصطفى العلـوي ومحمد يسف واحمد سحنون ومحمد الكبير العلوي وعبد الفتاح امام ومصطفى اليعقوبي واحمد الصمدي وخليل اطاع الله .

واستمرت الدورة اسبوعا تلقى المشاركـون خلاله تكوينا مركزا فتح امامهم آفـاق المعرفـة واطلعهم على الجديد فى فنون الدعـوة والخطابـة والارشاد الديني ومكنهم من الحصول على معـارف وثقافات جديدة تساعدهم فى اداء مهمتهم السامية .

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

وقد القى السيد الوزير كلمة بالمناسبة استعرض خلالها الاهداف السامية التي ترمي الوزارة الى تحقيقها من هذه الدورات التدريبية للائمة والخطباء والمرشدين مؤكدا على وجوب انفتاح الخطيب والداعية الاسلامي بصفة عامة على الافاق الثقافية الرحبة والاخذ من كل علم وفن بطرف اعتبارا لخطورة وثقل الرسالة التي يؤديها في وقتنا الراهن .

واشار الدكتور احمد رمزي الى ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تستغل كل الامكانيات والطاقات المتوفرة لتقوية جهاز الارشاد والتوجيه الاسلامي بالوزارة وتبذل الجهد الكبير من اجل تطوير اساليب الدعوة الدينية وفق متطورات ظروف العصر دون الاخلال بمقومات الرسالة الاسلامية أو التقصير في النهوض بأعبائها الجسام .

وذكر السيد الوزير بأن الوزارة بصدد تأسيس المعهد العالي للدعوة والدعاة بالمغرب حتى تكون في مستوى طموحات عاهلنا المفدى جلالة الملك الحسن الثاني الذي يربط باستمرار بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبين النهوض بمستوى التكوين الاسلامي الصحيح للمواطنين .

(دعوة الحق)



المغـــــرب :

● انتقل الى رحمة الله الفقيه العلامة السيد محمد ابن عبد الرحمن العراقي الحسيني بفاس عن سن تناهز 90 . وكان من كبار علماء المغرب معرفة وجهادا ومقاما اجتماعيا فى جميع الاوساط . رحمه الله رحمة واسعة وجزاه جزاء العلماء العاملين .

● قدمت السيدة زهور الزرقاء اطروحتها لنيل شهادة الدكتوراه فى الآداب بجامعة السربون عن موضوع : تحقيق وتعليق وتقديم المخطوط : رياض السعيد فى تصفية مسائل العبيد » لاحمد بن ابراهيم التافنكوتتي . والمخطوط يدرس موضوع المجموعة التي تكون منها جيش البخاري فى عهد المولى اسماعيل .

وقد نالت السيدة زهور الزرقاء درجة الدكتوراه بميزة حسن جدا .

● دافعت الاستاذة فاطمة الجامعي الحبابي عن رسالتها للدكتوراه بجامعة القاهرة ، وكان موضوع الرسالة : « لغة المعري فى رسالة الغفران » . وقد نوقشت الاطروحة امام مجلس من عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة الدكتور عبد الله مدكور والسادة عبد الحميد الدواخلي وعبد الصبور شاهين. كما حضر المناقشة كثير من الشخصيات الجامعية والادبية من بينهم الدكتور ابراهيم مدكور والدكتور احسان عباس .

وقد نالت الاستاذة فاطمة الجامعي الحبابي درجة الامتياز عن اطروحتها ، وهي أعلى درجة تمنح فى جامعة القاهرة .

● انتظم بمنزل آل الطريس بتطوان يوم الجمعة 29 دجنبر 1977 اللقاء الاول للمؤسسة الجديدة التي ستختص بتاريخ الاستاذ المرحوم عبد الخالق الطريس . وهي مؤسسة للثقافة والفكر ، تخصص سنويا جائزة تحمل اسم عبد الخالق الطريس .

● توفي بالدار البيضاء السيد الحاج محمد كنوني المذكوري بعد مرض لم يمهله الا قليلا . وكان الفقيد عضوا بارزا فى الامانة العامة لرابطة علماء المغرب ، ومن قدماء العاملين فى الحركة الوطنية بتفان واخلاص .

رحم الله الفقيد الغالي وجزاه بما اسدى لوطنه ودينه من خدمات جلى وعزاؤنا لانجاله .

● وافق مجمع اللغة العربية بالمملكة الاردنية الهاشمية على ترشيح الاستاذ عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب لعضوية المجمع ، وذلك تكريما لفضله وعلمه ، وتقديرا لخدماته الجليلة للغة العربية وثقافتها وتراثها المجيد .

والجدير بالذكر أن الاستاذ كنون عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وعضو فى المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي .

● اصدر مجلس النواب نشرة اطلق عليها : **(النشرة الاسبوعية لمجلس النوآب) .**

صدر اول عدد منها يوم الاربعاء : 25 ذي الحجة 1397 الموافق : 7 دجنبر 1977 .

النشرة تصدر بالمكررة وتتناول نشاط اجهزة مجلس النواب واعماله الاسبوعية ، وهي داخلية .

● صدرت بمدينة فاس مجلة بعنوان : الاساس (يناير 1978) فى طباعة فاخرة فى 50 صفحة .

● صدرت مجلة جديدة فى المغرب بعنوان : « الشبيبة الصحراوية » باللغتين العربية والفرنسية.

● صدرت بمدينة الدار البيضاء مجلة بعنوان : (لقاءات) (صفر - يناير 1978) .

● نظم مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي فى مقره بالرباط لمدة خمسة ايام دورة تدريبية لفائدة المكلفين بتنشيط حركة التعريب داخل كل وزارة ، شارك فيها ممثلو الوزارات للتعرف عن كثب على منهجية مكتب تنسيق التعريب فى اعداد المعاجم وايجاد المصطلحات ، وعلى ابعاد ووسائل انجاز التعريب ، ومفهوم ومواضيع ومقتضيات التعريب ، وكيفية التعاون بين أجزاء الوطن العربي على استكمال المفاهيم الدقيقة المستعملة فى كافة القطاعات التابعة لكل وزارة .

● صدرت بالدار البيضاء مجلة ادبية جديدة بعنوان « المدينة » .

موريطانيا :

● صدرت فى موريطانيا الشقيقة مجلة بعنوان : (النصر) .

والمجلة الجديدة لسان حال اللجنة الوطنية لمؤازرة المجاهدين واسرهم .

تونس :

● صدرت عن دار الكتب الوطنية بقسم المخطوطات المعاجم التالية :

1) (الفهرس العام للمخطوطات : رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب) القسم الاول من اعداد عبد الحفيظ منصور .

2) الفهرس من حجم (مجلة اللسان العربي) ويقع فى اكثر من 500 صفحة فى طبع انيق .

● واصدرت نفس الدار (فهرسا للمخطوطات) فى مجلدين مطبوعة فقط بالمكرورة (الستانسيل) فى اخراج جميل وفهارس مدققة فى حوالي 500 صفحة .

مصر :

● صدرت فى القاهرة الكتب التالية :

1 — (المجموع — شرح المهذب للنووي) تكملة وتحقيق الاستاذ محمد نجيب المطيعي

2 — (مع ابن جبير فى رحلته)
من تأليف الاستاذ عبد القدوس الانصاري

3 — (الديباج المذهب لابن فرحون المالكي) بتحقيق الدكتور محمد الاحمدي ابو النور .

● توفي القصاص الشاب ضياء الشرقاوي .

● نال القصاص المصري صبري موسى جائزة القصة فى المسابقة التي أعدتها احدى شركات البترول ، تنازل الكاتب عن مبلغ الجائزة (الف جنيه) لاسرة الفقيد ضياء الشرقاوي .

● فى سلسلة « كتابك » التي تصدرها دار المعارف صدر كتاب جديد عن « تاريخ العلوم عند العرب » للدكتور احمد سعيد الدمرداش ، وفيه يبرز تطور التراث العلمي عند العرب ومراحل ازدهاره واثر العرب فى الحضارة الغربية .

● « فى انتظار الكلمات » الديوان الجديد للشاعر محمد كمال الدين امام يتضمن مجموعة من القصائد الوطنية والوجدانية . للشاعر دواوين : اغنيات لبلادي ، ويصدر له قريبا ديوان : « اميرة عيد الحصاد » ودراسة عن : « الحرب المشروعة فى الاسلام » .

● « الصراخ فى الريح » المجموعة القصصية الثانية لرأفت سليم ، تحتوي على عشر قصص يصور فيها الكاتب أزمة الانسان المعاصر .

● « الرؤية الابداعية فى ادب يوسف السباعي » كتاب جديد من تاليف الدكتور عبد العزيز شرف ورجاء عيد .

كما صدر للدكتور عبد العزيز شرف كتاب آخر بعنوان : « طه حسين وزوال المجتمع التقليدي» وهو دراسة اجتماعية عن حياة طه حسين وارتباطها الوثيق بنتاجه الادبي والفكري .

● « دراسات فى التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة » تاليف ج. بيير ، ترجمه الى العربية وقدم له الدكتور عبد الخالق لاشين وعبد الحميد فهمي .

● « المنفلوطي وأثره فى الادب الحديث » كتاب جديد من تاليف عباس بيومي عجلان .

● الدكتور الناقد عبد القادر القط صدر له ثلاثة كتب عن الشعر الاسلامي والشعر الاموي وفن المسرحية . ويصدر له قريبا : « فى الادب العربي الحديث » . ويعد الآن الدكتور القط معظم مقالاته الادبية ليصدرها بعد ذلك تباعا فى بضعة كتب .

● فهمي زكي مبارك ابن الدكتور زكي مبارك انتهى من وضع كتاب عن والده بعنوان : زكي مبارك فى مرآة التاريخ » .

● ستقوم الهيئة المصرية العامة للكتاب باتفاق مع الشاعرة كريمة زكي مبارك بطبع الاعمال الكاملة للرائد المفكر زكي مبارك . آخر كتاب اصدرته الهيئة له : « احمد شوقي » .

كريمة زكي مبارك تعد الآن كتابا آخر هو : « زكي مبارك ونقد الشعر » .

● صدر للاستاذ انور الجندي ضمن سلسلة (اقرا) كتاب جديد بعنوان : (عالمية الاسلام) .

● صدر ضمن سلسلة (كتابك) للمستشار علي منصور كتاب بعنوان : (شريعة الله وشريعة الانسان).

● (نحو ادب اسلامي) دراسة اعدها الدكتور علي عبد الحليم محمود ، وتناول فيها بالتقييم أعمال الاديب مصطفى صادق الرافعي وتحدث عن مفهومه للاتجاهات الادبية وبعض المواقف من معركة الفصحى والعامية .

● اصدرت الجامعة العربية نشرة شهرية جديدة بعنوان : (جامعة الدول العربية) العدد الاول : محرم 1398 – يناير 1978 فى ثمان صفحات – حجم 29 × 21 سنتم فى ورق ممتاز ، وطبع جميل .

والنشرة صدرت لتكون « رمزا للتضامن العربي ممثلا فى جامعة الدول العربية ومنظماتها ... اتعطي صورة مضيئة للعمل العربي المشترك » .

● « الاعتبارات اللغوية فى نقد الشعر العربي فى العصور الوسطى » موضوع رسالة دكتوراه باللغة الانجليزية حصل عليها الناقد المصري أحمد طاهر حسنين المدرس بالجامعة الامريكية من جامعة برنستون بامريكا . وستطبع الرسالة قريبا .

الاردن :

● رشح المستشرق المجري الكبير عبد الكريم جرمانوس لعضوية مجمع اللغة العربية بالمملكة الاردنية الهاشمية . كما رشح لنفس العضوية المستشرق الايطالي فرانشيسكو غبريلي . وكلاهما من اعلام الاستشراق الذين ادوا للغة العربية ولحضارة العرب والمسلمين وتراثهم خدمات جلى .

شهريات العالم الاسلامي

الكويـــــت :

● اصدر الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري اربعة كتب من الحجم الكبير وهي : « الشعر العربي بين العامية والفصحى » و « صقر الشبيب وفلسفته فى الحياة » و « خواطر فى عصر القمر » و « روح القلم » وهذا الاخير مجموعة مقالات أدبية .

قطـــــر :

● « الساعة والنخلة » أول مجموعة قصصيــة قصيرة تطبع فى قطر للاديب خليل ابراهيم الغزيــع مدير تحرير جريدة « العهد » .

الشــارقــــة :

● قرر الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكــم الشارقة طبع القرءان الكريم كاملا على أسطوانــات واشرطة تسجيل وتوزيعه على المساجد والمراكــز الاسلامية فى أمريكا .

وسيبدا المقرىء المصــري الشيـخ محمد الطبلاوي أول اكتوبر القادم تسجيل القرءان الكريم بصوته تمهيدا لطبعه على الاسطوانات .

المملكــة العربيــة السعوديــة :

● حسب الاحصاءات الرسمية لموسم الحج لهذا العام اتضح أن 77 ٪ من حجاج بيت الله من الشباب المسلم الذي يتراوح اعماره ما بين 15 سنــة و 40 سنة ... والنسبة هنا تدل على ان الشباب قد بدا يلجأ الى الدين ملاذا وخلاصا .

● صدر للشاعر السعودي محمد حسن عــواد ديوان : « قمم الاولمب » وهو ديوانه السادس . كما صدر له : المنتجع الفسيح » .

● صدرت للدكتور غريب الجمال الاستاذ بالمعهد العالي للدراسات الاسلامية بالقاهرة ثلاثة كتب عــن مطبوعات دار الشروق بجدة وهي :

1 ـ « التضامن الاسلامي فى المجال الاقتصادي » فى 221 صفحة من القطع الكبير .

2 ـ « النشاط الاقتصادي فى ضــوء الشريعــة الاسلامية » فى 277 صفحة من القطع الكبير .

3 ـ « التامين فى الشريعة الاسلامية والقانــون » فى 254 صفحة من القطع الكبير .

● وعن نفس الدار صدر للدكتور محمد علي البار كتاب « الخمر بين الفقه والطب » وهو دراسة علمية وفقهية تكشف عن اضرار الخمر وتأثيره على الجهاز العصبي والقلب والدورة الدموية . الكتاب يقع فى 227 صفحة من القطع الكبير .

العـــراق :

● انعقد بالعراق خلال الاسبوع الثاني من شهر فبراير مهرجان المربد الشعري الذي يعتبر تظاهرة ثقافية موسمية . وقد شارك فى المهرجان عدد كبير من الشعراء العرب .

● صدر ضمن منشورات كلية الاداب بجامعــة بغداد للاستاذ طه باقر كتاب جديد تحت عنــوان : (مقدمة فى ادب العراق القديم) ، وهو ، كما يقول مؤلفه فى مقدمة تمهيدية : فى التعريف بادب العراق القديم .. اذ يصف أشهر النصوص الادبية مما وصل الينا من هذا الادب ، مع شرح لمحتوياتها .. وعبر ذلك يدرس الخصائص والميزات العامة لهذا الادب من خلال عديد من النماذج التي تمثل بعض الفنــون الكتابية .. ليصل ، بعد ذلك ، الى المواضيع التي تناولها ادب العراق القديم عبر بعــض النصــوص والاساطير . ثم يعرض للملاحــم وقصص البطولــة والابطال ، كالقصص الخاصة بجلجامش ، وملحمــة

جلجامش ، وقصة « آدابا » . كما يدرس « أدب الحكمة » ، مقدما النصوص الادبية الخاصة بالطوفان والتراتيل والغزل ، مستقصيا بعمق ، عارضا عرضا وافيا لاهم مكوناتها وعناصرها الموضوعية الاساسية .

● حصل السيد عبد المنعم احمد صالح على درجة الدكتوراة بدرجة الامتياز بكلية الاداب ببغداد للسنة الجامعية الجارية عن الموضوع :

(أبو منصور الجواليقي وآثاره فى اللغة) .

● يجري الآن فى العراق العمل لاخراج شريط يدور موضوعه حول (الحضارة العربية وأثرها على بقية الحضارات العالمية ...) وتدور محاور الشريط الاساسية حول النقاط التالية :

— الاكتشافات العلمية عند العرب من فلك وكيمياء وطب ورياضيات .. الخ .

— الهندسة المعمارية واصول الفن العربي ..

— المظاهر الحضارية الاخرى ..

وسيجري تصوير الشريط بكل الاقطار العربية من المغرب حتى البحرين والاندلس أيضا ..

● صدر عن وزارة الاعلام العراقية الجزء الرابع من ديوان الشاعر معروف الرصافي بشرح وتعليق مصطفى علي .

● وعن نفس الوزارة صدر ديوان « الخطوات » للشاعر شاكر عبد القادر البدري ويضم قصائد وطنية .

● « أسفار جديدة » هو ديوان الشاعر سامي مهدي الذي صدر فى العراق عن وزارة الاعلام ، وهو

● عن وزارة الاعلام العراقية صدرت كذلك الكتب التالية :

— الجزء الثاني من : « الفاضل فى صفة الادب الكامل » لمحمد بن احمد بن أسحق اللحوي — بتحقيق : يوسف يعقوب مسكوني وجمع : حكمت رحماني . وهي مختارات قيمة من الادب والتاريخ العربي ، صيغت بأسلوب السرد أو بالاشعار ، تفي وتفيد المهتمين والدارسين فى امور اللغة والفقه والبلاغة .

— الجزء الثالث من المجلد الاول من كتاب : « خريدة القصر وجريدة العصر » من تاليف عماد الدين الاصبهاني الكاتب وتحقيق الاستاذ محمد بهجت الاثري . وهو كتاب يعتبر من درر الادب العربي القديم .

— « العمارة العباسية فى سامراء » للدكتور طاهر مظفر العميد . جاء هذا الكتاب ليغطي الكثير من النقاط التي ما زالت مفتوحة للبحث فى العمارة العباسية بالاعتماد على الدلائل التاريخية وعلى الشواهد الاثرية التي جمعت عن طريق التنقيب والتقصي فى الموقع .

لبنان :

● اصدرت (دار الافاق الجديدة اللبنانية) طبعات جديدة محققة للمؤلفات التالية :

— (الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية) لعبد القاهر البغدادي .

— (الدين والدولة) لعلي بن ربن الطبري .

— (درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز) للخطيب الاسكافي .

— (جواهر القرءان) للامام الغزالي .

— (حي بن يقظان) لابن طفيل ، دراسة وتقديم فاروق سعد .

— (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) لزكريا القزويني .

— (رسائل فلسفية) لابي بكر الرازي .

— (مناقب الامام أحمد بن حنبل) لابن الجوزي .

● « الحركة النسائية اللبنانية » عنوان كتاب صدر اخيرا لاميلي فارسي ابراهيم عن دار الثقافة .

● توفي الشاعر المهجري وديع رشيد الخوري صاحب ديوان : « نداء الغاب » طبع مرتين : نيويورك 1936 – بيروت 1969 . وكتاب : ظهور وتطور الادب العربي في المهجر الامريكي » وقد طبع ايضا مرتين آخرها سنة 1969 .

● الشاعر خليل الخوري صدرت له مجموعة شعرية جديدة بعنوان (أغاني النار) وهي السادسة للشاعر بعد ان أصدر (حبات قلب ، صلوات للريح ، لا در في الصدف ، المجزرة ، رسائل الى ابي الطيب) ..

وقد صدرت مجموعة الشاعر الجديدة ضمن مطبوعات سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ، وتم طبعها في باريس ..

ايـــران :

● صدر كتاب جديد لصاحب الجلالة الامبراطور شاه ايران بعنوان : « في طريق الحضارة الكبرى » وذلك عشية ذكرى الثورة البيضاء ، ويعتبر هذا ثالث كتاب للشاه .

والكتابان الاخران هما « الثورة البيضاء » و « رسالة الى بلدي » .

وقدم النسخة الاولى من الكتاب الجديد امير عباس هويدا وزير البلاط في لقاء حضره أيضا « شوجا الدين شافا » المدبر الاداري لمؤسسة بهلوي التي تولت نشر الكتاب .

● صدر لكاتب ايراني كتاب يعتبر من أهم الدراسات في علم التفسير ... هو كتاب : (الزمخشري .. مفسرا ولغويا) للدكتور مرتضى اية الله الشيرازي الاستاذ بكلية الالهيات بجامعة طهران .

ويلقي المؤلف في الكتاب الضوء على المنهج الاساسي النظري الذي عالج به الزمخشري في كتاب (الكشاف) تفسيره للقرءان مستندا الى التحليلات اللغوية .

فـرنســا :

● خصصت مجلة (ثقافات) التي تصدرها المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم – اليونيسكو – عددها الاخير للحديث عن (الفكر الاسلامي والقيم الاسلامية) وقد قدم للعدد الاستاذ مختار مبو المدير العام للمنظمة الذي أشار الى ان عدة نواح من الحضارة العربية الاسلامية لم يكشف النقاب عنها حتى الان على الرغم من مساهمتها في ارساء دعائم الحضارة المعاصرة ، وينقسم العدد الذي كتب اغلب مادته مفكرون عرب الى اربعة اقسام ، يتناول القسم الاول منها مختلف الثقافات الاسلامية من خلال التنوع الثقافي والوحدة الروحية .. اما القسم الثاني فيعالج أصول الفكرة الاسلامية .. مختلف المدارس .. الفكر الاسلامي في العصر الوسيط والوعي الاسلامي في تطوره التاريخي . في حين يعالج القسم الثالث تطور القيم الاسلامية . أما القسم الرابع والاخير فيتناول المجابهة بين الحضارة الاسلامية والحضارة التقنية المعاصرة .

● صدر في باريس الجز الاول والثاني من موسوعة تصدرها دار (لاروس) بعنوان : (العالم بالوان) .

وتعطي الموسوعة اهمية كبرى للصور وسوف تضم فى مجموع اجزائها اكثر من (15) الف صورة بالالــــوان .

وستصدر الاجزاء الاخرى وعددها خمسة اجزاء قبل نهاية عام 1978 وهي : (العلوم ــ علــوم الارض ــ الانسان ــ التكنولوجيا ــ التاريخ) .

● القى الدكتور عبد الله العروي الاستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط محاضرة بباريس بعنوان : « التوتر فى المغرب العربي » بمقر جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين .

● يوجد فى المكتبة القومية بباريس ما يعتقد بانه اقدم كتاب فى العالم . وهــو مخطــوط على ورق البردي كان قد عثر عليه فى احــد قبــور قدمــاء المصريين بالقرب من مدينة طيبة فى مصر . ويعود تاريخه الى عام « 260 قبل الميلاد » ، وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والامثال .

الهنــــد :

● دعت الهند الى اقامة مهرجان للآداب الشعبية بالهند فى مستهل سنة 1979 .

والجدير بالذكر ان هذا المهرجــان العالمــي يهدف الى الكشف عن قيمة الآداب والفنون الشعبية وأثرها فى حاضر الامم ومستقبلها .

التــــايلانـــــد :

● ينهمك الاستاذ علي عيسى مندوب رابطة العالم الاسلامي بالتايلاند فى اخراج كتــاب بعنــوان : (المغرب) . وهو تعريف بالمغرب وبنهضته ، وثورته الصامتة فى هذه البقعة النائية من العالم والتــي تحمل للمغرب كثيرا من التقدير والاهتمام وكثيرا من المعاني النبيلة التي تجسدها آفاق الوحدة الاسلامية المنتظــرة .

كوريــــا الجنوبيــــة :

● جامعة هانكوك تهتم بدراسة اللغة العربية ، وقد اقامت معملا للغات على أحدث طراز ، وأستخدمت بعض أساتذة للغة العربية من مصر ، ويرجع ســر اهتمامهم بلغتنا الى رغبتهم فى التعاون مع العالــم العربي بصفة عامة .

ومما يجدر ذكره ان فى هذه البلاد اكثر مــن ثمانين جامعة ، تاخذ بأحدث أساليــب الدراســة الجامعية مما يجعل كوريا الجنوبية برغم عدد سكانها البالغ 30 مليونا تكاد أن تلحق بدرجة نمو جارتهــا اليابــان .

(دعــوة الحــق)



اللجنة الاستشارية
لمعهد المخطوطات العربية

● تشكلت اللجنة الاستشارية لمعهد المخطوطات العربية من السادة التالية أسماؤهم مرتبة على حروف الهجاء :

1 ـ الاستاذ ابو القاسم محمد كرو ـ المدير العام للدار العربية للكتاب (الجمهورية التونسية) .
2 ـ الاستاذ الدكتور احمد عبد الستار الجواري ـ وزير الاوقاف (الجمهورية العراقية) .
3 ـ الاستاذ الدكتور أحمد يوسف الحسن ـ رئيس جامعة حلب (الجمهورية العربية السورية) .
4 ـ معالي الدكتور اسحاق فرحان ـ مدير الجامعة الاردنية (المملكة الاردنية الهاشمية) .
5 ـ الاستاذ الدكتور اسحاق موسى الحسيني ـ رئيس هيئة القدس العلمية (فلسطين) .
6 ـ فضيلة القاضي اسماعيل الاكوع ـ رئيس الهيئة العامة لشؤون الآثار ودور الكتب (الجمهورية العربية اليمنية) .
7 ـ سماحة الشيخ حسن خالد ـ مفتي لبنان (الجمهورية اللبنانية) .
8 ـ الاستاذ الدكتور حسين امين ـ رئيس اتحاد المؤرخين العرب (الجمهورية العراقية) .
9 ـ الاستاذ الدكتور شاكر الفحام ـ وزير التربية والتعليم (الجمهورية العربية السورية) .
10 ـ الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ـ مدير معهد العلوم اللسانية والصوتية (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية) .
11 ـ الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة (جمهورية مصر العربية) .
12 ـ فضيلة الشيخ عبد الله الانصاري ـ مدير الشؤون الدينية ـ وزارة التربية والتعليم (دولة قطر) .
13 ـ فضيلة الشيخ عبد الله التركي ـ مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (المملكة العربية السعودية) .
14 ـ معالي الاستاذ عبد الله المفرج ـ وزير الاوقاف (دولة الكويت) .
15 ـ الاستاذ عبد الله ولد بابكر ـ مدير المعهد الموريتاني للبحث العلمي (الجمهورية الاسلامية الموريتانية)
16 ـ الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي ـ مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي (المملكة المغربية) .
17 ـ سمو الامير فيصل بن علي بن فيصل ـ وزير التراث القومي (سلطنة عمان) .
18 ـ الاستاذ الدكتور كامل الباقر ـ مدير جامعة ام درمان الاسلامية (جمهورية السودان الديمقراطية)
19 ـ فضيلة الشيخ محمد صبحي ـ الامين العام لجمعية الدعوة الاسلامية (الجماهيرية الليبية العربية الاشتراكية الشعبية) .
20 ـ الاستاذ محمود محمد شاكر ـ (جمهورية مصر العربية) .

فى أعدادنـــا القادمـــة :

- جولة تاريخية حول الدولة الفاطمية
- التطــور والتصــور الاســلامــي
- مدخـــل الى علـم القـوافـــي
- الجملـــــــة القـــرآنيـــة
- حول الزيادة فى مقادير الزكـــوات
- « اديب » بين فنية القصة والترجمة الذاتيـــة
- الجرجاني الناقد من خلال كتـــاب الوساطـــة
- الاستثمـــار الاسلامـــي للامـــوال .